

٥٠
نساء الطفوف
تأليف: الباحثة الاجتماعية
كفاح الحداد

بسم الله الرحمن الرحیم

نساء الطفوف

كاتب:

محمد على الحلو

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

نساء الطفوف

اشاره

رقم الإيداع فی دار الکتب والوثائق وزاره الثقافه العراقیه

لسنه ۲۰۱۰؛ ۱۶۶۵

الحداد، کفاح، ۱۹۵۹ – م.

نساء الطفوف / لکفاح الحداد[تدقیق ....، تقدیم محمد علی الحلو]. - کربلاء: العتبه الحسینیه المقدسه، قسم الشؤون الفکریه والثقافیه ۱۴۳۲ق. = ۲۰۱۱م.

ص۲۷۱. – (قسم الشؤون الفکریه والثقافیه؛ ۵۰)

المصادر: ص ۲۶۳ – ۲۶۴؛ وکذلک فی الحاشیه.

۱ . الحسین بن علی (ع)، الإمام الثالث، ۴ – ۶۱ ق. أصحاب – النساء. ۲ . واقعه کربلاء، ۶۱ ق. والنساء المسلمات. ۳ . النساء فی الإسلام. ۴ . النساء والمهدویه – الانتظار. ۵ . عاشوراء – فلسفه – روابط – النساء. ۶ . زینب بنت علی بن أبی طالب (س)، ۶ – ۶۲ق. ۷ . الحسین بن علی (ع)، الإمام الثالث، ۴ – ۶۱ ق. – النساء – دراسه وتعریف . ألف. الحلو، محمد علی، ۱۹۵۷ – م.، مقدم ب. .... ج. العنوان.

BP ۴۱ / ۷۵۰۹ / ن ۵ ح ۴

تمت الفهرسه قبل النشر فی مکتبه العتبه الحسینیه المقدسه

ص: ۱

اشاره

نساء الطفوف

للباحثه الاجتماعیه

کفاح الحداد

إصدار

قسم الشؤون الفکریه والثقافیه

فی العتبه الحسینیه المقدسه

وحده الدراسات التخصیصه فی الامام الحسین صلوات الله وسلامه علیه

الطبعه الأولى

۱۴۳۲ه ۲۰۱۱م

العراق: كربلاء المقدسه – العتبه الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكريه والثقافيه – هاتف: ۳۲۶۴۹۹

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الاهداء

إلى المولوده فى معقل العصمه والتقى ومهبط الوحى والهدى إلى

المرأه الصالحه

والمجاهده الناصحه

والحره الأبيه

واللبوه الطالبيه

والمعجزه المحمديه

والذخيره الحيدريه

والوديعه الفاطميه

إلى سيدتى ومولاتى زينب بنت أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهم السلام

اقدم هذه الوريقات

كفاح الحداد

مقدمه اللجنه العلميه

لم تكن عاشوراء حكايه عابره يستمتع بها قراءها، ولا هى بالحادثه الغابره يستذكرها قصاصها، ولا هى واقعه تقادم عليها الزمان فيرتجعها ذكرى من ذكريات الزمن المهدور... بل غدت عاشوراء أنشوده الأجيال على مر العصور، وباتت واقعتها صانعه الأبطال تستنزل الذكريات مصاغه بصورها الملائكيه يوم كانت الأنوثه فى ربواتها تستصرخ الشهامه فتحيلها ثوره متلبسه بلبوس الشخوص، ومختاله بعنفوان التحدى وإعجاز الغيب يدفعها صانعةً لملاحم الذكريات... هذه هى عاشوراء تترجل الخطى فى مواقف يستجمعها الكتاب فى باقهٍ عطرٍ من الأسماء: زينب بنت على، فاطمه، سكينه، أم كلثوم، الرباب ومن خلف هذا الجمع الهاشمى تستدرج الكاتبه كواكب التضحيه، دلهم بنت عمرو، طوعه، ماريه بنت منقذ، النوار إلى غيرها من أريج باقه الفداء التى غدت تسطع فى أفق الخلود.

ان الكتابه عن عاشوراء مسأله فذه تحتاجُ معها إلى سبر أغوار تاريخيهٍ وأخلاقيه واجتماعيه خصوصاً إذا كانت الكتابه فيها عن أشخاص ملكت نفوسهم طاعةً إلهيه تتمثل فى طاعه الإمام وليبلغوا عنفوان التضحيه والفداء بما قدموه وما سجلوه من مواقف ومثل عليا يعجز عندها الوصف، ويخشعُ دونها الطرف، ولا يبقى للمدح فى شموخها وكبريائها الا الانزواء فى خضم هذا الموج الهادر من الولاء والفداء.

لقد جالت أقلام الباحثين وحاولت همم المؤلفين أن يقفوا على أعتاب الملحمه العاشورائيه فلم يجدوا إلا البقاء خارج الحقيقه لأن عاشوراء سرٌ مكنون لا يناله إلا أصحابها.

لقد حرصت الباحثه أن تقدمَ الطفوفَ بنسائه لنقرأهُ على مُكثٍ، ونستذوقه على حقيقته المنزّله من فصول المعجزات، ولم يدّخر البحث جهدا فی تقدیم هذه النماذج التی اختلطت بدمائها مواقفها، وتجذرت من قیمها أفكارها، واستحالت تتلظی فی وهاد عالم یرفضُ قیم التفانی، ویسترخصُ مبادئ الولاء ویعجُ بأفكارٍ خاویه خالیه من المكرمات.. والبحث فی هذا قدّم نموذج المعرفه بوحده واحده لكنها بتجلیات عده تسترخص معها التضحیات وتستجلب نساء الطفوف فی تألقِ الإبداع، وعنفوان العطاء الهاشمی، والألق الملكوتی الغابر فی غمرات الدهور...

عن اللجنه العلمیه السید محمدعلی الحلو

١٠ شعبان ١٤٣١ه - النجف الأشرف

المقدمه

فی تاریخ الاسلام الممتد وعلی مدی قرون عدیده نجد ان صوره المرأه تسطع فیه إلی جانب صوره الرجل حتی فی اشد المراحل حراجه وخطوره وصعوبه، فهو لم یک تاریخا ذکوریا محضاً کما لم یک تاریخا انثویا محضا بل هو تاریخ الانسانیه المشترکه بصورتها الآدمیه لکلا ـ الجنسین. فمنذ ظهوره رفض صنادید قریش ورجالا ـتهم الإیمان بالدعوه المحمدیه علواً واستکباراً فکانت السیده خدیجه هی المسلمه الأولی والمؤمنه الأولی التی أحنت برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقدمت الدعم المادی للرساله الجدیده.. وعاشت معه أیاماً صعبه تحملت فیها ما جری علی المسلمین من تعذیب واضطهاد علی ید المشرکین. وذاقت ألم الجوع والحرمان (وهی الثریه الغنیه) فی شعب ابی طالب حتی قضت نحبها فی عام سماه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بعام الحزن.. وکان یذکرها کثیرا ویعرّف بمکانتها فی نفسه. فقد قال صلی الله علیه وآله وسلم عنها فی رده علی زوجته عائشه التی انکرت علیه هذا الذکر الکثیر للسیده خدیجه سلام الله علیها بالقول: وهل کانت إلا عجوزاً ابدلک الله خیراً منها فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«لا والله ما ابدلنی الله خیراً منها آمنت بی إذ کفر الناس وصدقتنی إذ کذّبنی الناس وواستنی فی مالها إذ حرمنی الناس ورزقنی الله منها أولاداً إذ حرمنی أولاد النساء»(۱).

۱- الصقلانی، الاصابه فی تمییز الصحابه.

وقد كانت المرأه حاضره مع الرجل فى تدعيم الدوله الاسلاميه الفتيه من خلال البيعه والهجره والمشاركه فى الحروب والاقبال على التعلم الى غير ذلك. ثم استمرت الدعوه الإلهيه لتمر على منعطف صعب وشديد الخطوره فكانت صوره الزهراء عليها السلام وهى تطوف على بيوت المسلمين تذكّرهم بعهدهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما جرى فى حجه الوداع وكان علياً عليه السلام معها يقود بغلتها ويشد ازرها. وما وهنت عليها السلام فى دفاعها عن حقها وعن تبيين المسار المنحرف الذى دخلت فيه الامّه حتى آخر لحظات حياتها.. ثم كان رحيلها وتغييب قبرها ليكون وثيقه احتجاج خالده على مدى الزمان!..

ثم كان المنعطف الفيصل حينما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مع نساءه وعياله فكانت ملحمه الطف العظيمه «يوم شبهه البعض بيوم القيامه»(١) لما كان فيه من مصائب وكروب يشيب لها الولدان شيباً. وكانت القضيه التى قادها الإمام الحسين عليه السلام والتى تمثلت فى طلب الإصلاح لهذه الأمه العظيمه بكل امتدادتها.. والتى تجسدت بشكل ملحمه عظيمه لا مثيل لها قبل وبعد الثوره ..كانت هذه الثوره قد أظهرت الادوار العظيمه لنساء الطفوف فى الواقعه وبعدها وعلى رأس هؤلاء اخت الإمام الحسين عليه السلام السيده زينب بنت على بن أبى طالب عليه السلام والتى كانت لها الأدوار الرياديه فى قياده القضيه الحسينيه وفى نشر أفكارها بعد استشهاد الإمام وصحبه الكرام.

فى كربلاء نقف وباجلال على تضحيه الرجل والمرأه على حد سواء، فكربلاء صوره لتجلى إخلاص المرأه والرجل، وتنافس المرأه مع الرجل الى نصره الدين والى حمايه مقدساته ولكن كل بطريقته التى تتناسب مع خلقته وعظمته ومع خط السير الربانى.

١- محمد جواد مغنيه فى كتابه الحسين وبطله كربلاء.

لقد كانت كربلاء صوره رجوليه عليا فى التضحيه والشهاده والفداء وصوره نسائيه عليا فى الصبر والصمود وفى حمل هموم الرساله والدفاع عنها وعن كل المقدسات التى جاهد من أجل صيانه قيمها الساميه الابطال من الرجال والنساء مع الحفاظ على كل القيم التى آمن بها الرجل والمرأه على حد سواء.

وبعباره أخرى فاننا نجد فى هذه الواقعه سمواً إنسانياً رفيعاً عالياً فالإنسان الخليفه هو الحاضر الذى رسم ايدولوجيه المعركه وعرّف باهدافها وقيمها.. ومع ارتقاء هويه الإنسان – الإنسانيه بشقيها الذكر والانثى-. تبدو الواقعه وكأنها تجسيد لقيم الإنسان بعيداً عن التقوقع فى دائره الخصوصيه الجنسيه المحدوده.

وإذ يرى الكثير من المفكرين الإسلاميين والباحثين بانه لولا وجود النساء فى هذه المعركه لما رسخت القضيه العاشورائيه فى الوجدان الشعبى وهذا لا يعد تغيباً لدور المعصوم عليه السلام فى هذا الشأن وغيره .

ولما عرفنا أصلاً أسباب الثوره وأهدافها وشخوصها فقد ضاعت الكثير من الوقائع المهمه فى التاريخ ولسبب بسيط هو انها لم تجد الألسنه التى تعبر عنها (والوكالات الخبريه أو الفضائيات) التى تبثها إلى الرأى العام لتعرفه بها وهذا عكس ما حصل مع ملحمه كربلاء حيث حملت النساء فيها رساله الإعلام بنبل وآباء وبوضوح بعيداً عن التشويه والتزييف وطمس الحقائق.

والحق ان دور المرأه فى الثوره الحسينيه كان دوراً واسعاً متعدد الوجوه متعدد العطاءات كما انه كان دوراً ثقيلاً فى زمن عسير وفى منعطف وعر من التحديات والمصاعب التى عاشها أهل البيت عليهم السلام بل وعاشتها رساله الإسلام كلها.. ولكن هذا الدور العظيم الذى جعله البعض عدلاً لدور الشهاده(١) لم يلاقِ من التعريف

١- يراجع كتاب الخطاب الحسينى للشيخ محمد مهدى الاصفى.

والنشر بشكل يتلائم مع عظمه شخوصه وأحداثه فما أكثر الكتب التى تناولت الحديث عن أسباب الثوره وأهدافها وشخوصها – وهو أمر مهم ومطلوب – لكن بين هذا الكم الكبير من الأوراق المنشوره.. كم نجد تعريفاً لهذا – العدل – وكم نجد توضيحاً لدور النساء فى المعركه وبعدها؟.. ربما لا نجد إلا همساً!! .. ولهذا أرى – ويرى غيرى أيضاً – ان دور المرأه فى النهضه الحسينيه قد تعرض للاجحاف والظلم والتهميش وسوء الفهم حتى من قبل انصار الثوره وحمله المنبر الحسينى .. فلقد رسمنا لهن صورا مسوّره بسور العجز والذل والانكسار المحبط وحصرناهن فى دائره الرثاء والأسى والحزن ونسينا ان هؤلاء [وعلى رأسهن السيده زينب عليها السلام] كن قمماً فى الصلابه وقوه الإراده والثقه بالنفس إلى غير ذلك من الصفات المهمه.. وما اكثر الباكين والنادبين الذين يبكون هؤلاء النساء وعلى ما جرى لهن من مصائب جمه لكنهم يقتلون هؤلاء النساء فى اليوم والليله مئات المرات من خلال أميه نساءهم وهيمنه الجهل والتخلف على أوضاعهن وحبسهن فى سرادق الوهم والتخلف.. وساهمت النساء فى قتل سبايا الطفوف من خلال افراغهن من كل محتوى فكرى وحضارى وحصر وجودهن فى بكاء انفعالى جامد غير قادر على هز الشخصيه الراكده لتخرج رطباً جنياً.

من ذلك كله نرى أنفسنا بحاجه إلى الارتباط بهؤلاء النساء العظيمات وبمواقفهن وأدوارهن وذلك لكى:

١ – نفهم أنفسنا ونفهم هويتنا الإنسانيه والرساليه.

٢ – نفهم أدوارنا ومسؤولياتنا وما هو المطلوب منا.

٣ – نفهم دورنا المطلوب فى نصره الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف والتمهيد لظهوره وهو الذى سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

۴ – ولكى نستقرئ منظومه القيم التى عندنا ونرى إلى أى مدى هى متوافقه مع قيم نساء الطفوف.

ومن هنا جاءت فكره كتابه هذه الوريقات المحدوده التى هى:

هى تذكره بهؤلاء النساء العظيمات فى التاريخ.

وهى دعوه للتأسى بهن والاقتداء بمنهجهن.

ولا ادعى القدره على عرض المطلوب فما تفلح قطره من بحر المعرفه فى التعريف بالبحر كله لكنها بدايه متواضعه ولعلها تكون سبباً للمزيد من البحوث.

وأود ان أشير الى ان جلّ الحديث فى هذا الكتاب سيكون عن نساء أهل البيت عليهم السلام، وخاصه عن السيده زينب عليها السلام، باعتبارها سيده الطف الأولى آملين ان نوفق فى التاسيس لبرنامج اعاده قراءه التاريخ برؤى معاصره.

((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)).

كفاح الحداد

الفصل الأول: المرأه قبل الطفوف

اشاره

ويمكن تقسيم هذه المرحله الى ۴ مراحل وهى:

١- المرأه فى العصر الجاهلى.

٢- المرأه فى العصر الذهبى (العصر النبوى).

٣- المرأه فى عصر خلافه الشيخين

۴- المرأه فى العصر الأموى.

١ – المرأه فى العصر الجاهلى

عُرف المجتمع الجاهلى بظلمه للانسان بصورتيه الذكر والانثى .. فقد عاش الرجل فيه مراره الرق وامتهان الكرامه وتغييب الحقوق الانسانيه وكان حال المرأه اشد ايلاما واعظم جرحاً.. فقد كانت مظالم النساء فى العصر الجاهلى كثيره تبدأ بالوأد ولا تنتهى عند العضل والظهار. وكانت تحرم من ارثها ولكنها فى نفس الوقت تصبح سلعه ومتاعا يورث كما يورث أى متاع! وللوارث الحق فى البيع والتزويج والحبس حتى الموت أيا كانت!. ولم تكن تملك حق اختيار الزوج أو حق التصرف فى أموالها، وكانت تعانى من الوأد الذى كان موجوداً عند قبيله واحده ثم اصبح عاده وعرفاً عند باقى القبائل!. والمؤوده المقتوله هى (الجاريه تدفن حيه سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها

أی یثقلها حتی تموت) وکان الوأد أحیاناً بسبب الفقر وغالباً ما یعود السبب إلی حمیه الجاهلیه حیث کانت القبائل العربیه یغیر بعضها علی بعض ولکی لا- تصبح البنات اساری عند الاعداء عُمد إلی قتلهن وهن صغار، وکان الوأد یتم بعده طرق منها ان المرأه فی الجاهلیه کانت إذا حملت حفرت حفره وتمخضت علی رأسها فان ولدت جاریه رمت بها فی الحفره وردت التراب علیها وان ولدت غلاماً حبسته ومنه قول الراجز:

سمیتها إذ ولدت تموت

والقبر صهر ضامن زمیت

فعد القبر صهر ضامن زمیت (أی وقور).

وفی تفسیر القرطبی والطبری عن قتاده قال: کانت الجاهلیه یقتل أحدهم ابنته ویغدو کلبه فعاتبهم الله علی ذلک وتوعدهم بقوله:(۱)

((وَإِذَا الْمَوْؤُودَهُ سُئِلَتْ (۸) بِأَیِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ)).(۲)

ولهذا کان أحدهم یغتم إذا ولدت له بنتاً، وإلی هذا یشیر القرآن الکریم:

((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَی ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ کَظِیمٌ (۵۸) یَتَوَارَی مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَیُمْسِکُهُ عَلَی هُونٍ أَمْ یَدُسُّهُ فِی التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا یَحْکُمُونَ)).(۳)

(فالإنسان الجاهلی کان یئد ابنته التی من صلبه ویتبنی ابن الفجور ویلحقه به!) وکان القوی یأکل الضعیف ویحّرم الرجال اطعمه علی النساء لکنها حلال علیهم، وکان القوم یتکسبون بفروج الاماء والجواری حتی شاعت ظاهره الرایات المنصوبه فی الأسواق وعلی الأبواب لدعوه الناس إلی الفجور والبغاء.(۴)

۱- السید مرتضی العسکری، القرآن الکریم وروایات المدرستین، ص ۴۵.

۲- سوره التکویر، الآیه ۸-۹.

۳- سوره النحل، الآیه ۵۸ - ۵۹.

۴- السید مرتضی العسکری، القرآن الکریم وروایات المدرستین، ص ۴۵.

ولم تحصل المرأه على ما يعينها على بناء شخصيتها وذاتها من العلم والمعرفه أو العمل النظيف إلى غير ذلك، وإلى وضع المرأه في العصر الجاهلي يشير العلامه الطباطبائي رحمه الله في تفسير الميزان إلى أحوال المرأه قبل الإسلام من خلال عده امور منها:

١ . انهم كانوا يرونها إنساناً ضعيف الإنسانيه منحطاً لا يؤمن شره وفساده لو اطلق من قيد التبعيه واكتسب الحريه في حياته.

٢ . انهم كانوا يرون في وزنها الاجتماعي انها خارجه من هيكل المجتمع المركب غير داخله فيه وانما هي من شرائطه التي لا غنى عنها كالمسكن لا غنى عن الالتجاء إليه.

٣ . انهم كانوا يرون حرمانها من عامه الحقوق التي امكن انتفاعها منها الا بمقدار يرجع انتفاعها إلى انتفاع الرجال القيمين بأمرها.

٤ . ان أساس معاملتهم معها فيما عاملوا هو غلبه القوى على الضعيف وبعباره أخرى قريحه الاستخدام.

٢ – المرأه في العصر النبوي (العصر الذهبي)

وهو عصر الإسلام ويبتدء من ظهوره في مكه حتى وفاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام ١١ه في المدينه. وإنما سُمي بالعصر الذهبي لأنه العصر الوحيد الذي طبق فيه الإسلام وبالتالي فهو العصر الوحيد الذي حصلت فيه المرأه على حقوقها السياسيه والثقافيه والاجتماعيه كما كان للمراه دور واضح في الحياه العامه وفي تغيير الكثير من العادات والقيم التي كانت سائده آنذاك. ويمكن القول ان المرأه في هذا العصر بدأت تعرف ذاتها ونفسها وتسعى لبناء شخصيتها وفق آيات القرآن الكريم وبدأت تتسابق مع الرجل لتحصيل سعاده آخرويه مطلوبه.

وباجمال عام يمكن ان نتناول ما أحدثه الاسلام من تغيير فى وضع المرأه الذاتى والعام من خلال عده أمور منها:

انه اعاد إليها اعتبارها الإنسانى الـذى افتقـدته على مر التاريخ فمن ناحيه اعتبرها الاسـلام صـنو الرجل فى الخلق ولا تمايز بينهما فى أصل الخلقه والتكوين، قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَهٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)).(١)

فالإنسان واحد وله صورتان صوره المرأه والرجل ولا فضل لاحدهما على الآخر إلا بالتقوى قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).(٢)

وهاجم الإسلام بشده عادات الجاهليه التى تؤذى المرأه فهاجم الوأد هجوماً شرساً. قال تعالى:

((وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ)).(٣)

واعلن احتجاجه على قتل الأولاد بسبب الفقر فالله هو الرزاق الكريم. قال تعالى:

((وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَهَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا)).(۴)

١- سوره النساء، الآيه ١.

٢- سوره الحجرات، الآيه ١٣.

٣- سوره التكوير، الآيه ١١.

۴- سوره الاسراء، الآيه ٣١.

بل ان القرآن الكريم هاجم وبشده الكراهه التى يظهرها الآباء عند ولاده البنت، قال تعالى:

((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)).(١)

وحرم القرآن التعامل مع المرأه على انها متاع يورث كما تورث الامتعه والمواشـى حيث كان الوارث يتحكم فيها كيفما يشاء فله الحق فى ان يعضلها من الزواج أو يزوجها من يشاء أو يبتز مالها قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ)).(٢)

واعطاها الحق الكامل فى الاحتفاظ بمالها وثروتها قال تعالى:

((لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ)).(٣)

و منحها من الحقوق ما للرجل قال تعالى:

((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)).(۴)

ولأنه اعتبرها إنساناً كاملاً كالرجل فهى إذاً كائن مكلف وعليها ان تؤدى ما عليها من الطاعات والعبادات ولها من الثواب ماله وعليها من العقاب ماعليه كما انه سبحانه وتعالى بيّن مقاييس التفاضل بين الرجال والنساء سواء بين الجنس الواحد أو

١- سوره النحل، الآيه ٥٩.

٢- سوره النساء، الآيه ١٩.

٣- سوره النساء، الآيه ٣٢.

۴- سوره البقره، الآيه ٢٢٨.

بين الجنسين وهى مقاييس اكتسابيه لا تقوم على الجنس أو الخلق أو الصوره أو النسب الى غير ذلك من الاعتبارات الدنيويه بل تقوم على اساس الإيمان والعمل الصالح والتقوى قال تعالى:

((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).(١)

وقال أيضاً:

((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)).(٢)

ومدح القرآن الرجال والنساء لا للذكوره أو الانوثه بل لمؤهلاتهم التكامليه ولايمانهم.

قال تعالى:

((إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)).(٣)

وهاجم القرآن من يتعرض للمؤمنين والمؤمنات بالاذى على حد سواء قال تعالى:

١- سوره الحجرات، الآيه ١٣.

٢- سوره النحل، الآيه ٩٧.

٣- سوره الاحزا ب، الآيه ٣٥.

((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)).(١)

وكشف لهم عن صوره الآخره وعرفهم بالنور الذى سيميزهم عن غيرهم، قال تعالى:

((يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)).(٢)

وجعل موازين الفلاح قائمه على الصلاه والزكاه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورسم ابعاد العلاقه بين الرجل والمرأه بانها علاقه ولاء من اجل خدمه دين الله، قال تعالى:

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)).(٣)

وجعل الخيبه فى عكس ذلك تماماً خيبه واضحه لكلا الجنسين، قال تعالى:

((الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)).(٤)

وقال أيضاً:

((وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا)).(٥)

١- سوره الاحزاب، الآيه ٥٨.

٢- سوره الحديد، الآيه ١٢.

٣- سوره التوبه ، الآيه ٧١.

٤- سوره التوبه، الآيه ٦٧.

٥- سوره التوبه، الآيه ٦٨.

وقال أیضاً:

((یَوْمَ یَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِینَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)).(۱)

والقی بمسؤولیه اعاله المرأه وتأمین نفقاتها علی الرجال وخفف علیها فی عبادتها فهی لا تقضی صلاتها ولکن تقضی صومها، بل انه تعهد لها بالحمایه والرحمه کما جاء فی الحدیث الشریف عن الإمام الصادق علیه السلام:

«ان الله تبارک وتعالی علی الاناث أرأف منه علی الذکور».(۲)

وضربها الله مثلاً للرجال والنساء علی حد سواء قال تعالی:

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِینَ آمَنُوا امْرَأَهَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِی عِندَكَ بَیْتًا فِی الْجَنَّهِ وَنَجِّنِی مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (۱۱) وَمَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِیهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِینَ)).(۳)

((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِینَ كَفَرُوا امْرَأَهَ نُوحٍ وَامْرَأَهَ لُوطٍ)).(۴)

وکرّم الإسلام الأم وجعل الجنه تحت أقدامها وامر ببرها والاحسان إلیها. فقد جاء فی الحدیث الشریف:

«الجنه تحت أقدام الأمهات».

وقال تعالی:

۱- سوره الحدید، الآیه ۱۳.

۲- الکلینی، الکافی، ج ۶، ص ۶.

۳- سوره التحریم، الآیه ۱۱-۱۲.

۴- سوره التحریم، الآیه ۱۰

((وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ)).(۱)

ومن محصله ذلک کله کانت (النساء شقائق الرجال) کما عبر الحدیث الشریف فبدأت المرأه المسلمه تشعر ان لها کیاناً مستقلاً وان علیها واجبات ولدیها حقوق وانها تتنافس مع الرجل من أجل الوصول إلی رضا الخالق وتحصیل النعیم الاخروی.

((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (۲۲) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (۲۳) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (۲۴) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (۲۵) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)).(۲)

وبهذا بدأنا نلمس حضوراً جدیداً للمرأهلم یکن سابقاً فقد شارکت فی البیعه (آیه ۱۳، سوره الممتحنه)، وشارکت فی الهجره (الآیه ۱۰، سوره الممتحنه)، وکانت حاضره فی الحروب والغزوات فهذه امیمه بنت القیس بن ابی الصلت الغفاری تعالج مرضی وجرحی المسلمین وتلک نسیبه المازنیه تقاتل فی المعرکه دفاعاً عن رسالتها ودینها وتحامی عن رسول الله یوم أحد وکانت تقی الرسول صلی الله علیه وآله وسلم حتی اصابتها جراحات کثیره.. یقول الواقدی فی المغازی:

وکن جئن (بعد معرکه أحد) أربع عشره امرأه منهن فاطمه بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یحملن الطعام والشراب علی ظهورهن ویسقین الجرحی ویداوینهم.

کما ظهر خطاب جدید للمرأه فبدأت مطالبات وتصریحات واخذت النساء المسلمات یطرحن افکارهن وما یجول فی خاطرهن علی القیاده العلیا المتمثله بالرسول

۱- سوره لقمان الایه ۱۴.

۲- سوره المطففین، الآیات ۲۲ - ۲۶.

صلی الله علیه وآله وسلم دونما ادنی حرج واصبحت المرأه تطالب بحقوق وامتیازات أکثر ومن هذه الصور مطالبه اسماء بنت یزید الانصاریه، فقد جاء فی المأثور انها اتت الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وهو بین اصحابه صلی الله علیه وآله وسلم، فقالت له: بأبی أنت وأمی انی وافده النساء إلیک، واعلم نفسی لک الفداء انه ما من امرأه کائنه فی شرق ولا غرب سمعت بمخرجی هذا إلا وهی علی مثل رأیی، ان الله بعثک بالحق إلی الرجال والنساء فآمنا بک وبالهک الذی ارسلک، وإنّا – معشر النساء – محصورات مقسورات، قواعد بیوتکم ومقضی شهواتکم وحاملات أولادکم وانکم – معشر الرجال – فُضلتم علینا بالجمعه والجماعات وعیاده المرضی وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلک الجهاد فی سبیل الله. وان الرجل منکم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لکم أموالکم وغزلنا لکم اثوابکم وربینا لکم أولادکم فما نشارککم فی الأجر یا رسول الله؟

التفت النبی صلی الله علیه وآله وسلم إلی أصحابه وقال: هل سمعتم مقاله امرأه قط احسن من مساءلتها فی أمر دینها من هذه؟(۱) فاجابه الصحابه: یا رسول الله ما ظننا ان امرأه تهتدی إلی مثل هذا.

ومطالبه أم سلمه اذ تسأل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: یا رسول الله لا اسمع الله ذکر النساء فی الهجره بشیء فنزلت الآیه:

((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی لاَ أُضِیعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنکُم مِّن ذَکَرٍ أَوْ أُنثَی بَعْضُکُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِینَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِیَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِی سَبِیلِی وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ

۱– الطباطبائی، تفسیر المیزان، ج ۲، ص ۳۵۰.

تَجْرِی مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)).(۱)

وهذه الآیات نزلت فی رکب الفواطم (فاطمه بنت اسد، وفاطمه بنت محمد صلی الله علیه وآله وسلم، وفاطمه بنت الزبیر) اللائی هاجرن مع علی بن أبی طالب بعد الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، ولحقت بهم فی ضجنان أم ایمن ونفر من ضعفاء المؤمنین فساروا وهم یذکرون الله فی جمیع أحوالهم حتی لحقوا بالنبی صلی الله علیه وآله وسلم.(۲)

یروی البخاری ومسلم عن أبی سعید الخدری قال: «جاءت امرأه إلی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت: یا رسول الله! ذهب الرجال بحدیثک، فاجعل لنا من نفسک یومًا نأتیک فیه، تعلمنا مما علمک الله. قال: اجتمعن یوم کذا وکذا، فاجتمعن، فأتاهنَّ النبی صلی الله علیه وسلم، فعلمهنَّ مما علمه الله. فهذه امرأه من الصحابیات تأتی الرسول صلوات الله علیه بجرأه أدبیه مشکوره وتخاطبه برباطه جأشٍ وتعرض علیه مطالیبها ومطالب النساء الاخریات وتحظی بالاجابه!. وهذا بحد ذاته ارتقاء فی سلم التطور الفکری والوعی النسائی.

وبدأت المرأه تشارک فی التغییر الاجتماعی عبر ازاحه الظواهر السلبیه التی کانت موجوده آنذاک کظاهره الظهار کما ورد فی سوره المجادله:

((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجَادِلُکَ فِی زَوْجِهَا وَتَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَاللَّهُ یَسْمَعُ تَحَاوُرَکُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (۱) الَّذِینَ یُظَاهِرُونَ مِنکُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ

۱- سوره آل عمران، الآیه ۱۹۵.

۲- الطباطبائی، المیزان، ج ۴، ص ۹۵.

أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ)).(۱)

وإذا كانت بدايه التغيير الإنسانى تبدأ من تغيير العقائد والأفكار فمعنى ذلك ان العقيده الإسلاميه قد حملت أساس التغيير الأولى للمرأه والرجل على حد سواء، فلم تنطلق المرأه بمفردها نحو الكمال والتكامل بل كانت مع الرجل فى مسيره الدعوه والتزكيه، فإذاً هو تغيير شامل كاسح لكل القيم الجاهليه التى تُبنى على أساس الصوره والجنس، ولئن كان الإسلام قد رسم اطار الحياه الخاصه للمرأه فى دائره حياتها الزوجيه والاسريه فكانت هناك تباينات ظاهريه فى بعض الحقوق فان هذا لا يعد موشراعلى التمييز ضد المرأه لان الإسلام ينطلق من رؤيه شامله واسعه للمجتمع كله وعلى اساس العداله والمساواه وليس المساواه فقط (وان كانت المطالبه الان تدور حول التشابه قبل المساواه والعداله!).

وبهذا كان ظهور الإسلام منعطفاً كبيراً فى حياه المرأه والرجل على حد سواء.. فالإنسان الجاهلى الذى آمن بالاسلام اخذ يعيش همَ الرساله والدين.. واصبح ذو هدف عالمى فى نشر الإسلام فى ارجاء المعموره، وشعر الرجل والمرأه بانهما معنيان بشؤون المجتمع واعمار الكون وان الارتقاء الذاتى والاجتماعى يتحقق عن طريق تبنى القيم الدينيه العليا وليس على أساس المتعه الماديه الرخيصه أو العادات الجاهليه.

وفى هذه الحقبه الزمنيه القصيره لمعت اسماء فى سماء الرساله وازهرت نجوم لا تضاهى وكانت هؤلاء النساء هن القدوه الحسنه الصالحه للاقتداء وهن يعبرن عن الإسلام كمنظومه صالحه لقياده الأمه واعداد النموذج النسائى الرفيع المتسامى على الشهوات والغرائز والذى يعيش غايات عليا تتمثل فى رضا الله وتحصيل الدار الآخره

۱- سوره المجادله، الآيه ۱-۲.

ونصره الرساله.. وتأتی السیده خدیجه بنت خویلد أم المؤمنین کنموذج سامی لامرأه ثریه انفقت ما لدیها من أجل نصره عقیده امنت بها، نموذج لامرأه قویه الشخصیه صمدت أمام حراب المجتمع وبغض نساءه وواست فقراء المسلمین بما عاشته من جوع أیام الحصار القاسی...

وکانت فاطمه الزهراء علیها السلام بضعه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم نجماً زاهرا فی سماء العقیده. هذه المرأه التی عاشت عمراً قصیراً لکنها کانت مع الرساله وتعیش هم الرساله کله حتی سمّاها أبوها النبی القائد صلی الله علیه وآله وسلم بأم أبیها.. فقد کانت الزهراء نموذجاً لامرأه تشارک فی الحیاه الثقافیه من خلال ما کان لدیها من حلقات ثقافیه تقیمها لنساء المدینه حیث تعلمهن شؤون دینهن وترد فیها علی اسئلتهن(۱).

ثم کانت هی النموذج السیاسی من خلال مشارکتها فی حمل الهم السیاسی وکانت هی النائبه عن النساء المسلمات فی مؤتمر المباهله. ثم انها علیها السلام کانت ذات حضور اجتماعی واسع تشهد لها به سوره الدهر فیما ورد فی فضائلها الکثیره التی لا مجال للحدیث عنها الآن، بل انه حتی فی طریقه تعامل الرسول صلی الله علیه وآله وسلم معها فی اکرامه لها وقیامه لها واعانته لها فی شؤونها البیتیه لهونموذج لتبدیل صوره الکراهه التی کانت تلاقی بها الانثی فی المجتمع الجاهلی الی صوره انسانیه عظیمه.

ان هذه النماذج العلیا کانت تعبیراً واضح المعالم عن اطروحه الرساله وما جاء به الإسلام الجدید بالنسبه للمرأه وما یرید أن تکون علیه.

وکانت هناک نماذج نسائیه رفیعه کسمیه أم یاسر.. الشهیده الاولی.. والتی

۱- فکانت أول المدارس الثقافیه فی الإسلام فی المدینه وبذلک قادت الحرکه الفکریه الأولی للنساء المسلمات.

يبشرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجها وولدها بالقول: صبراً آل ياسر ان موعدكم الجنه.. ربما لم تصل سميه إلى مرتبه الوعى الفكرى الموجود حالياً عند نساءنا لكنها جسدت إيمانها فى صوره خالده وفى سلوك عملى مثمر.

وواجهت هذه السيده كما واجهت خديجه عليها السلام وغيرها من المسلمات الأوائل شتى أنواع العنف السياسى القاسى ضد المرأه المسلمه - كما هى الحال فى الرجل - لكنها كانت ذات اراده قويه فى الله وكشفت عن صلابتها وصمودها امام التحديات.

وهذه «نسيبه المازنيه» التى كانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزواته، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه، فقالت: يا بنى، إلى اين تفر عن الله وعن رسوله، فردته.

فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف أبنها، فحملت على الرجل فقتلته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بارك الله عليك يا نسيبه.

وكانت تقى رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى أصابتها جراحات كثيره.(۱)

ويمكن القول ان هذه الصور العليا للنساء قد اوضحت للمرأه ما لها وما عليها من حقوق وواجبات ومسؤوليات وبالتالى اخرجت المرأه من اطار الاستغراق الذاتى والانغماس فى شؤون الحياه الخاصه إلى أفق الحياه العامه التى هى للجميع رجالاً ـ ونساءاً وبذلك قدّمن النموذج العملى للصوره التى يريدها الإسلام للمرأه المسلمه.. والتى هى صوره عليا لا ـ تستغرقها الشهوات والملذات بل تتسامى فى حجابها وعفافها وفى طلبها للعلم وتبحث فى الدائره الحياتيه الواسعه عن ميادين سبق مع الرجل المسلم لتحصيل رضا الله والفوز بالجنه.

۱- عن سفينه البحار، ج۲، ص ۵۸۵.

۳ – المرأه فی عصر خلافه الشیخین

یبدأ هذا العصر منذ وفاه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم عام ۱۱ه حتی استشهاد أمیر المؤمنین علیه السلام فی عام ۴۰ه.. یتمیز هذا العصر بانه یبتدئ باحتجاج شدید اللهجه من قبل الزهراء بنت الرسول صلی الله علیه وآله وسلم علی الخلیفه الأول، تشارکها فی هذه المواجهه مفردات من النساء مع مفردات رجالیه بقیت ثابته علی عهدها لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یوم الغدیر.

وقد کان احتجاج الزهراء علیها السلام بشأن سلب حقها فی ارض فدک ولم تکن الأرض –کمنفعه شخصیه – هی السبب الوحید فی الاحتجاج علی الحکومه آنذاک بل ارادت الزهراء ان تکشف للأمه الإسلامیه من خلال قضیه فدک بدایه الانحراف الذی تتعرض له الأمه وبدایه التزییف والاقصاء للنهج القرانی والذی بدا واضحاً فی سلب أمیر المؤمنین علیه السلام حقه فی الخلافه واستغلال انشغاله بتکفین الرسول ودفنه کی یثّبت الحکم خارج البیت النبوی بصوره تدل علی استغراق الناکثین للبیعه فی حمّی الدنیا وحمّی الجاهلیه المقیته ونموذجاً للذوب فی الانا والذات بعیداً عن مصلحه الإسلام العلیا. ولم یکن هیناً علی ابنه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم ان تقیم دعوی الاحتجاج علی الخلیفه ولکن کان لابد من حرکه کی یفهم الناس وعوره الطریق الذی دخلو فیه.. وابتدأ احتجاج الزهراء علیها السلام من خلال مواقف عده مره مع الخلیفه نفسه ومره أمام الأمه نفسها.. لقد واجهت الخلیفه نفسه دون خوف أو تردد.. وانی یکون ذلک وهی بضعه الرسول التی یغضب البارئ لغضبها.. فقد روی عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه علیهم السلام:

أنه لما اجتمع أبو بکر وعمر علی منع فاطمه الزهراء علیها السلام فدکاً، وبلغها ذلک، لاثت خمارها علی رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت

فی لمّه من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذیولها، ما تخرم مشیتها مشیه أبیها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، حتی دخلت علی أبی بکر وهو فی حشد من المهاجرین والأنصار وغیرهم، فنیطت دونها ملاءه، فجلست، ثم أنَت أنّهً أجهش القوم لها بالبکاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنیهه حتی إذا سکن نشیج القوم وهدأت فورتهم.

قالت: ...

یا أیها الناس أعلموا أنی فاطمه، وأبی صلی الله علیه وآله وسلم أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً.

((لَقَدْ جَاءکُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُم بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُوفٌ رَّحِیمٌ)).

فإن تعزوه، وتعرفوه تجدوه أبی دون نسائکم، وأخاً ابن عمّی دون رجالکم ... إلی اخر خطبتها العظیمه.(١)

وقد حاول الخلیفه استرضاءها لکنها اعلنت موقفها بصراحه بالقول:

أیها المسلمون! أأغلبُ علی إرثیه؟ یا ابن أبی قحافه! أفی کتاب الله أن ترث أباک ولا أرث أبی؟ لقد جئت شیئاً فرّیاً علی رسول الله!! أفعلی عمدٍ ترکتم کتاب الله، ونبذتموه وراء ظهورکم؟

إذ یقول:

((وَوَرِثَ سُلَیْمَانُ دَاوُودَ)).

وقال فیما اقتصّ من خبر یحیی بن زکریا (علیه السلام) إذ قال:

((فَهَبْ لِی مِن لَّدُنکَ وَلِیًّا (٥) یَرِثُنِی وَیَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ)).

١- الخطبه موجوده بکاملها فی کتاب (بلاغات النساء) لابن طیفور وفی الاحتجاج للطبرسی وکتب اخری.

وقال:

((وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ)).

وقال:

((يُوصِيكُمُ اللّهُ فِى أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)).

وقال:

((إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّهُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)).

وزعمتم أن لا حظوه لى ولا إرث من أبى ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآيه من القرآن أخرج أبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منها؟ أم تقولون: أهل الملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبى من أهل ملّه واحده؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟ فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد (صلى الله عليه آله وسلم) والموعد القيامه، وعند الله الساعه يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قلتم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللّهُ الشَّاكِرِينَ)).

إيها بنى قيله أأهضَم تراث أبى؟ وأنتم بمرأى منى ومسمع؟ ومنتدى ومجمع؟ تلبسكم الدعوه، وتشملكم الخبره، وأنتم ذوو العدد والعدهً، والأداه والقوه، وعندكم السلاح والجنّه توافيكم الدعوه فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخه فلا تغيثون، وأنتم موصفون بالكفاح، معرفون بالخير

والصلاح والنجب التى انتجبت والخيره التى اختيرت، لنا أهل البيت، قتلتم العرب وتحملتم الكدّ والتعب وناطحتم الأمم وكافحتم البُهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودرّ حلبُ الأيام، وخضعت نعره الشرك، وسكتت فوره الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوه الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤساً لقوماً نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم، وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدأوكم أول مره، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا قد أرى ان قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وركنتم إلى الدعه، ونحوتم بالضيقه بعد السعه، فمججتم ما وعيتم، ..، فإن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد.

ألا ـ وقد قلت ما قلت على معرفه منّى بالخذله التى خامرتكم والغدره التى استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضه النفس ونفثه الغيظ وخور القناه، وبثه الصدور، وتقدمه الحجه، فدونكموها فاحتقبوها دبره الظهر، نقبه الخفّ باقيه العار، موسومه بغضب الله وشنار الأبد، موصوله بنار الله الموقده التى تطلّع على الأفئده، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون، وأنا ابنه نذير لكم بين يدى عذاب شديد.

فأجاب أبى بكر قال: يا ابنه رسول الله! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، ورؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخاً لبعلك دون الإخلاء، آثره على كل حميم، وساعده فى كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا كل سعيد، ولا يبغضكم إلا كلّ شقى بعيد، فأنتم عتره رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الطيبون، والخِيره المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنه مسالكنا، وأنتِ يا خيره النساء، وابنه خير الأنبياء، صادقه فى قولك، سابقه فى وفور عقلك، غير مردوده عن حقك، ولا مصدوده عن صدقك، والله ما عدوت رأى رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، وأن الرائد لا يكذب أهله، وإنى أشهد الله وكفى به شهيداً، إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نوّرث ذهباً ولا فضه ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمه، والعلم والنبوه، وما كان لنا من طعمه فلولىّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه، وقد جعلنا ما حاولته فى الكراع والسلام، يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار.. وذلك بإجماع من المسلمين!! لم أتفرد به وحدى، ولم استبد بما كان الرأى عندى، وهذه حالى ومالى، هى لك وبين يديك لا نزوى عنك ولا ندخّر دونك، وأنت سيده أمه أبيك، والشجره الطيبه لبنيك، لا ندفع مالك من فضلك، ولا نوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداى، فهل ترين أن أخالف فى ذلك أباك (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فقالت (سلام الله عليها):

سبحان الله! ما كان أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتاب الله صادفاً ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، لا ويقتنى سوره، أفتجمعون الى الغدر اعتلالاً عليه بالزور والبهتان وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل فى حياته فهذا كتاب الله، حكماً عدلاً وناطقاً فصلاً، ويقول:

((يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ))؛

((وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ))،

فبيّن الله عز وجل فيما وزع عليه من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث،

وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح به علّه المبطلين وأزال التظنّى والشبهات فى الغابرين كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

فقال لها أبو بكر: صدق الله، وصدق رسوله، وصدقت أبنته، أنتِ معدن الحكمه، وموطن الهدى والرحمه، وركن الدين، وعين الحجه، ولا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمين بينى وبينك، قلدونى ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفت فاطمه (عليها السلام) إلى الناس، وقالت:

معاشر المسلمين المسرعه إلى قيل الباطل، المغيضه على الفعل القبيح الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه إعتصبتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ...، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما ورائه الضرّاء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هناك المبطلون.

ثم عطفت على قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثه

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها

وختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا

وكل أهل له قربى ومنزله

عند الإله على الأذنين مقترب

أبدى رجال لنا نجوى صدورهم

لما مضيت وحالت دونك التراب

تجهمنا رجال واستخف بنا

لما فقدت وكل الإرث مغتصب

وكنت بدرا ونورا يستضاء به

عليك تنزل من ذى العزه الكتب

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا

فقد فقدت وكل الخير محتجب

فليت قبلك كان الموت صادفنا

لما مضيت وحالت دونك الكتب

إنا رزئنا بما لم يرزّى ذو شجن

من البريه لا عجم ولا عرب

قال الراوى فما رأينا أكثر باكياً ولا باكيه من ذلك اليوم.

والـذى يتأمل هـذا الحوار الساخن والذى كان امام الانصار والمهاجرين فانه يقف امام قوه امرأه وثباتها ولا يتردد اثنان فى القول ان الذى دفعها لمحاججه الخلفه الاول هو شعورها بالمسؤوليه وحرصها على مصلحه الامه وعملا بفريضه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجاء الخطاب ورسول الله راحل للتو والزهراء والامه معزاه برسول الله.

ترك هذا الموقف صداه على المرأه المسلمه فها هى سيده نساء العالمين وبضعه الرسول التى مَن آذاها فقد آذى رسول الله ومن اذى الرسول فقـد اذى الله.. تغبن فى جمله حقوقهـا وهى تـدافع عن حقهـا وتـاتى بالشـهود وتـاتى بالاـدله والبراهين ولكن لا من

سامع! فكيف بالاخريات؟ ثم ما هو الموقف المطلوب هل هو السكوت امام كل الاخطاء والانحرافات ام هو الانزواء والانكماش ونبذ كل الصور المشرقه التى كانت للمرأه المسلمه فى عصرها الذهبى؟ وكيفما تكون الاجابات فلقد ترك الموقف المؤلم صداه وولّد عند المراه المسلمه ان الجاهليه قد عادت وبدا العصر الذهبى للمرأه المسلمه يتحول الى طيف عابر الى الزمن الماضى وبذلك أُعلن عن بدايه تجميد الطاقات النسائيه التى تشكل نصف المجتمع.

وبوفاه الزهراء عليها السلام تغيب - والى امد - القدوه الصالحه المطلقه للنساء وتتسع المسافه بين ما هو مطلوب وما هو موجود الامر الذى يؤدى الى مزيد من الانكماش الانزواء. ويمكن القول ان عصر الخلافه الراشده هو عصر الافول بالنسبه للمرأه أو عصر القهقرى فلا نسمع عن مطالبات أو احتجاجات الا الشىء اليسير كما

حصـل أبـان حكم الخليفه الثـانى وهو يخطب فى المسـلمين وينهـاهم عن المغالاـه فى المهور، فـانبرت له امرأه من صف الناس، وقالت: ما ذاك لك.

فقال: ولمه؟

اجابت: لأن الله تعالى يقول:

((... وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً)).(۱)

فرجع عمر عن رأيه، وقال: أخطأ عمر واصابت امرأه.

واما الحادثه الثانيه التى تركت اثرها فى هـذه الفتره فهى خروج السـيده عائشه زوج الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم على أمير المؤمنين وحدوث حرب الجمل فى البصره، وقد اتسمت هذه الحاله بالامتداد – بين المدينه والبصره – وعرّفها الكثيرون بانها فتنه لما خرجت (أم المؤمنين على أمير المؤمنين) وسمتها بنت الشاطئ بالمأساه!.(وقد انفردت «عائشه» بدور البطوله فى تلك المأساه المعروفه فى التاريـخ باسم موقعه «الجمل» الـذى ركبته أم المؤمنين على رأس الجموع المعارضه الثائره، وكانت هى القائده العليا للجيش: تصدر الأوامر، وتعين الأمراء، وتوجه الرسل بكتبها ذات اليمين وذات اليسار مصدره بالعباره التاليه:

«من عائشه ابنه أبى بكر، أم المؤمنين، حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى ابنها الخالص فلان..».

«أما بعد فإن أتاك كتابى هذا فاقدم فانصرنا، فإن لم تفعل فخذّل للناس عن على».

۱– سوره النساء، الآيه ۲۰.

ولباها من لبى، ورد عليها من يقول:

«... أما بعد فأنا ابنک الخالص إن اعتزلت ورجعت إلى بيتک، وإلا فأنا أول من ينابذک».

أو يقول:

«رحم الله أم المؤمنين! أُمرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فترکت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه»!(۱)

وقد نهتها ام سلمه حين أتت عائشه وقالت لها:

«أى خروج هذا الذى تخرجين؟... الله من وراء هذه الأمه!! لو سرت مسير هذا ثم قيل لى: ادخلى الفردوس. لاستحييت أن ألقى محمداً هاتکه حجاباً قد ضربه علىّ!».

لکن «عائشه» لم ترجع... بل مضت فى طريقها. وتخلفت أمهات المؤمنين عنها. - وکن قد خرجن معها إلى مکه - مؤثرات أن يرجعن إلى «المدينه»، إلا «حفصه بنت عمر» فإنها قالت: «رأيى لرأى عائشه تبع».

وأرادت أن تخرج معها إلى البصره. فحال أخوها «عبد الله بن عمر» دون ذاک، ولم تجد «حفصه» بداً من الاعتذار والقعود!.(۲)

وکان لهذه الواقعه تأثيرها على جمهورالمسلمين فى عدد الضحايا والذين کانوا يقدرون ب۱۵ الفا من حمله القرآن!! مضافا اليها تداعيات اخرى کثيره لا مجال لذکرها هنا. والمهم انها شوشت وشوهت المفاهيم حول وضع المرأه وعلاقتها بالسلطه والمجتمع،

۱- الدکتوره عائشه عبد الرحمن، بنت الشاطئ، السيده زينب، ص ۶۲.

۲- نفس المصدر السابق، ص ۶۹.

كما انها زعزعت هذه الواقعه ثقه المرأه بنفسها وجعلتها فى حيره من أمرها[1].

فما هو المطلوب منها وما هى أدوارها ومشاركتها فى الحياه الاجتماعيه والسياسيه وهل المطلوب لها ان تتحرك بهذا الاسلوب فى اشعال لهيب الحرب فى بلاد المسلمين ام المطلوب اللجوء الى لغه الحوار وحفظ الاولويات الاساسيه للامه والتى تقوم عليها قيمها الدينيه العليا، ومن جانب آخر فقد ضاعفت هذه الفتنه من نسبه التشوشات عند الرجل نفسه فى رؤيته للمرأه فما هى الصوره الصحيحه لحركه المرأه فى المجتمع؟ ومَن الذى يرسم الابعاد الصحيحه لهذه الحركه؟ وما هو الامتداد الواجب منها؟.

وإذا ما استعرضنا هذه الفتره التى امتدت اكثر من ۳۰ عاماً تقريباً لوجدنا ان انحسار المرأه الطويل عن الحياه العامه ثم مجىء حرب الجمل كخروج صريح عن المألوف والمطلوب ثم كانت هناك الفتوحات الكثيره التى استغرقت المسلمين وجعلتهم يعيشون همّ الأراضى والغنائم (لا هم الرساله والدين) الامر الذى افرز نوعاً من الابتعاد عن القيم الدينيه الأصليه وتصوير الدين بانه مجرد طقوس جوفاء!.

فإذاً هناك تغيرات على أكثر من صعيد.. فهناك استغراق فى الجانب المادى والاقتصادى بسبب الفتوحات والتمايز الطبقى وهناك اهمال مقصود واقصاء واضح لأهل البيت عليهم السلام عن الحياه العامه. كما ان هناك تغيرات اجتماعيه وفكريه كثيره.

ويمكن ان نستقرئ الأسباب التى ادت إلى أفول العصر الذهبى للمرأه وإلى انحسار وجودها الفاعل فى الحياه العامه إلى أمور منها:

۱ - بقاء النزعه الجاهليه فى النفوس، تلك النزعه التى تنظر إلى المرأه على انها

۱- هذه الواقعه شوهت تصورات المرأه عن ذاتها وعن الدين وعن القدوه.

مخلوق ثانوى للمتعه وليس أكثر، وهى تابع للرجل وليس كائناً مستقلًا. هذه النزعه التى بقيت رواسبها فى النفوس حيث ان الفتره الزمنيه بين فتح مكه سنه ٨ ه بين وفاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سنه ١١ه كانت قصيره الامد وقد دخل فى الإسلام خلق كثير من طوائف ونماذج شتى فيهم المعاندين وفيهم السذج والجهال والحاقدين وبالتالى لم يتفهّم هؤلاء (فى هذا الظرف القصير) رؤيه الإسلام حول المرأه ولم يجدو الوقت الكافى للاهتمام بامور الدين واكتفوا بقول الشهادتين دون وعى لمتطلباتها.. وهؤلاء عاشو منذ البدايه رؤيه ان فى انعزال النساء عن الحياه المجتمعيه منفعه لهم فى قضاء شؤونهم وغياب من يحاججهم ويناقشهم فى الشؤون العامه واقصاء للمنافس لهم فى سلطانهم الازلى وبعباره أخرى للابقاء على الارث القديم (ذكوريه المجتمع) مع الحفاظ على كون المرأه مخلوق ثانوى اعجم لا يفقه أمور المجتمع ولا دور لها فيه. وللأسف بقى هذا الأرث متواصلًا حتى جاء إلينا ونحن فى القرن الحادى والعشرين!.

٢ – انشغال المسلمين بأمر الفتوحات واتساع الدوله الإسلاميه بحيث اصبح ذلك شغلهم الشاغل وغاب ازاء ذلك اهتمامهم بالفكر والوعى الدينى وإلى هذا الأمر يشير الاستاذ مازن هاشم بالقول:

إن اتساع الدوله الإسلاميه ودخول اعراف كثيره ونماذج شتى فى الإسلام قد أدى إلى تغييرات اجتماعيه فى نمط الحياه واتساع المدن إلى غير ذلك، ويضيف:

فى مثل هذا الجو بدأت المرأه انسحابها من المشاركه فى الحياه العامه، وكان المجتمع فى الفترات اللاحقه يتكون فى غالبيته الساحقه – والتى اصبحت تشكل الواقع – من خليط من البشر أصبح انسياقهم للإسلام فى جزء منه نوعاً من التماشى الثقافى التقليدى أكثر منه التزاماً فكرياً وإيمانياً بحتاً.(١)

١– مازن هاشم، المنعطف، عدد ١٥/١٦، ص ٩.

۳ – اقصاء أهل البيت عليهم السـلام عن الحياه العامه بكل تشـعباتها السياسيه والثقافيه والاجتماعيه وهذا ما مهد لظهور الكثير من الانحرافات وسهّل المروق عن النهج السليم، مما أدى إلى اتساع الفارق بين النظريه والتطبيق. وإلى فرض الطوق حول اهل البيت وتحجيم ادوارهم الاساسـيه طوال هـذه المـده. ولقـد وقع الخلفـاء انفسـهم فى اخطـاء وزلات عكست حاله العجز عن فهم الرؤيه الاسـلاميه الصـحيحه فى الأـمور التى اعترضت مسارهم مما جعلهم يسـتغيثون بأمير المؤمنين على عليه السـلام مرات ومرات وهم القائلون: (اعوذ بالله من معضله ليس لها ابا الحسن)(۱). ولكنهم فى نفس الوقت حاصروا وجود أهل البيت عليهم السلام الفكرى والثقافى والـدينى فبقى الناس – غالبيتهم – فى جهلهم للاسـلام واحكامه. فمثلاً صـلاه الميت والتى صـلوها مع الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم ملايين المرات لكنهم اختلفوا فى عـدد تكبيراتها بعده!!.. وهذا هو السـبب فى اختلاف الرؤى والمناهج فى وقتنا الحاضـر فهنـاك من يرى ان فى تعليم النساء جنوناً وهناك من يرى ان النساء تخرج من بيتها مرتين مره لزوجها ومره لقبرها وإذا ما تكلم أحـد عن حقوق المرأه الحقيقيه فى الإسـلام ومسؤولياتها العظيمه ودورها فى زمن الانتظار فانه يُتهم ويُهاجم ويُنبـذ والله أعلم بعدها ماذا يحصل؟!.

على هذا انكمشت المرأه وعاشت فراغاً فكرياً بعد الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم اقسى من الفراغ الفكرى الذى عاشه الرجل وحيل بينها وبين فهم الدين الصـحيح لضـعف الصله بين الناس ونساء أهل البيت عليهم السلام كالسيده زينب عليها السلام وباقى الصالحات كأم سـلمه (رض) الأمر الـذى ابقى المرأه فى دائره الوهم وضـيق الافق وغياب الوعى. وازاء امرأه كهذه ماذا نتوقع ان تكون النتائج؟ وهل هناك انتظار لانطلاقات نسويه أو ممارسات ثقافيه أو اسهامات أو ابداعات فى الصعيد

۱– تاريخ ابن كثيرج۷ ص۳۵.

الاجتماعی أو الفکری أو السیاسی؟.

إلی هذا یشیر الاستاذ مازن هاشم بالقول: ان المرأه شارکت فی الفتره الأولی عملیاً وعلی جمیع الاصعده بحیث کان من غیر الممکن ان یتم عزلها عن عملیه الجهاد وهی التی کانت تشارک بشکل أساس فی مختلف فعالیات الحیاه والمجتمع بدءاً من عملیات اتخاذ القرارات وانتهاءاً بالمشارکه العملیه فی تنفیذها وذلک بحکم المنظومه السیاسیه والاجتماعیه الشوریه.. بینما تغیرت فی الفترات اللاحقه تلک المنظومه وضاقت إلی حد کبیر لتخرج منها شرائح کبیره کان فی مقدمتها المرأه التی انعزلت شیئاً فشیئاً داخل جدران المنازل والقصور وساهم نمط الحیاه المیسر فی ذلک.(۱)

وأبان خلافه امیر المؤمنین الامام علی بن ابی طالب علیه السلام وخاصه بعد انتهاء التحکیم الذی حصل فی صفین. بدأ الامویون بترتیب اوضاعهم تمهیدا لاستیلاءهم علی الخلافه لاحقاً.. وقد حصلت انتهاکات کثیره منها ما فعله العامری حیث قتل عاملا لعلی یقال له حسان بن حسان مع جمع من الموالین لأهل البیت وإلی هذا اشار الامام فی احدی خطبه بالقول:

هذا أخو عامر قد جاء الأنبار فقتل عاملها حسّان بن حسّان وقتل رجالاً کثیر أو نساءً، والله بلغنی انّه کان یأتی المرأه المسلمه والأخری المعاهده فینزع حجلها ورعائها ثم ینصرفون موفورین لم یکلم أحدٌ منهم کلماً، فلو أنَّ امرءاً مسلماً مات دون هذا أسفاً لم یکن علیه ملوماً بل کان به جدیراً.(۲)

وهذ الخطبه تبین ألم الامام علیه السلام لما حصل للنساء وتکشف لنا عن المنحدر الذی سقطت فیه الامه.

۱- مازن هاشم، المنعطف ۱۵/۱۶، ص ۱۰.

۲- عبد الحسین احمد الأمینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّه والادب، ج۱۱، ص ۱۷.

وقد اغار بسر بن ارطأه علی همدان وسبی نسائهم فکن اول مسلمات سبین فی الاسلام.(۱)

وقد کانت هناک احتجاجات نسائیه علی السلوک الاموی منها احتجاج نساء من بنی کنانه علی قیام بسر بذبح ولدی عبید الله بن عباس.. قال ابن یونس: کان عبید الله بن العبّاس قد جعل ابنیه عبد الرّحمن وقثم عند رجل من بنی کنانه وکانا صغیرین فلمّا انتهی بُسر الی بنی کنانه بعث إلیهما لیقتلهما، فلمّا رأی ذلک الکنانی دخل بیته فأخذ السیف واشتدّ علیهم بسیفه حاسراً وهو یقول:

ألليث من یمنع حافات الدار

ولا یزال مصلتاً دون الدار(۲)

إلا فتی أروع غیر غدّار

فقال له بُسر: ثکلتک أمّک والله ما أردنا قتلک فلِمَ عرضتَ نفسکَ للقتل. فقال: أُقتل دون جاری فعسی أعذر عند الله وعند الناس.

فضرب بسیفه حتّی قُتل، وقدّم بُسرم الغلامین فذبحهما ذبحاً، فخرج نسوهٌ من بنی کنانه فقال قائلهٌ منهنَّ: یا هذا هؤلاء الرجال قتلت فعلامَ تقتل الولدان؟ والله ما کانوا یُقتلون فی الجاهلیّه ولا إسلام والله انّ سلطاناً لا یقوم إلا بقتل الرضَّع الصغیره والمدره الکبیر، وبرفع الرّحمه وعقوق الأرحام لسلطان سوء فقال لها بُسر: والله لقد هممت أن أضع فیکنَّ السیف.

فقالت: تالله انّها لأخت التی صنعت، وما أنا بها منک بآمنه. ثمَّ قالت للنساء اللواتی حولها: ویحکنَّ تفرَّقن.(۳)

۱- نفس المصدر، ص۲۱.

۲- والصحیح: ولا یزال مصلتاً دون الجار.

۳- عبد الحسین احمد الامینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّه والادب، ج۱۱، ص۲۲.

۴ – المرأه فی العصر الأموی

واجه المجتمع الإسـلامی فی العصـر الأموی الکثیر من الضـغوطات والتحدیات، فقد اتبع الأمویون سیاسه الترهیب ضد کل من لا یتبنی النهـج الاموی والـذی یقوم اساسا علی بغض علی بن ابی طالب علیه السـلام وسـبه علی المنابر!!. وبهـذا بدات حقبه دمویه مقیته تقوم علی تصـفیه کـل الموالین لآـل البیت علیهم السـلام. فقـد کتب معاویه إلی ولاته فی جمیع الأمصار: «انظروا مَنْ قامت علیه البیّنه أنّه یحبّ علیّاً وأهل بیته، فامحوه من الدیوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه»(۱).

وکتب کتاباً آخر جاء فیه: «مَنْ اتّهمتموه بموالاه هؤلاء القوم، فنکِّلوا به، واهدموا داره»(۲).

وقد صوّر الإمام محمّد الباقر (علیه السلام) تلک المأساه الدامیه بأقصر عباره وأدقها حین قال:

«فقُتلت شـیعتنا بکـلِّ بلـده، وقطعت الأیـدی والأرجـل علی الظنّه، وکـان منْ یُـذکِّر بحبّنـا والانقطاع إلینا سُـجن، أو نُهِبَ ماله، أو هُدِمَت داره، ثمّ لم یزل البلاء یشتدّ ویزداد إلی زمانِ عبید الله بن زیاد قاتل الحسین (علیه السلام)»(۳).

وبهذا استشهد خلق کثیر کحجر بن عدی وعمرو بن حمق الخزاعی ورشید الهجری وغیره.

۱– ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغه، ط دار احیاء الکتب العربیه، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۳۸۷ه، ج۱۱، ص۴۵.

۲– المصدر السابق.

۳– المصدر السابق، ص ۴۳.

وكثيراً ما كان الانصار والموالين يمكثون بلا عطاء ولا ذنب لهم الا أنهم ينصرون أهل البيت عليهم السلام(١).

وكانوا (الامويون) إذا عصاهم أحد من المسلمين قطعوا عطاءه ولو كان العاصون بلدةً برمتها.(٢)

واتبع الأمويون سياسه الترغيب عبر اغداق الأموال لشراء الذمم ووضع الأحاديث المزيفه ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهى التى تمسح عن أهل البيت وخاصه أمير المؤمنين عليه السلام كل فضيله وتهب فضائله إلى آل أميه!!.

كما أثار معاويه الروح القبليه والقوميه وبذلك اثيرت الصراعات والتمييز العنصرى بين طبقات المجتمع الواحد. وعمد الامويون الى اتباع سياسه الاقصاء لأهل البيت عليهم السلام عن الحياه العامه وبكل الوسائل اينما كانوا وكيفما كانوا رجالاً ونساءاً. وعمل الامويون ايضا على تجويع انصاراهل البيت واغداق الأموال الطائله على أعدائهم وعلى الشعراء الذين يمدحون بنى اميه وعلى وضّاع الأحاديث فقد أُعطى سمره بن جندب ۴۰۰ ألف درهم ليجعل الآيه:

((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ)).

نازله فى ابن ملجم ففعل!.(٣)

واما عبد الرّحمان بن عوف فقد قسّم ميراثه على سته عشر سهماً، فبلغ نصيب كلّ امرأه له ثمانين ألف درهم!.(۴)

١- محمد مهدى شمس الدين، ثوره الحسين ، ۶۸، نقلاً عن زيدان، التمدن الإسلامى.

٢- نفس المصدر.

٣- ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغه، ج ۴، ص ۷۳.

۴- المسعودى، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٣.

وحصل مروان بن الحكم على خمسمائه ألف دينار من موارد أفريقيه!.(۱)

وحصل ابن العاص على هديّه مقدارها مائه ألف درهم!.(۲)

كما حصل عبد الله بن خالد بن أسيد على هديه مقدارها أربعمائه ألف درهم!.

وظهرت فى هذه الفتره الفرق المتعدده كالجبريه والقدريه والتى مارست دور المخدر فى شل الحركه الثوريه عند الناس وجعلهم يرضخون للحاكم الظالم.

وبهذا يمكن وصف هذه المرحله بانها فوضى فكريه دينيه ماليه اجتماعيه سياسيه اشتدت بعد تنصيب يزيد ولياً للعهد واجبار الناس على مبايعته.

وفى فوضى كهذه هل تجد المرأه الوقت الكافى لبناء ذاتها أو تفّهم مجريات الأمور واستقراء الساحه السياسيه؟.

وإذا كانت المرأه قد اقصيت عن الحياه العامه قبل ان يتشكل البيت الاموى ثم اصبحت اسيره الجهل والتضليل الفكرى واخرس لسانها الخوف فاصبحت كائناً ثانوياً تابعاً غير قادر على القيام بأى دور وهذه الحال لا تخص المرأه وحدها بل تمس شرائح كثيره من المجتمع بل وحتى الرجل نفسه.

يضاف إلى ذلك ما عاشه المجتمع من الاسترخاء والركون إلى السكينه والراحه والانشغال بالدنيا بسبب الفتوحات الكثيره التى اتسعت مع امتداد رقعه الدوله الإسلاميه وتداخل الاقوام الكثيره واختلاطهم معها مما أدى إلى تبنى عادات وتقاليد جديده لم تكن موجوده فانه من المحتم ان هذه الأمور تترك اثارها على الحياه الاجتماعيه كلها وليس على وضع المراه فحسب.

ويمكن رسم المشهد النسائى قبل الثوره من خلال عده نماذج:

۱- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج ۳، ص ۹۱.

۲- ابن قتيبه الدينورى، المعارف، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعه الثانيه، ۱۳۹۰ه، ص ۸۴.

۱. نموذج المرأه العام والـذی هو امتداد لما ذکرناه فی وصف المرأه فی عصر الخلفاء. نموذج لامرأه مشغوله بحیاتها بعیده عن الـوعی الفکری والثقافی، لیست لهـا مشارکـات اجتمـاعیه أو سیاسیه. مع وجود خوف یستولی علی الجمیع من النظام الأموی الفاشی. إذاً هی صوره لامرأه سلبیه متواریه عن الحیاه المجتمعیه خوفاً أو جهلاً أو رغبه. یشارکها نموذج لرجل لم یفهم الإسلام وغیر قادر علی استیعاب نظریته الصحیحه من أصحابه الأصلیین فهو یأخذ من هنا روایه تمجد معاویه واخری من هناک تسحب من علی علیه السلام فضائله المنصوص علیها فی القرآن وروایه ثالثه تصارع للابقاء علی فضائل اهل البیت لاصحابها. وأمام هذا التشتت فی الأحادیث والروایات والاوضاع العامه المشحونه بحملات المطارده والقتل والسجن والتشرید فالأفضل الجنوح إلی السلامه لتکون المرأه مفرده سلبیه تتلقی ما یفرغ فی جوف رأسها دون مناقشه أو فهم او رغبه فی التطور الذاتی.

۲ . نموذج الجواری اللائی بدأت قصور بنی أمیه تمتلیء بهن وغالباً ما یتم استیرادهن من خارج بلاد المسلمین ومهمتهن الغوایه والإثاره، وقد کـان لهن الباع الاکبر فی ترویج صوره المرأه – الجسد – الشیء أو السلعه. وبهذا عملن علی ترسیخ الصوره السلبیه للمرأه وفتحن ابواب المتعه والشهوه للرجال بسبب سهوله الحصول علیهن مما أدی إلی التبلد العقلی بسبب الافراط فی التفریغ الجنسی کما عزز الشک والریب فی العلاقات التی تقوم بین النساء والرجال!. الامر الذی ساهم فی تکریس المزید من الاقصاء والتبعیه بالنسبه للمراه. وقد جلب النخاسون الجواری من کل مکان لتباع فی أسواق المدن العربیه والاسلامیه.

۳ . وإذا اردنا النظر إلی نساء القصر الأموی فاننا نجد نموذج النساء الجواری. المرأه الجسد والسلعه وإلی جانبهن نساء بنی أمیه.. نماذج لاسوأ النساء یتربعن فی قصور الخلافه والحکم ویتحکمن فی رقاب المسلمین ومنهن هند بنت عتبه آکله الاکباد، ألم تبقر

هند أمّ أبيه (معاويه) فی أُحد بطن حمزه، وتمثّل به، وتمضع کبده، ثمّ أنشأت تقول:

شفیت من حمزه نفسی بأُحد

حین بقرت بطنه عن الکبد؟!(۱)

والتی لم یحک التاریخ أبداً عن امرأه فی مثل حقدها علی الإسلام وعلی آل الرسول وهی تمثل ادنی درجات الهبوط الانسانی لاعمالها الوحشیه التی تتأفف المرأه عنها ذاتیا!!. تقول عنها بنت الشاطئ: أتصرف الخلافه عن حفید «خدیجه» أم المؤمنین وبطله الإسلام الأولی، إلی حفید «هند» آکله الأکباد وبطله الانتقام الوحشی فی موقعه «أُحد»؟ إن الإسلام لم یکن قد نسی بعد ما ناله من «هند» فی «أُحد»، وإن الجراح التی أحدثتها «هند» بالمسلمین لم تکن قد التأمت بعد. فما زال فیهم – یومئذ – أحیاء شهدوا «هنداً» حین ظهرت فی «مکه» تعیر قریشاً بهزیمتهم الشنعاء أمام فئه قلیله من المؤمنین، انتصرت علی جیش لأبی سفیان – زوج هند وزعیم المشرکین – کامل العده والعدد، وترکت علی الساحه الدامیه حول ماء «بدر» جثث الأبطال الصنادید من قوم «هند». وفی الحق أن «هنداً» أسلمت بعد ذاک کما أسلم زوجها عام الفتح. لکن هذا لم یمح صفحتها الأولی، ولم یحل دون نبز أبنائها «بنی آکله الأکباد».(۲) وقد عجبت کثیراً لبعض الکتاب المسلمین الذین یقدمون هذه المراه المتوحشه علی انها قدوه النساء!! ومن البدیهی ان نساء المجتمع یتطلعن إلی من یتربعن علی کرسی الحکم ویتاثرن بهذا النموذج فما الذی یتعلموه من هند سوی الوحشیه والحقد الاسود؟!.

۴ . ما بقی من الساحه الاجتماعیه بعد تفریغ غیر المسلمین منهم ینقسم إلی قسمین – کالساحه الرجالیه تماماً – فهناک الموالون لأهل البیت علیهم السلام وهناک المعادون ومن شارکوهم فی عدائهم وأکثر هؤلاء من الأمویین المتعلقین بسده الحکم

۱– العلامه السید مرتضی العسکری، معالم المدرستین، ص۴۵۲.

۲– الدکتوره عائشه عبد الرحمن، السیده زینب، ص ۷۹ – ۸۰.

ورجالات البلاط الاموی. أمّا الموالون فقد عانوا الامرّین فی عهد معاویه بالذات وما بعده من خلفاء بنی أمیه(۱)، إذ قامت السیاسیه الأمویه علی التنکیل باتباع أهل البیت ومحاصرتهم والتضییق علیهم فی الشؤون المعاشیه وإقامه الحد علیهم لا لذنب سوی ولائهم لأهل البیت علیهم السلام ولم تقبل شهادتهم بل کانت السلطات الأمویه تطاردهم وتقتلهم شر قتله کما فعلت بمیثم التمار ورشید الهجری وحجر بن عدی وغیرهم.

و المرأه الموالیه عاشت مع الرجل هذه الظروف العسیره من التجویع والمطارده والتشرید والسجون. فإذا لم تقبض السلطات الأمویه علی الرجل المسلم أخذت زوجته أو أمه أو أخته اسیره حتی یسلّم نفسه، أی تعتمدها کورقه ضاغطه، کما فعلوا مع زوجه عمرو بن حمق الخزاعی وهی آمنه بنت الشرید إذ إنّ عمراً فر من السلطه الأمویه فکتب معاویه إلی ابن زیاد ان احمل إلی زوجته فالقی القبض علی زوجته آمنه بنت الشرید وحملها أسیره من الکوفه إلی الشام إلی معاویه فسجنت حتی جیء برأس زوجها عمرو إلی الشام بعد ان القی القبض علیه فی غار قرب الموصل من قبل والی معاویه علیها، وطعن بتسع طعنات ثم قطع رأسه فکان رأسه أول رأس حمل فی الاسلام(۲) وحمل علی قناه إلی معاویه فی الشام فقال معاویه للحرس انطلق بهذا الرأس وضعه فی حجر زوجته آمنه واحفظ ما تقول فلم تشعر وهی بالسجن إلا ورأس زوجها عمرو فی حجرها فضمته إلی صدرها وبکت وقالت غیبتموه عنی طویلاً واهدیتموه إلی قتیلاً فأهلاً وسهلاً بها من هدیه غیر قالیه ولا مقلیه ثم قالت للحرس أبلغ معاویه عنی ما

۱- وإلی هذا یشیر الإمام الباقر علیه السلام (وقتلت شیعتنا بکل بلده وقطعت الأیدی والأرجل علی الظنه وکل من یذکر بحبنا والانقطاع إلینا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم یزل البلاء یشتد ویزداد فی زمان عبید الله بن زیاد قاتل الحسین علیه السلام.

۲- تاریخ ابن کثیر، ۸:۴۸.

أقول وقل له يتّم الله ولـدک واوحش منک أهلک ولا غفر لک ذنبک وعجل لک الويل من نقمه وطلب منک بدمه فلقد جئت شيئاً فرياً وقتلت باراً تقياً فلما سمع كلامها أمر باحضارها وصار يشتمها ويتهددها.(۱)

وهـذا التعامـل السـيئ مع المرأه المسـلمه كورقه ضـاغطه للحصول على أفراد ومعلومات ليمثل درجه خطيره من العنف السياسـی الموجه ضدها ويكشف لنا عن لؤم النفوس وحقدها على المسلمين والمسلمات فما معنى حملها للشام؟ وما معنى القاء الرأس فی حجرهـا؟ وما معنى تسـجيل كلماتها؟ وهـذه صور مارس مثلها طغاه العصـر الحـديث ضـد المسـلمين والموالين فی بقاع شتى من العالم.

الی هـذا يشـير العلاـمه الامينی بالقول: إن معاويه أوَّل مَن قتل نساء كلّ من والی أهل بيت النبیّ (عليهم السـلام) وذبـح صبيانهم ونهب أموالهم، ومثَّل بقتلاـهم وشـتَّت شـملهم، وفرَّق جمعهم، واسـتأصل شـأفتهم، ونفـاهم عن عُقر دورهم، وأبـادهم تحت كلّ حجر ومدَر؟!(۲)

هذه هی الصوره العامه للنساء المواليات لآل البيت ولا ننسی ان معاناه الأم المواليه كانت شاقه للغايه، فلعن أمير المؤمنين علی بن أبی طالب عليه السلام علی المنابر كان سُنّه سنّها معاويه ولا يكاد وعاظ البلاط الاموی يجدون سيئه إلا ونسبوها إليه عليه السلام ويـذكر المؤرخون ان عمر بن عبـد العزيز كان قبل توليه الخلافه يتساءل عن سـبب هذا السب للإمام وقد نزلت فيه آيه كذا وآيه كذا!. وهذه مؤشـرات تدل علی حجم الصراعات الداخليه التی عاشتها المرأه المواليه والتی منها صراع سياسی مع الحكم الأموی الذی يطارد الموالين ويعتقلهم ويسجنهم وصراع تربوی فی تنشئه الاولاد

۱- الكاشی، ثوره الإمام الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب، ص ۷۹.

۲- عبد الحسين أحمد الأمينی النجفی، الغدير فی الكتاب والسنّه والادب، ج ۱۱، ص ۷۳.

على الولاء لآل البيت عليهم السلام وصيانه عقائدهم وصراع فكرى وصراع اجتماعى وصراع نفسى مستمر يحمل تبعات كل هذه الضغوطات.

والمرأه التى تعيش كل هذه التحديات الصعبه وفى اجواء هذا المناخ القاسى هل ستجد الوقت الكافى لتهتم ببناء شخصيتها أو تتاح لها فرصه المشاركه المجتمعيه فى أمور نافعه؟. ورغم كل هذه الظروف الصعبه التى عاشتها المرأه المواليه فان العنف السياسى المؤلم ما كان ليوهن عزيمتها ويزعزع ولاءها اذكانت تنشئه الأولاد على الولاء لآل البيت والتبرى من أعدائهم هو أخطر واقدس مهماتها وإليها تعود ثمره الأجيال المواليه اللاحقه، معنى هذا انها كانت على يقين بصدق عقيدتها ونهجها.. ثابته فى مواقفها.. ذات إراده قويه فى مواجهه التحديات الصعبه. ثم انها ما شغلتها الأمور التى شغلت غيرها من النساء من الاهتمام بيسر الحياه لتنسى مهماتها الاساسيه ولم تبق أسيره همومها واشجانها واحزانها امام مظالم بنى اميه التى تهد الجبال الرواسى لتصبح كائناً سلبياً غير قادر على النماء بل على النقيض من ذلك كانت تجد ان مهامها كثيره ومقدسه وعليها ان تؤديها لتدخل السرور على سيده نساء العالمين التى مثلت المرأه المعصومه الكامله ولكنها ايضا المرأه المظلومه المغبون حقها والتى كان غياب قبرها دليلاً على استدامه مظلوميتها وتعالى صرختها الابديه فى طلب النصره. وبهذا نجد الصوره بكل ما فيها من مظلوميه او عنف سياسى قاسٍ من جانب لكنها ايضا مؤشر قوه واقتدار يعرض الطاقه الانسانيه العظيمه الكامنه عند المرأه من جانب آخر. ولعل صوره الوافدات على معاويه تكشف لنا عن ذلك وهن المواليات لاهل البيت والناصرات لعلى إبّان حكمه واللائى استدعاهن معاويه كى ينال من عقيدتهن فى الولاء فانقلب السحر على الساحر ومنهن سوده الهمدانيه ودارميه الجحونيه والزرقاء بنت عدى وغيرهن.

فقد حجّ معاويه سنه من ستيّه، فسأل عن امرأه من بنى كنانه كانت تنزل بالحجون، يقال لها «دارميّه الحجون» وكانت سوداء كثيره اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث

إليها، فجيء بها، فقال: ما حالك يا ابنه حام؟ قالت: لست لحام إن عبتنى، إنّما أنا امرأه من بنى كنانه، ثمت من بنى أبيك.

قال: صدقت، أتدرين لم بعثت إليك؟

قالت: لا يعلم الغيب إلا الله.

قال: بعثت إليك لأسألك، علامَ أحببت علياً وأبغضتنى، وواليته وعاديتنى؟

قالت: أو تعفينى يا أمير المؤمنين.

قال: لا أعفيك.

قالت: أما إذا أبيت، فأنى أحببت علياً على عدله فى الرعيه، وقسمه بالسويه، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق. وواليت علياً على ما عقد له رسول الله من الولاء، وعلى حبه للمساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وشقك العصا وجورك فى القضاء، وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك.

قالت: يا هذا، بهند والله يضرب المثل فى ذلك لا بى.

قال معاويه: يا هذه، اربعى، فانا لم نقل إلا خيرا، فرجعت وسكنت.

فقال لها: يا هذه، هل رأيت علياً؟

قالت: أى والله لقد رأيته؟

قال: فكيف رأيته.

قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذى فتنك، ولم تشغله النعمه التى شغلتك.

قال: هل سمعت كلامه؟

قالت: نعم والله، كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصدأ.

قال: صدقت، فهل لک من حاجه؟

قالت: أو تفعل إذا سألتک؟ قال: نعم.

قالت: تعطینی مائه ناقه حمراء فیها فحلها وراعیها.

قال: تصنعین بها ماذا؟

قالت: أغذو بألبانها الصغار، واستحیی بها الکبار، واکتسب بها المکارم، وأصلح بها بین العشائر.

قال: فان أعطیتک ذلک، فهل أحلّ عندک محل علیّ؟

قالت: ماء ولا کصدّاء، ومرعی ولا کالسعدان، وفتی ولا کمالک.

ثم قال: أما والله لو کان علی حیّاً ما أعطاک منها شیئاً.

قالت: لا والله ولا وبره واحده من مال المسلمین.

واستدعی معاویه امرأه من أهل الکوفه تسمی «الزرقاء بنت عدیّ» کانت تعتمد الوقوف بین الصفوف وترفع صوتها صارخه، یا أصحاب علی، تسمعهم کلامها کالصوارم، مستحثه لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل، والمدبر لأقبل، والمسالم لحارب، والفار لکرّ، والمتزلزل لاستقر.

فلما قدمت علی معاویه، قال لها: هل تعلمین لم بعثت إلیک؟

قالت: لا یعلم الغیب إلا الله سبحانه وتعالی.

قال: ألست الراکبه الجمل الأحمر یوم صفین، وأنت بین الصفوف توقدین نار الحرب، وتحرضین علی القتال؟

قالت: نعم. قال: فما حملک علی ذلک؟

قالت: یا أمیر المؤمنین، انه قد مات الرأس، وبتر الذنب، ولن یعود ما ذهب،

والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال: صدقت، فهل تعرفين كلامک وتحفظين ما قلته؟

قالت: لا والله، ولقد انسيته.

قال: لله أبوک، فلقد سمعتک تقولين:

«أيها الناس، ارعوا وارجعوا، انكم أصبحتم فى فتنه، غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجه، فيا لها فتنه عمياء صماء بكماء، لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها. ان المصباح لا يضىء فى الشمس، وان الكواكب لا تنير مع القمر، وانّ البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد الا بالحديد، ألا من استرشد ارشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس: ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص، فكأنكم وقد التأم شمل الشتات، وظهرت كلمه العدل، وغلب الحق باطله، فانه لا يستوى المحق والمبطل. أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون. فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألاـ ان خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير الأمور عاقبه، أئتوا الحرب غير ناكصين، فهذا يوم له ما بعده».

ثم قال: يا زرقاء، أليس هذا قولک وتحريضک؟

قالت: لقد كان ذلک.

قال: لقد شاركت علياً فى كل دم سفكه.

فقالت: أحسن الله بشارتک يا أمير المؤمنين، وأدام سلامتک، فمثلک من بشر بخير، وسرّ جليسه.

فقال معاويه: أو يسرک ذلک؟

قالت: نعم والله، لقد سرّنی قولک، وأنی لی بتصدیق الفعل. فضحک معاویه، وقال: والله لوفاؤکم له بعد موته أعجب عندی من حبکم له فی حیاته.(۱)

هؤلاء النساء کن یدافعن عن عقیدتهن ویقلن قول الحق أمام الطاغیه المتجبر، وهذا دلیل علی صلابه هؤلاء النساء وعلی وعیهن الثقافی الذی ظهر من خلال عقیده الولاء وبهذا تکون المرأه الموالیه صفا واحدا مع الرجال الموالین الذین کانوا یتحدون بطش الأمویین بکل بساله کحجر بن عدی ورشید، بل إن هؤلاء النساء الموالیات کن سبباً لبلوره عقیده الولاء وصیانتها.

ولأم المؤمنین ام سلمه صوره مشرقه فی قوه شخصیتها واهتمامها بأمور المسلمین والدفاع عن الحق والامر بالمعروف والنهی عن المنکر ففی کتاب العقد الفرید لابن عبد ربه الاندلسی یشیر:

ولما مات الحسن بن علی حج معاویه فدخل المدینه وأراد أن یلعن علیاً علی منبر رسول الله فقیل له: إن ههنا سعد بن أبی وقاص ولا نراه یرضی بهذا فابعث إلیه وخذ رأیه..، فقال سعد: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إلیه فأمسک معاویه عن لعنه حتی مات سعد ولما مات لعن (علیاً) علی المنبر وکتب إلی عماله ان یلعنوه علی المنابر ففعلوا فکتبت أم سلمه:

انکم تلعنون الله ورسوله علی منابرکم وذلک بانکم تلعنون علی بن أبی طالب ومن أحبه وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله.(۲) وکان ذلک یمثل ادانه نسویه للنهج الاموی القائم علی سیاسه اللعن لاهل البیت الذین اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا.

۱- هاتان القصتان عن قصص العرب، ج۲، وقد نقلتا بتصرف واختصارعن محمد الصدر فی کتابه اخلاق اهل البیت ص۴۰۸.

۲- ابن عبد ربه الاندلسی، العقد الفرید، تحقیق، د. عبد المجید الترحینی، مج۵، ص ۱۱۴.

وفی هـذه الحقبه الزمنیه ظهرت من داخـل البیت النبوی تصـدعات خطیره اهمهـا استشـهاد الامام الحسن بن علی علیهما السـلام علی یـد زوجته جعده التی دست له السم، ففی الوقت الذی کان الناس ینتظرون صوراً مشـرقه من بیت الامامه تأتی صوره جعده المرأه القاتله الخائنه لتشوه لا صوره المرأه مع الامام بل صوره المرأه بشـکل عام وتجعل الناس فی حیره من تفسیر الموقف، فقد قیل:

انه کان سـبب موت الحسن بن علیّ من سمٍّ سمَّ به یقال: إنَّ زوجته جعـده بنت الأسود بن قیس الکنـدی سـقته إیّاه، ویذکر والله اعلم بحقیقه أمورهم: انّ معاویه دسّ إلیها بذلک علی أن یوجّه لها مائه الف درهم ویزوجها من ابنه یزید، فلمّا مات الحسن وفیّ لها معاویه بالمال وقال: إنِّی أحبّ حیاه یزید.(۱)

أرسـل إلیهـا «معـاویه»: «إنی مزوجـک بیزیـد ابنی، علی أن تسـمی زوجک الحسن ابن علی». ووعـدها بمائه ألف درهم فقبلت، وسـمت «الحسن»، فـدفع لها «معاویه» المال ولم یزوجها من «یزیـد» معتـذراً إلیها بأن حیاته غالیه علیه! فخلف علیها رجل من «آل طلحه» فأولدها، فکان إذا وقع بین أولادها وبین بطون قریش کلام، عیروهم وقالوا: یا بنی مسمه الأزواج...(۲)

وانه لصوره قاسـیه مؤلمه اذ کیف تمتـد یـد الغـدر الی سـید شـباب اهـل الجنه من زوجته التی اختارهـا لتکون شـریکه حیاته فی سرائها وضـرائها، لکنها باعته بثمن بخس ولعـذاب الآخره أخزی، وهـذه الصوره ترکت اثرا سـلبیا علی الموالین والمعانـدین علی حد سواء!.

أیضاً تأتی مواقف السیده عائشه لتصب فی خط تکمیلی لهذا السلوک فنراها

۱- عبد الحسین أحمد الأمینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّه والادب، ج ۱۱، ص ۱۱.

۲- دکتوره عائشه عبد الرحمن، السیده زینب، ص۷۷.

(وهی أم المؤمنین) تخرج علی بغلتها ناهیه عن دفن الامام بجوار جده رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وهو الذی قال فیه:

«من أحب الحسن والحسین فقد احبنی، ومن ابغضهما فقد ابغضنی».(۱)

وهذه کلها مواقف جعلت الرجال والنساء یرزحون تحت طائله جمله من التساؤلات التی لا تنفک عقدتها بسهوله بسبب البطش الاموی والفوضی الفکریه والاجتماعیه التی سادت آنذاک.

والمحصله من ذلک کله ان المرأه المسلمه بدأت تنفصل عن المجتمع وهمومه وشؤونه شیئاً فشیئاً، وغابت عن الأدوار الفاعله المغیّره له، وانعزلت بین جدران البیوت وجدران الوهم والجهل والتخلف، ووجد الرجل ذلک کله یصب فی نفعه العام فاستحوذ علی کل شؤون الحیاه الاجتماعیه والسیاسیه والثقافیه والدینیه الأمر الذی أدّی بالمرأه إلی ان تفقد ثقتها بنفسها شیئاً فشیئاً وتفقد ثقتها بأدوارها ومؤهلاتها وتشعر بالاغتراب عن المجتمع الکبیر بل وتعیش رؤی مشوهه عن دورها فی الحیاه وتری انها کائن تابع لیس أکثر، فأهملت التعلم والتثقف وأهملت بناء شخصیتها بناءً صحیحاً متوازناً وترکت المطالبه بحقوقها حتی أصبحت رکنا منسیا فی المجتمع وشیئا (ولیس الانسان الخلیفه) استوی وجوده وغیابه!.

حتی کان القرن العشرون حیث اخذت العلمانیه الجدیده تنشر أفکارها بین صفوف النساء المسلمات وهن یعشن التخلف والامیه والجهل وتستعبدهن التقالید والعادات البعیده کل البعد عن الاسلام.

۱- سنن ابن ماجه فی فضائل الحسن والحسین , ومسند احمد۲\۲۸۸و ۴۴۰ و ۵۳۱

ص: ۵۷

الفصل الثانی: نساء الطفوف

اشاره

يمكن الكلام عن نساء الطفوف ضـمن مجموعتين متمايزتين حيث تضم المجموعه الأولى حرائر أهل البيت عليهم السلام ونساء بيت الوحى وهى المجموعه التى هاجرت مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينه إلى مكه ثم إلى كربلاء.

وهى ايضا المجموعه التى تعرضت لأقسـى التحـديات والخطوب، فهى التى عاشت أحداث المعركه فى كربلاء وعاشت أجواءها الساخنه كما ان هـذه المجموعه تمثل ركب السـبايا اللائى أُسـرن بعد استشـهاد الامام الحسـين عليه السـلام من العراق إلى الشام ورجعن ثانيه الى كربلاء فى الاربعين وبعدها عُدن الى المدينه المنوره.

كما أنها المجموعه التى قامت بالدور الإعلامى الخطير حيث نشرت فكر الثوره وأهدافها فى الامصار والبلاد التى دخلوا إليها.

وعلى رأس هـذه المجموعه تـأتى عقيله بنى هـاشم واللبوه الطالبيه السـيده زينب بنت أمير المؤمنين عليه السـلام والتى يعود إليها الثقل الكبير من مهام ما بعد الطفوف ومعها:

السيده أم كلثوم بنت أمير المؤمنين.

وفاطمه بنت الامام الحسين بن على.

واختها سكينه بنت الحسين.

والرباب بنت امرؤ القيس الكلبيه أم الرضيع وهى الوحيده من زوجات الحسين عليه السلام التى كانت حاضره فى الواقعه على اختلاف الروايات.

ورمله أم القاسم وزوجه الإمام الحسن المجتبى.

ورقيه بنت الإمام الحسين وكانت طفله صغيره.

وحميده بنت مسلم بن عقيل.

وأخريات غيرهن جئن مع الإمام إلى كربلاء.

أما المجموعه الثانيه فتضم نساء مؤمنات كان حضورهن عرضياً لم يخضع لتنسيق مسبق أو برمجه سابقه.

وهؤلاء النساء شاءت الاقدار ان يكن ناصرات للإمام ومن انصاره وبعضهن كن حاضرات فى أرض الطفوف؛ إذ إن ثلاثه من انصار الإمام كانوا قد جاءوا مع اُسرهم إلى الإمام الحسين عليه السلام وبقوا معه وهم عبد الله بن عمير الكلبى، وجناده بن حرث الانصارى، ومسلم بن عوسجه الأسدى وكان عبد الله بن عمير قد أخذ معه امه وزوجته إلى أرض كربلاء، مضافاً إلى هؤلاء كانت هناك طوعه التى نصرت وآوت مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام وكانت هناك دلهم بنت عمير وام وهب وأُخريات سنمرّ عليهن حينما نستعرض أدوارهن.

ومع نساء الطفوف هؤلاء تلمع اسماء أخرى كأم سلمه (رض) والنساء اللائى اقمن مجالس العزاء فى المدينه ومعهن أيضاً نستحضر صوره أم البنين فاطمه بنت حزام الكلابيه (أم العباس واخوته) على تفاوت ملحوظ فى الروايات بين من يؤكد حياتها عند استشهاد الامام ومن ينفى ذلك.

لماذا حمل الإمام نساءه وعياله إلى كربلاء؟

كـان أَمـام الإمـام الحسين عليه السـلام خيارات بالنسبه لأسرته، فهو إما ان يحمل عياله ونساءه معه وإما ان يُبقى الجميع ويخرج بمفرده مع أولاده واخوته وباقى الانصار من رجال بنى هاشم. فإذا كان الأمر بأن يتركهم فى مكانهم ويهاجر بنفسه فلا شك فى أن السلطات الأمويه ستحاول الاستفاده منهم كورقه ضاغطه على الإمام نفسه كى يسلم نفسه. كما فعل الامويون مع عمرو بن حمق الخزاعى حيث أسروا زوجته لمّا فرّ من ايدى السلطات الامويه الحاقده.

وأيضاً حصلت هذه الحاله مع زوجه المختار التى اعتقلت هى الأخرى لارغام زوجها على الاذعان للسلطه الامويه الحاكمه.

فالامام لم يكن ليأمن على عياله ونسائه لو أبقاهم فى المدينه وخرج ثائرا.. وحتى لو أمن الامام على نسائه وعياله وأبقاهم فى مكانهم وخرج فى طلب الاصلاح فى ثوره يعلم مسبقا ان القوم يطلبونه ولو أمسكوا به فسيقتلونه لا محاله وسُيقتل مع اخوته وابناء عمومته فى أى مكان من الأرض وسيبادون جميعهم(۱) ومن ثم لا يفهم أحد لماذا اصلاً خرج الإمام الحسين عليه السلام للثوره؟ ولماذا لم يبايع؟ وحتماً ستحاول السلطات الأمويه التكتم على الأمر واستعمال آليات القتل الصامته بأى شكل من الاشكال وبهذا يضيع دم الحسين عليه السلام وتضيع ثورته ورسالته وهذا المنطق لا يتناسب ايضا مع ماحمله الامام من مطالب صرح بها اكثر من مره كقوله عليه السلام:

۱- فيما قال لها (لأم سلمه): إنّى أعلم اليوم الذى أُقتل فيه والساعه التى أُقتل فيها وأعلم من يقتل من أهل بيتى وأصحابى أتظنين أنك علمت ما لم أعلمه وهل من الموت بد فإن لم أذهب اليوم ذهبت غدا. وقال لأخيه عمر الأطرف: إنّ أبى أخبرنى بأنّ تربتى تكون إلى جنب تربته أتظن أنك تعلم ما لم أعلمه. وقال لأخيه محمد بن الحنفيه شاء الله أن يرانى قتيلاً ويرى النساء سبايا. (المقرم مقتل الحسين ص۱۳۴).

إنی لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح فی أمه جدی صلی الله علیه وآله وسلم أرید أن آمر بالمعروف وأنهی عن المنکر وأسیر بسیره جدی وأبی علی بن أبی طالب، فمن قبلنی بقبول الحق فالله أولی بالحق ومن رد علیّ هذا اصبر حتی یقضی الله بینی وبین القوم وهو خیر الحاکمین.(۱)

علی هذا یکون الخیار الثانی هو الاقرب لما یصبو الیه الامام من تغییر فی الواقع الاجتماعی والقیمی والانسانی.

ولنا ان نتصور الإمام کقائد ثوره یرید ان یقوم بحرکه واسعه تهز المجتمع کله وتهز الصرح الأموی من جذوره فقد یکون من الشاق علیه ان یسیر مع کوکبه من النساء والصغار والرضع فی سفر طویل. ولو کان سفر استجمام لما خلا من مشقه من جانب المسؤولیات والاعداد والتحضیر لمستلزمات السفر نفسه. فکیف بسفر الثوره التی یخطط لها الامام والتی یقدّر لها ان تکون فی ارض بعیده عن مستقره الحالی؟.

لکن الإمام علیه السلام حمل نساء آل البیت علیهم السلام وحرائرهم.. وهو یعلم بما سیعانیه الجمیع من مشکلات الطریق الطویل والاوضاع الطارئه والتشنجات التی سیتعرض لها الجمیع لا محاله؛ لان هناک تخطیطاً مستقبلیاً للثوره، إذ لا یمکن للإمام علیه السلام ان یکون قد خطط لأوان الثوره والتی قد تقدر بسویعات محدوده فی عمر الزمن ویترک ما بعدها فالمهم نتائج الثوره وما ستفرزه من احداث ووقائع علی ارض الواقع فهو علیه السلام حتماً کان قد خطط لما بعد الثوره فی امتداداتها المتعدده وفی کیفیه التعریف بها وکیفیه تحقیق أهدافها، فاذا کانت نهایه هذه الجوله التضحویه هو الانکسار العسکری فلابد ان یسعی لأن یحقق لها نجاحاً اجتماعیاً وثقافیاً وحضاریاً علی المدی الطویل من الزمان والمکان..

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۱۳۹.

ومن هنا كان الخيار الثانى بأن يأخذ العيال والنساء معه هو الخيار الأكثر تناسباً مع الثوره والأكثر انسجاماً مع ما كان يخطط له الإمام عليه السلام. فالامام عليه السلام ما كان همه الثوره فى وقتها فحسب ولكن كان يهدف إلى تحقيق التواصل الزمنى البعيد المدى لدى الأمه مع الثوره (فى نوع من الامتداد الواعى الشعورى الذى يخترق ايدولوجيات الزمن لكى تبقى نابضه قادره على ضخ الدم النقى المحرك للحياه) وهذا ما حصل فهو إذاً حمل عياله ونساءه لأدوار اُعدوا لها مسبقاً ولمهام مرت صورتها فى عقلهم الواعى والباطن قبل أو ان الثوره.

لقد حمل الامام معه جمله من المبلغات اللائى كانت الواقعه بحاجه إلى خطابهن تماماً كما كانت الثوره بحاجه إلى دمه وتضحيته والى هذا يشير الشيخ مرتضى مطهرى فى كتابه الملحمه الحسينيه «التكتيك التبليغى هو حمله لاهله وعياله وأولاده فى القافله الحسينيه وبهذه الطريقه يكون قد استخدم العدو استخداما غير مباشر من خلال فرض هؤلاء الناس كحربه تبليغيه ورسل دعايه للاسلام الحسينى ضد يزيد»..

ويضيف: أن الإمام استخدم عدداً من المبلغين الذين اخذهم العدو بيده وبإرادته لينفذوا إلى قلب حكومه العدو فى الشام وهو بحد ذاته تكتيك يفوق التصور الاعتيادى».(۱) فالإمام لم يأخذ معه نساء عاديات انما أخذ معه نساء واعيات مؤمنات بثورته وهن ايضا مبلغات يمتلكن ادوات التبليغ السليم لِيُعَرِّفْنَ الناس بالقضيه والثوره وأهدافها واسبابها ويكشفن النقاب عن الوجه الاموى الاسود وليكنَّ سبباً لهزّ الوضع العام وتحريكه وضخ القيم الجديده وتخليد النهضه الحسينيه فى الوجدان الشعبى كل هذه القرون.

ولقد استوقفه كثيرون وحاولوا ثنى الامام عن اخذ النساء معه لكنه أصرَّ على أن

۱- مرتضى مطهرى، الملحمه الحسينيه، ج۱، ص ۲۰۹.

تکون النساء ضمن قافلته وقال له عبد الله بن عباس: فإن عصیتنی وأبیت إلا الخروج إلی الکوفه فلا تخرجن نساءک وولدک معک.(۱)

وقال لأخیه محمد بن الحنفیه: شاء الله أن یرانی قتیلًا ویری النساء سبایا

فلمّا کان فی السّحر ارتحل الحسین علیه السلام فبلغ ذلک ابن الحنفیّه فاتاه فاخذ زمام ناقته التی رکبها فقال له: یا اخی ألم تعدنی النّظر فیما سألتک؟ قال: بلی، قال: فما حداک علی الخروج عاجلًا؟ فقال: أتانی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بعد ما فارقتک فقال: یا حسین علیه السلام أخرج فانّ الله قد شاء ان یراک قتیلًا فقال له ابن الحنفیه إنّا لله وانّا إلیه راجعون فما معنی حملک هؤلاء النساء معک وأنت تخرج علی مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لی: إنّ الله قد شاء ان یراهنّ سبایا...(۲)

من ناحیه أخری لو سلمنا بأن الإمام علیه السلام لم یشأ أن یأخذ معه النساء والعیال.. فما هی رده فعل النساء أنفسهن؟ ماذا سیصنعن لو جاءهنّ رسول یخبرهن بمقتل الحسین علیه السلام فی هذه الفلاه الواسعه؟ هل سیکون لهؤلاء النساء دور سوی النواح والبکاء؟. ومن المؤکد ان هذا البکاء سیکون فی المدینه وحدها ولأیام معدوده من الزمن کما حدث مع باقی الأئمه علیهم السلام وینتهی کل شیء!! حینئذ لن یکون للنساء دور فی القضیه أبداً. ولا تبقی للنساء أیه مهام أو مسؤولیات أمام هذه الثوره التی ستستباح فیها کل المقدسات بما فی ذلک المعصوم نفسه.. وستبقی صوره المرأه السلبیه المنزویه عن هموم الامه والتی لا- تعیش حتی لذاتها؛ إذ کیف یمکن بناء الذات بمعزل عن الحیاه الاجتماعیه وعن الاهتمام بشؤون المسلمین؟. فهذه الصوره الهامشیه لا تتناسب ابدا مع شخصیه نساء أهل البیت علیهم السلام واللائی عاش

۱- المسعودی، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید ، ج۳، ص ۶۵.

۲- ابن طاووس، اللهوف، ص ۶۴.

بعضـهن كثيراً من أوجـاع الامه المسـلمه وبخاصّه بعـد وفاه الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وأول الاوجاع ظلامه الزهراء عليها السلام.

وهنا لابـد من اشاره وهى ان الامام كان قد اطمأنّ إلى الوعد الالهى بصـيانه هؤلاء المخدرات وبأنهنّ سـيكنّ بعيدات عن الاذى، ونجد ذلك واضحا من خلال وصيته للنساء لما ودعهن وقال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم.(۱)

المرأه اذاً طالبت بالـذهاب مع الامام لنصـرته واسـتعدت للخروج إلى كربلاء قائله: «يا ابن عباس، تشـير على سـيدنا بأن يخلفنا ها هنـا، ويمضـى وحـده لا والله بل نحيا معه، أو نموت.. وهل أبقى الزمان لنا غيره.. لا نفارقه أبـداً حتى يقضـى الله ما هو كائن».(۲) وهى تعرف مـا ينتظرها من ظروف قاسـيه ومهام ثقيله وبهـذا تكاملت الإراده من جانبين؛ فمن جانب أراد الإمام للثوره ان تسـتمر فى اشتعالها وازدياد شرارتها ووضوح معانيها ولا أحد يسهم فى توضيح مفردات الثوره غير هؤلاء النساء، كما سيأتى ضمن الدور الاعلامى. ومن جانب آخر علمت النساء وبخاصه السـيده زينب عليها السـلام ان الإمام انطلق إلى نهضه إصـلاحيه كبرى فى أمه جـده صـلى الله عليه وآله وسـلم وفى هذه النهضه الإسـلاميه الاصـلاحيه لابد ان يكون للمرأه محط قدم فى التأثير والبلاغ. وإلى هذا يشير الشيخ عبد الوهاب الكاشى بالقول:

إن الحسـين عليه السـلام كان يعرف انه إذا قتل فلا يوجد رجل فى العالم الإسـلامى يمكنه ان يتكلم بشـىء ضد سياسه الأمويين مهما كان عظيماً حيث إنهم قطعوا الألسن وكمّوا الأفواه فكان قتله سـدى وقـد لا يعرف أحـد من المسـلمين ما جرى عليه.. فأراد الحسين عليه السلام ان يحمل معه ألسنه ناطقه بعد قتله لتنشر أنباء تلك

۱- المقرم،مقتل الحسين, ص ۲۷۶.

۲- محمد بحر العلوم، فى رحاب السيده زينب، ص ۱۰۸.

التضـحيه فى العـالم الإسـلامى ومـذياعاً سـياراً يـذيع تفاصـيل تلـك المأسـاه الإنسـانيه والجرائم الوحشـيه، فلم يجـد سوى تلك المخـدرات والعقائـل اللـواتى سـبين وسـيرّن بعـد الحسـين عليه السـلام فى ركب فظيـع مـؤلم يجـوب الأقطـار يلقين الخطب فى الجماهير وينشـرن الوعى بين المسـلمين وينبهن الغافلين ويلفتن أنظار المخدوعين ويفضـحن الدعايات المضـلله حتى ساد الوعى وتنبه الناس الى فظاعه الجريمه وانهالت الاعتراضات والانتقادات على يزيد والأمويين من كل الفئات والجهات(۱). وهذا بالضبط مـا أراده الإمـام من خلاـل حمله للنسـاء والعيـال، وهـذا ما حصل أيضاً إذ لولا وجود هـذه الثله المباركه لما تم كشف القناع عن يزيد ورفع الستار عن جرائم الأمويّين.

ان وجود المرأه فى مناطق النزاعات غالباً ما يكون عامل تحريك للرأى العام وعامل تعريف بجرائم العدو، ولهذا نجد أنّ الإعلام إذا مـا اراد ان يظهر بطش الحـاكم وطغيـانه فـانه يعرض صـوراً لنسـاء معـذبات أو مقتولاـت أو أطفـال يبكـون ويستصـرخون ويصـرخون.. صـور مـن الممكـن ان تهز الضـمير الاجتمـاعى وتحـدث فيه حركه باتجـاه المطلـوب، بمعنى ان وجـود المرأه فى النزاعـات المسـلحه والحروب غالبـا مايكون عاملاً لكشف وحشـيه العـدو ومجازره وبشاعته ولنا ان نسـتعرض فى ذاكرتنا ما كان يبث من صور عن المعارك التى شـهدها القرن المنصرم وبداياته والتى يستخدم فيها مونتاجاً خاصاً لعرض بكاء الامهات وذهول الزوجات وانين البنات. ولهـذا اهتزت الكوفه لما جاء ركب الحسـين عليه السـلام وارتجت لمرأى الأطفال الذين ترتعد فرائصـهم واصـفرت وجوههم، وماجت للحرائر المخـدرات اللواتى ارتسم الحزن على وجوههن وبان ثقل الـدموع فى مآقيهن وازداد الآلم حينمـا جـادت عليهن الكوفيات بالإزر والمقانع وضـج الناس بالبكاء والعويل حينما ازيـح السـتار عن القناع الاموى، فهؤلاء لسـن سبايا

۱- الشيخ عبد الوهاب الكاشى، مأساه الحسين بين السائل والمجيب، ص ۸۰.

الخوارج والديلم كما قال ابن زياد انما هن سبايا آل البيت عليهم السلام!!.

على هذا يمكن الإقرار بأن الامام عليه السلام أخذ النساء معه كى يؤدين ادواراً مهمه لنصره الثوره أو بالاحرى كانت ادوار النساء ضمن البرنامج التخطيطى لقائد الثوره الذى لم يكن يفكر بانه سينُهى المواجهه بعدم مبايعته ليزيد، من ثم استشهاده بل لابد من توجيه الأمه إلى قيم جديده وتربويات مطلوبه. ولم يكن لهذه المهمه الصعبه من يؤديها سوى هؤلاء النساء وعلى رأسهن السيده زينب عليها السلام، وهذا يشير إلى ثقته الكامله بأُخته وبأن هؤلاء النساءهن موضع اعتماد وهن قادرات على أداء التكاليف المطلوبه.

وقد ذكر المرحوم كاشف الغطاء: لو قتل الحسين هو وولده، ولم يتعقبه قيام تلك الحرائر فى تلك المقامات بتلك التحديات لما تحقق غرضه وبلغ غايته فى قلب الدوله على يزيد.(۱)

إذن كانت هناك أدوار مهمه ومسؤوليات خطيره ولم يكن هناك من هو قادر على القيام بهذه المهام سوى السيده زينب عليها السلام وباقى نساء أهل البيت. ولو اردنا ان نعرف ما هو التفاوت بين رؤيه الإمام عليه السلام ورؤيه المفكرين المعاصرين من خلال استعراض تجارب الإسلاميين أنفسهم والذين حملوا فكر الإسلام فى وقت صعب وتحديات جسيمه، لكن مشكلتهم انهم لم يفهموا دور المرأه فى الحياه والثوره ولم يحسبوا لها حساباً فى ما قدموه من اطروحات نهضويه حصروا المرأه من خلالها فى زوايا محدده وعزلوها عن شؤون نهضتهم. فعموم الحركات الإسلاميه فى القرن العشرين كانت تقصى المرأه عن جانب اهتماماتها تحت رؤى متعدده منها عدم تصور اهليتها وكفاءتها بل تصوروا ان مكانها بيتها فقط!. ومنها عدم الثقه بها؛ لأنهم كانوا يرونها

۱- حياه الإمام الحسين عليه السلام ۲۹۸ - ۲ : ۲۹۷ - ۲.

عاملاً من عوامل افشاء الأسرار لا أكثر وبهذا طغت الهواجس والرؤى السلبيه النابعه من الموروث الاجتماعى على خارطه تفكيرهم، وكم وجدنا قاده مسلمين كباراً ومراجع عظاماً لكن نساءهم لا يفقهن من الحياه شيئاً؛ إذ كانت عقولهن هواء وافئدتهن خواء!. وبهذا عطلوا المرأه عن الوعى والمعرفه والفهم. فكيف تستطيع امرأه لا يتجاوز تفكيرها جدران بيتها ولا يطال وعيها المساحات الدينيه الواسعه للحياه ان تنشئ جيلًا إسلامياً سامياً قادراً على أداء ادوار عُلى؟.

بهذا يمكن القول: ان واقعه الطفوف كانت بحاجه إلى تواجد المرأه كى تنجح الثوره، وبحاجه إلى حضور نسائى متميز لا يجزى عنه الرجل أبداً. فمن المعلوم ان الإمام لو اصطحب الكثير من الرجال لأبيدوا بكاملهم وبهذا جاء حمل النساء كدلاله على تخطيط مستقبلى للثوره فيما يمكن ان تؤديه النساء من أدوار تدور ضمن مصلحه الإسلام الكبرى والإيمان بمبادئ الإمام فى الإصلاح والتغيير، فهو إذن اجتياز للدائره المحدده التى تشمل حياه المرأه الخاصه ضمن (حسن التبعل) ولكنها لا تلغى شخصيه المرأه نفسها أو أهدافها الممتده فى الحياه أو مسؤولياتها العديده. وكان الحضور النسائى متميزاً فى نساء عرفن بالعلم والمعرفه والبلاغه والفصاحه والصبر الجميل إلى غير ذلك، وبذلك نجح الرجل (الإمام وانصاره) فى تضحيته كما نجحت المرأه «زينب عليها السلام» فى التبليغ والإعلام الموجه، ولم تكن الأدوار التقليديه للنساء كالأمومه والزوجيه عائقاً أمام تحقيق نجاح أوسع ضمن دائره الأهداف العامه ابدا بل كانت هذه الادوار سبباً لاضفاء مزيد من الحزن والتفجع على ما جرى فى الطفوف، فهؤلاء النساء قدمن الغالى والنفيس بل ضحين بالولد والاخ والزوج لنصره الثوره فى زمن تقاعس فيه الاشاوس من الرجال عن نصره الامام الذى كانوا يسمعون استغاثته!. وبهذا تحولت الأدوار التقليديه التى تضجر منها المرأه المعاصره إلى أدوار رساليه ومحطات انطلاق لرسم هويه ثائره للمرأه المسلمه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

أدوار النساء فی ملحمه الطفوف

اشاره

کان لنساء الطفوف ضـمن المجموعتین اللتین عرضناهما أدوارٌ متعدده ظهر بعضها قبل الواقعه وبعضها فی أثنائها وبعدها. وکانت الأدوار النسائیه واضحه متمیزه رغم ان عدد النساء اللائی یدخلن ضمن المجموعتین کان معدوداً ومحدوداً أیضاً.

اما أهم الأدوار النسائیه فی الواقعه فهی:

۱ . دور نصره الثوره.

۲ . دور المتابعه والحمایه.

۳ . الدور القیمّی.

۴ . الدور الاعلامی.

۵ . روایه المقتل الحسینی.

۶ . اعلان الحداد العام.

۱ – دور نصره الثوره ودعمها بشتی الوسائل

ألف – دور حرائر أهل البیت فی نصره الإمام الحسین علیه السلام ونصره ثورته

وهذا ما نلمسه من خلال اصـرارهن علی المجیء مع الإمام علیه السلام إلی کربلاء ومتابعه شؤون هذا السفر الطویل وهو ما سنمر علیه فی تشعبات مستقبلیه.

لکن العجیب ان الإمام علیه السـلام لما خرج من المدینه لم یکن معه سوی عشـیرته! ونفس الشیء حصل لما خرج من مکه!، لم یکن هناک الموالون الـذین کان یُتوقع ان یـذهبوا معه!، وقد بقی الناس فی أماکنهم حتی لما جاءهم خبر عزمه علی الذهاب الی کربلاء فیما بعد فلِمَ لم یتبعوه؟ وهذا أمر یثیر التساؤل اذ یری بعض کتاب

التاريخ ان مقوله الإمام عليه السلام لبعض من نهوه عن حمل النساء معه (شاء الله ان يراهن سبايا) انها كانت اعلانا عن ما ينتظرهم من تحديات ومنعطفات صعبه فهو سيقتل وهؤلاء النساء سيتم اسرهن، إذن الأمر يحتاج إلى نصره.. وكأنه قدم رساله لهم ان الحال هذه فلو نصرتمونا ونصرتم نساء بيت الوحى لكان خيراً لكم، ولكن لم يفهم الناس هذه الرساله وقتها أو ربما لم يريدوا فهمها او انهم فهموها فقدموا لانفسهم الاعذار فبقوا فى ديارهم قاعدين!. وبعد ان استشهد الإمام عليه السلام عضوا أصابعهم من الندم!

جاء فى المقتل الحسينى:

ولما استقر المجلس بأبى عبد الله حمد الله وأثنى عليه وقال: يا ابن الحر ان أهل مصركم كتبوا إلى انهم مجتمعون على نصرتى وسألونى القدوم عليهم وليس الأمر على ما زعموا، وان عليك ذنوباً كثيره، فهل لك من توبه تمحو بها ذنوبك؟

قال: وما هى يا ابن رسول الله؟، فقال: تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه.

فقال ابن الحر: والله انى لأعلم ان من شايعك كان السعيد فى الآخره ولكن ما عسى ان اغنى عنك، ولم اخلف لك بالكوفه ناصراً، فانشدك الله ان تحملنى على هذه الخطه، فان نفسى لا تسمح بالموت! ولكن فرسى هذه «الملحقه» والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ولا طلبنى أحد وأنا عليها إلا سبقته فخذها فهى لك.

قال الحسين: أما اذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجه لنا فى فرسك ولا فيك وما كنت متخذ المضلين عضدا وإنى أنصحك كما نصحتنى، ان استطعت أن لا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا اكبه الله فى نار جهنم.

وندم ابن الحر على ما فاته من نصره الحسين عليه السلام فأنشأ:

أيا لک حسره ما دمت حيّاً

تردَّد بين صدری والتراقی

غداهَ يقول لی بالقصر قولا

أتترکنا وتعزم بالفراق

حسين حين يطلب بذل نصری

علی أهل العداوه والشقاق

فلو فلق التَّلهُّف قلب حرٍّ

لهمَّ اليوم قلبی بانفلاق

ولو واسيته يوماً بنفسی

لنلت کرامهً يوم التَّلاق

مع ابن محمد تفديه نفسی

فودع ثم أسرع بانطلاق

لقد فاز الأولی نصروا حسيناً

وخاب الآخرون ذوو النفاق(۱)

لقد کانت هذه فرصه للکثير لتحصيل أعلی درجات الحياه الآخره ولکنها لم تجد اذناً واعيه!.

وبذلک تقدمت هؤلاء النساء العظيمات دون ان يبدين أی تردد أو تلکؤ لنصره الإمام ومعهن أولادهن. والسيده زينب عليها السلام وزوجها عبد الله بن جعفر بن أبی طالب والذی کان مريضاً لکنه ارسل أولاده مع خالهم إلی معترک النضال. وأم البنين (علی اختلاف الروايات فی عمرها وفی زمن وفاتها) والتی ارسلت أولادها الأربعه ومنهم العباس حامل رايه الإمام ورمله زوجه الامام الحسن المجتبی عليه السلام والتی جندت ولدها القاسم لنصره الامامه.

باء – دلهم بنت عمير

وهی زوجه زهیر بن القین وکانت امرأه صالحه وکانت معه فی سفره وکان زهیر عثمانی الهوی مما جعله یتحاشی الامام فی المسیر. یقول السید ابن طاووس:

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۱۹۰.

... ثمّ سـار (علیه السـلام) فحـدّث جماعه من بنی فزاره وبجیله قالوا: کنّا مع زهیر ابن القین لمّا اقبلنا من مکّه فکنّا نسائر الحسـین علیه السـلام حتّی لحقنـاه فکـان إذا أراد النّزول اعتزلنـاه فنزلنـا ناحیه فلمّا کان فی بعض الأیّام نزل فی مکان لم نجـد بـداً من أن ننـازله فیه فبینـا نحن نتغـذّی من طعـام لنا إذ اقبل رسول الحسـین علیه السـلام حتّی سـلّم ثمّ قال: یا زهیر بن القین إنّ أبا عبـد الله الحسـین علیه السـلام بعثنی إلیک لتأتیه فطرح کلّ إنسان منّا ما فی یـده حتّی کأنّ علی رؤوسـنا الطیر فقالت له زوجته وهی دیلم بنت عمرو:

سبحـان الله أیبعث إلیـک ابن رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم ثم لا تأتیه؟ فلو اتیته فسـمعت من کلامه فمضـی إلیه زهیر بن القین فما لبث أن جاء مستبشراً قد اشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلی الحسین علیه السلام وقال لامرأته أنت طالق فانّی لا أحبّ ان یصـیبک بسببی إلا خیر وقد عزمت علی صحبه الحسین علیه السلام لافدیه بنفسی وأقیه بروحی ثمّ أعطاها مالها وسـلّمها إلی بعض بنی عمّهـا لیوصـلها إلی أهلهـا فقـامت إلیه وبکـت وودّعته وقالت کان الله عوناً ومعیناً خار الله لک اسألک ان تذکرنی فی القیامه عند جدّ الحسین علیه السلام فقال لاصحابه من أحبّ أن یصحبنی وإلا فهو آخر العهد منّی به.(۱)

ویفرح زهیر بولائه للإمام بقوله لعزره الذی ارسله ابن سعد نحو الحسین علیه السلام: یا عزره، إن الله قد زکاها وهداها فاتّقِ الله یا عزره فانی لک من الناصحین، أنشدک الله یا عزره أن لا تکون ممن یعین أهل الضلاله علی قتل النفوس الزکیه.

ثم قال عزره: یا زهیر ما کنت عندنا من شیعه أهل هذا البیت إنما کنت علی غیر رأیهم قال زهیر: أفلست تستدل بموقفی هذا أنی منهم أما والله ما کتبت إلیه کتاباً قط

۱- السید الجلیل ابن طاوس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ۷۱ - ۷۳.

ولا ـ أرسلت إليه رسولاً ـ ولا ـ وعـدته نصـرتی ولکن الطریق جمع بینی وبینه فلما رأیته ذکرت به رسول الله ومکانه منه وعرفت ما یقدم علیه عدوه فرأیت أن أنصره وأن أکون من حزبه واجعل نفسی دون نفسه لما ضیعتم من حق رسوله.

زهیر الـذی کان یتحاشـی الامام الحسـین تراه یقف مـدافعا عنه امام القوم حیث یدعوه الناس للتخلی عن النصـره فی حین یقول: والله وددت انی قتلت ثم نشـرت ثم قتلت حتی اقتـل کـذا الف مره، وان الله عز وجل یـدفع بـذلک القتل عن نفسک وعن انفس هؤلاء الفتیان من أهل بیتک.(۱)

ونال زهیر وسام الشـهاده وبقی اسـمه خالداً مع الشـهداء ومع انصار الحسـین علیه السلام ولزوجته المؤمنه الموالیه الاثر الکبیر فی ذلک فهی التی کانت تحثه علی لقاء الإمام الحسین علیه السلام وهی التی کانت تعاتبه حینما کان معرضا عنه فی المسیر. فالمرأه الصالحه هی التی تـدفع زوجها لتحصـیل الجنان رغم ان الأمر لیس بالهین أبـداً. فأواصـر الحب الزوجی تبقی قویه یشوبها حرص اقوی علی الشـریک وخوف من الفقـدان والفراق لکن کل العلاقات تـذوب وتتسامی امام نصـره الدین والعقیده، فکیف تسامت هـذه المرأه لتجعـل اراده الله فوق اراده قلبهـا ولتعود إلی قومهـا بمفردها تارکه الزوج الحبیب یحث الخطی نحو مذبـح الشـهاده. ولما ودعته قالت له: کان الله عوناً ومعیناً خار الله لک أسألک ان تذکرنی فی القیامه عند جدّ الحسین علیه السلام.

وبهـذه الکلمـات القصار تکشف عن ایمانها العمیق بالله وعن ولائها لاهل البیت علیهم السـلام.. انه قلبها الـذی قال لها انه الفراق الأبدی والموعد الدار الآخره ورغم ذلک زفت زوجها الی میدان الحرب فاستحقت الأجر العظیم والخلود فی ذمه التاریخ.

۱- المقرم، ۲۱۴.

جیم – دور طوعه فی نصره مسلم بن عقیل سفیر الإمام الحسین علیه السلام

طوعه یقال لها أم ولد کانت للاشعث بن قیس فاعتقها وتزوجها اسید الحضرمی فولدت له بلالا، کان مع الناس، وامه واقفه علی البـاب تنتظره وقف مسلم علی بـاب البیت والحیره تسیطر علی مشاعره، والخجـل یحوط شفتیه، طلب الماء منها، جاءته بالماء، شرب ثمّ جلس علی باب الدار لا یدری أین یتوجّه؟ أثار وضعه الحائر، وسیماء الغربه علیه، وجلوسه عند باب البیت، انتباه طوعه، فراحت تتساءل، ألم تشرب الماء؟ إذن لِمَ لا تنصرف؟ فأجاب: انّه غریب لیس له دار، ولا أهل فی هذا البلد، ثمّ عرفها بنفسه: (أنا مسلم بن عقیل بن أبی طالب سفیر الحسین، ورسوله إلی الکوفه وابن عمه). فتحت له باب البیت ثمّ أدخلته فاختبأ لیقضی لیلته، وینظر ماذا سیکون الغد.(۱)

استضافها فأضافته بعد ان عرَّفها انه لیس له فی المصر أهل ولا عشیره وأنه من أهل بیت لهم الشفاعه یوم الحساب فأدخلته بیتاً غیر الذی یأوی إلیه ابنها وعرضت علیه الطعام فأبی وانکر ابنها کثره الدخول والخروج لذلک البیت فاستخبرها فلم تخبره إلا بعد ان حلف لها کتمان الأمر.

وعند الصباح اعلم ابن زیاد بمکان مسلم فأرسل ابن الأشعث فی سبعین مع قیس لیقبض علیه، ولما سمع مسلم وقع حوافر الخیل عرف انه قد أُتی(۲) فعجل دعاءه الذی کان مشغولاً به بعد صلاه الصبح ثم لبس لامته وقال لطوعه: قد أدیت ما علیک من البر واخذت نصیبک من شفاعه رسول الله ولقد رأیت البارحه عمی أمیر المؤمنین فی المنام وهو یقول لی: أنت معی غداً.(۳)

۱- ذکر هذه الأحداث الطبری، تاریخ الأمم والملوک، ج ۴، ص ۲۷۷ و۲۷۸.

۲- المقاتل لأبی الفرج وتاریخ الطبری، ج۱، ص ۲۱۰، ومقتل الخوارزمی، ج ۱، ص ۲۰۸، فصل ۱۰.

۳- نفس المهموم، ص ۵۶.

والعجب انه ليس هناك بيت يؤوى مسلماً فى الكوفه كلها!! فالشيعه الخُلص كانوا فى السجون وباقى الناس اقعدهم الخوف واغراهم المال عن النصره ولما استبدت الحيره بمسلم لم يجد خيارا سوى ان يقف بجوار بيت لا يعلم من هم اصحابه! فتكون هذه المرأه المواليه هى الناصره له وهى المضيفه له. ولكن ابنها الذى آثر الدنيا هو الذى يشى بمسلم ويرسل خبره إلى ابن زياد ويكون سبباً للايقاع به.

عجباً لهذه المرأه العظيمه التى لم يداخلها الخوف الذى جثم على قلوب الناس فأبوا ان يضيفوا من دعوه الى بيوتهم ومن وعدوه بالنصره!! لكن الموقف يشير الى قوه التفكير وإلى دعم قوى للرساله رغم خطوره المرحله.

دال – دور ام وهب فى نصره آل البيت عليهم السلام

وهى زوجه عبد الله بن عمير الكلبى المكنى بأبى وهب جاء فى المقتل:

فلما اخذت زوجته ام وهب بنت عبد الله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له: فداك ابى وأمى قاتل دون الطيبين ذريه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأراد ان يردها إلى الخيمه فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن ادعك دون ان اموت معك فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعى إلى الخيمه فانه ليس على النساء قتال فرجعت.(۱)

وحمل الشمر فى جماعه من اصحابه على ميسره الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبى فقتل تسعه عشر فارساً واثنى عشر راجلاً وشد عليه هانى بن ثبيت الحضرمى فقطع يده اليمنى وقطع بكر بن حى ساقه.

فأخذ أسيراً وقتل صبراً، فمشت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئاً لك الجنه اسأل الله الذى رزقك الجنه ان يصحبنى معك فقال

۱- الطبرى، ج۱، ص ۲۴۵؛ وابن الاثير، ج ۴، ص ۳۷.

الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها وهی أول امرأه قتلت من أصحاب الحسين.(۱)

ويضيف المقرم فی المقتل قائلا:

وقطع رأسه ورمی به إلی جهه الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه ثم أخذت عمود خيمه وبرزت إلی الأعداء فردها الحسين وقال: ارجعی رحمک الله فقد وضع عنک الجهاد فرجعت وهی تقول: اللهم لاـ تقطع رجائی فقال الحسين: لاـ يقطع الله رجاءک.(۲)

وهنا لابد من تأمل صغير فقد كانت هذه المرأه حاضره مع زوجها فی كربلاء وقد همت بان تقاتل دفاعاً عن الحسين عليه السلام لكن الإمام لم يسمح لها بالقتال، فما على المرأه من قتال، لكن الشهاده كانت مذخوره لها فإذا بها المرأه الوحيده التی قتلت مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام!. ياالعظمه النساء يقتل الزوج والولد وتبقی تقاتل الرجال دفاعا عن ابن رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم!.

ولاـ أدری لماذا اصطحب ابو وهب زوجته وامه إلی أرض المعركه وهو يعرف ان قتالاًـ حامياً سيدور وقد جاء لنصره الإمام وارجح الظن انه لما سمع ان الحسين عليه السلام جاء بعياله ونسائه إلی كربلاء اخذ هو أيضاً عائلته معه كی تكون إلی جوار حرائر الوحی فی ذلک الوقت العصيب، وما أكثر الآفلين فی موقع الخطوب! وما أكثر الأصدقاء الذين يفرون بعيداً حين تقع النائبات!.

وما أكثر الأخوان حين تعدهم

ولكنهم فی النائبات قليل

۱- الطبری، ج۶، ص۲۵۱، وفی مسند أحمد ج۲، ص ۱۰۰، طبعه أولی عن ابن عمر: مرّ رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم فی غزاه غزاها بامرأه مقتوله فنهی عن قتل النساء والصبيان.

۲- المقرم , مقتل الحسين ص۲۴۲.

هاء – ام عمرو بن جناده الانصاری

جاء فی المقتل الحسینی:

وجاء عمرو بن جناده الانصاری بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدی عشره سنه یستأذن الحسین فأبی وقال: هذا غلام قتل أبوه فی الحمله الأولی ولعل أمه تکره ذلک قال الغلام: ان أمی امرتنی فإذن له فما أسرع أن قتل ورمی برأسه إلی جهه الحسین فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلًا قریباً منها فمات وعادت إلی المخیم فأخذت عموداً وقیل سیفاً وانشأت:

إِنّی عجوز فی النسا ضعیفه

خاویه بالیه نحیفه

اضربکم بضربه عنیفه

دون بنی فاطمه الشریفه

فردها الحسین إلی الخیمه بعد أن أصابت بالعمود رجلین.(۱)

واو– دور ماریه بنت منقذ العبدی

وهی «ماریه» أبنه سعد أو منقذ علی اختلاف الروایات وهی من الشیعه المخلصین ودارها مألف لهم یتحدثون فیه فضل أهل البیت وقد قتل زوجها وأولادها یوم الجمل مع أمیر المؤمنین علیه السلام. ولما بلغها أن الحسین علیه السلام کاتب أشراف أهل البصره ودعاهم إلی نصرته جاءت وجلست بباب مجلسها وجعلت تبکی. حتی علا صراخها فقام الناس فی وجهها وقالوا لها: ما عندک ومن أغضبک؟ قالت: ویلکم. ما أغضبنی أحد. ولکن أنا امرأه ما أصنع. ویلکم سمعت أن الحسین ابن بنت نبیّکم استنصرکم وأنتم لا تنصرونه. فأخذوا یعتذرون منها لعدم السلاح والراحله. فقالت: أهذا الذی یمنعکم؟ قالوا: نعم؛ فالتفتت إلی جاریتها وقالت لها: انطلقی إلی

۱– المقرم، ص ۲۵۳.

الحجره وآتینی بـالکیس الفلانی، فانطلقت الجاریه وأقبلت بالکیس إلی مولاتها. فاخـذت مولاتها الکیس وصـبته وإذا هو دنانیر ودراهم. وقالت: فلیأخذ کل رجل منکم ما یحتاجه وینطلق إلی نصره سیدی ومولای الحسین.

قال الراوی: فقام عبد الله الفقعسی وهو یبکی - وکان عنده أحد عشر ولداً - فقاموا فی وجهه وقالوا: إلی أین ترید؟

قال: إلی نصره ابن بنت رسول الله. ثم التفت إلی من حضر وقال: ویلکم هذه إمرأه أخذتها الحمیه وأنتم جلوس؟ ما عذرکم عند جده رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یوم القیامه؟.

قال: ثم خرج من عنـدها وتبعه من ولـده أربعه فأقبلوا یجدون السیر. حتی اسـتخبروا بأن الحسـین علیه السـلام ورد کربلاء. فجاء الشیخ بأولاده إلی کربلاء ورزقوا الشهاده.

وفی روایه اخری انها لما قالت کلمتها قال یزید بن نبیط وهو من عبد القیس لأولاده وهم عشره: أیکم یخرج معی؟ فانتدب منهم اثنـان عبـد الله وعبیـد الله، وقـال له أصـحابه فی بیت تلـک المرأه نخـاف علیک أصـحاب ابن زیاد، قال: والله لو اسـتوت اخفاقها بالجـدد لهـان علی طلب من طلبنی(۱) وصـحبه مولاـه عامر وسـیف بن مالک والادهم بن أمیه(۲) فوافوا الحسـین بمکه وضموا رحالهم إلی رحله حتی وردوا کربلاء وقتلوا معه.(۳)

وقد ذکر ابن الأثیر هذا الاجتماع وسجّله فی کتابه الکامل فی التاریخ:

۱- تاریخ الطبری، ج۱، ص ۱۹۸.

۲- المقرم عن- ذخیره الدارین، ص ۲۲۴.

۳- عبد الرزاق الموسوی المقرم، مقتل الحسین، ص ۱۴۴.

(واجتمع نـاس من الشـيعه بالبصـره فی منزل امرأه من عبـد القیس یقـال لهـا مـاریه بنت سـعده وکـانت تتشیّع، وکان منزلها لهم مألفاً(۱) یتحدّثون فیه، فعزم یزید بن نبیط علی الخروج إلی الحسـین علیه السلام، وهو من عبد القیس، وکان له بنون عشره، فقال لهم: أیکم یخرج معی؟ فخرج معه ابنان له: عبد الله وعبید الله، فساروا فقدموا علیه بمکّه ثمّ ساروا معه فقتلوا معه).(۲)

زاء – دور النساء النادبات علی الإمام علیه السلام فی منع تعیین عمر بن سعد والیاً علی الکوفه

ذکر صاحب المقتل الحسینی:

وکان من صـنع المختار معه (مع عمر بن سـعد) انه لما أعطاه الامان استأجر نساء یبکین علی الحسین ویجلسن علی باب دار عمر بن سـعد، وکان هـذا الفعل یلفت نظر الماره إلی ان صاحب هـذه الدار قاتل سـید شـباب أهل الجنه، فضـجر ابن سـعد من ذلک وکلم المختار فی رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا یسـتحق الحسین البکاء علیه(۳)، ولما اراد أهل الکوفه ان یؤمروا علیهم عمر بن سـعد بعـد موت یزیـد بن معـاویه لینظروا فی امرهم جـاءت نسـاء همـدان وربیعه، إلی الجـامع الأعظم صارخات یقلن ما رضی ابن سعد بقتل الحسین حتی اراد ان یتأمر فبکی الناس واعرضوا عنه.(۴)

۱– مألفاً: مقرّاً للاجتماع.

۲– المقرم ،مقتل الحسین ص۱۴۴ نقلا عن الطبری، تاریخ الأمم والملوک، ج ۴، ص ۲۶۳؛ وابن الأثیر، الکامل فی التاریخ، ج ۴، ص ۲۱.

۳– العقد الفرید، باب نهضه المختار.

۴– المقرم ص۲۰۶ نقلا عن مروج الذهب، ج۲، ص ۱۰۵، فی اخبار یزید.

حاء – ام سلمه تبكى الإمام عليه السلام

رأت أم سلمه(۱) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام أشعث مغبراً وعلى رأسه التراب.

فقالت له: يا رسول الله ما لى أراك أشعث مغبراً؟ قال: قتل ولدى الحسين وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه(۲)، فانتبهت فزعه ونظرت إلى القاروره التى فيها تراب أرض كربلاء فإذا به يفور دما(۳) وهو الذى دفعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم إليها وأمرها أن تحتفظ به وزاد على ذلك سماعها فى جوف الليل هاتفاً ينعى الحسين عليه السلام فيقول:

۱- المقرم ص ۲۹۰ نقلا عن ابن الأثير فى الكامل ج۲ ص ۳۸: يستقيم هذا بناء على وفاتها بعد الخمسين، وفى الاصابه ج۴، ص ۴۶۰ بترجمتها عن ابن حبان ماتت ام سلمه سنه ۶۱، وقال أبو نعيم: ماتت سنه ۶۲ وهى آخر امهات المؤمنين، وعند الواقدى: ماتت سنه ۵۹ وفى تهذيب الاسماء للنووى ج۲، ص ۳۶۲ عن احمد بن ابى خيثمه: ماتت فى ولايه يزيد بن معاويه وفى مرآه الجنان لليافعى ج۱، ص ۱۳۷: توفيت ام سلمه ام المؤمنين سنه ۶۱، وابن كثير فى البدايه وان تبع الواقدى الا انه قال الأحاديث المتقدمه فى مقتل الحسين تدل على انها عاشت إلى ما بعد مقتله، وفى عمده القارى للعينى شرح البخارى ج۱، ص ۴۲۷ آخر بحث القنوت: ان ام سلمه ماتت فى شوال سنه تسع وخمسين وفى تهذيب تاريخ ابن عساكر ج۱، ص ۳۴۱: عن الواقدى ماتت ام سلمه قبل مقتل الحسين بثلاث سنين ولكن فى اصول الكافى عن أهل البيت: ان الحسين اودعها ذخائر الامامه واوصاها ان تدفعها إلى زين العابدين عليه السلام وفى سير اعلام النبلاء للذهبى ج۲، ص ۱۴۲: ام سلمه زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخر من مات من امهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغشى عليها وحزنت عليه كثيراً ولم تلبث بعده إلا يسيراً وانتقلت إلى الله تعالى.

۲- امالى الشيخ الطوسى ص ۵۶، وفى تهذيب التهذيب ج۲، ص۱۳۹؛ وسير اعلام النبلاء للذهبى ج۲، ص۲۱۳: ان ام سلمه رأت رسول الله فى المنام واخبرها بقتل الحسين عليه السلام.

۳- المقرم نقلا عن كامل ابن الأثير ج۴، ص ۳۸؛ ومقتل الخوارزمى ج۲، ص ۹۵.

أيها القاتلون جهلًا حسيناً

أبشروا بالعذاب والتنكيل

قد لعنتم على لسان ابن داود

وموسى وصاحب الانجيل

كلٌّ أهل السماء يدعو عليكم

من نبيٍّ ومرسل وقتيل(۱)

وكانت تسمع فى جوف الليل أصوات نعى الحسين ولم تر أحداً فمن ذلك:

ألا يا عينُ فاحتفلى بجهدٍ

ومَنْ يبكى على الشهداء بعدى

على رهط تقودهُمُ المنايا

إلى متجبرٍ فى ملك عبدِ(۲)

ولما سمع ابن عباس بكاءها أسرع إليها يسألها الخبر فأعلمته بأن ما فى القارورتين يفور دماً.(۳)

وفى أصول الكافى أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد أودعها ذخائر الإمامه وأوصاها ان تدفعها إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

۹- ومما نضيفه هنا ان الإمام حينما اعطى الرخصه ليلًا لأصحابه كى يذهبوا عنه متسترين بهذا الليل كانت النساء قد سمعن الكلام، هؤلاء النساء اللاتى جئن مع اسرهن مثل أسره عبد الله بن عمير الكلبى، وجناده بن حرث الانصارى، ومسلم بن عوسجه الأسدى وغيرهم ولكن واحده منهم لم تطلب الرحيل ولم تعلن ذلك أبداً بل بقين مع الرجال الى جنب الامام عليه السلام وهذه مكرمه عظيمه لهؤلاء النساء القويات فى الدين والقويات فى الاراده.

۱- المقرم ص۲۹۱ نقلا عن تاريخ ابن عساكر ج۴، ص ۳۴۱؛ وفى تاج العروس ج۲، ص ۱۰۳؛ ذكر البيت الأول والثالث وفى روايته لعجزه «من نبى ومالك ورسول».

۲- تاريخ ابن عساكر ج۴، ص ۳۴۱

۳- حدیث القارورتین فی معالم الزلفی ص ۹۱ باب ۴۹؛ ومدینه المعاجز ص ۲۴۴؛ باب ۴۹: کلاهما للسید هاشم البحرانی.

طاء – مجالس العزاء

وقد اقيمت فى الشام حينما كانت السبايا هناك وأيضاً فى كربلاء بعد عودتهن إليها فى الاربعين وفى المدينه قبل وصول السبايا وبعده.

ومازالت مجالس العزاء حتى يومنا الحاضر تقيمها النساء المواليات النادبات للامام وهنّ الصوره الحاضره لنساء الطفوف.

٢ – دور المتابعه والحمايه

يكاد يكون هذا الدور خاصا بالسيده زينب عليها السلام بوصفها مَنْ تولت أمور العيال بعد استشهاد اخيها عليه السلام ومرض الامام زين العابدين عليه السلام، ولنا ان نتصور ثقل المسؤوليه التى حملتها السيده زينب فى هذا السفر الطويل الذى بدأ منذ خروج الامام عليه السلام من المدينه حتى عوده الركب إليها فى شهر ربيع الاول وقد كانت مهمه جسيمه فى وقت عصيب ومشحون بالتوترات وعدم الاستقرار فى مكان واحد مع وجود الاعداء والحاقدين والشامتين .. وفى مسير مفعم بالحزن وبخاصه بعد استشهاد الامام وبدء رحله السبى حيث يذكر المؤرخون انه كان فى موكب السبايا ما يقارب العشرين امرأه واكثر من هذا العدد من الاطفال ومع قطع الرؤوس وحملها على الرماح امام موكب السبايا وذهول الامهات وأنين الزوجات والبنات وفى نفس الوقت رعايه المريض فقدكانت مهام قاسيه وثقيله ايضا.

وتعنى مهمه المتابعه أو الحمايه رعايه شؤون المرضى من النساء والأطفال وحمايه الاطفال وتسليه النساء وإبقاء الصوره الحسينيه فى اطار الصلابه وعدم الخنوع أو نسيان العزه والكرامه.. ومن هذه الاشاره يمكن ادراك صلابه السيده وسعه صدرها ومتانه البنيان الروحى عندها وحجم ايمانها بالثوره..

وسنمر على بعض المواقف التى توجهنا نحو الصوره بشكل سريع، واهمها:

۱ . متابعه شأن الإمام الحسين علیه السلام نفسه حتی استشهاده، ونری ذلک بوضوح فی طول المسیره التی کانت فیها معه ونورد هنا بعض المواقف الأساسیه:

أ- موقف السیده زینب علیها السلام فی استعلام نوایا أصحاب الإمام علیه السلام.

جاء فی المقتل:

ثم دخل الحسین خیمه زینب ووقف نافع بإزاء الخیمه ینتظره فسمع زینب تقول له: هل استعلمت من أصحابک نیاتهم فانی أخشی ان یسلموک عند الوثبه.

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فیهم إلا الاشوش الاقعس یستأنسون بالمنیه دونی استیناس الطفل إلی محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بکیت وأتیت حبیب بن مظاهر وحکیت ما سمعت منه ومن اخته زینب.

قال حبیب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسیفی هذه اللیله، قلت: إنی خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشارکنها فی الحسره فهل لک ان تجمع اصحابک وتواجهوهن بکلام یطیب قلوبهن فقام حبیب ونادی: یا أصحاب الحمیه ولیوث الکریهه، فتطالعوا من مضاربهم کالأسود الضاریه فقال لبنی هاشم: ارجعوا إلی مقرکم لا سهرت عیونکم.

ثم التفت إلی أصحابه وحکی لهم ما شاهده ، فقالوا بأجمعهم والله الذی منَّ علینا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسیوفنا الساعه! فطبْ نفساً وقرَّ عیناً فجزّاهم خیراً.

وقال هلموا معی لنواجه النسوه ونطیب خاطرهن فجاء حبیب ومعه أصحابه وصاح: یا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتیانکم آلوا ألا یغمدوها إلا فی رقاب

من يريد السوء فيكم وهذه أسنه غلمانكم اقسموا ألا يركزوها إلا فى صدور من يفرق ناديكم.

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن: ايها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين.

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.(۱)

ب – كانت متابعه لشؤون أخيها

وذلك حسبما نقله المقرم فى المقتل:

قال على بن الحسين:

سمعت أبى فى الليله التى قتل فى صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أفٍّ لك من خليل

كم لك بالاشراق والاصيل

مِنْ صاحب وطالب قتيل

والدهر لا يقنع بالبديل

وانّما الأمر إلى الجليل

وكل حيٍّ سالك سبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً ففهمتها وعرفت ما أراد وخنقتنى العبره ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد نزل.

وأما عمتى زينب لما سمعت ذلك وثبت تجرُّ ذيلها حتى انتهت إليه وقالت: واثكلاه ليت الموت اعدمنى الحياه! اليوم ماتت أمى فاطمه وأبى على وأخى الحسن، يا خليفه الماضى وثمال الباقى فعزاها الحسين وصبَّرها وفيما قال: يا أختاه تعزّى بعزاء الله واعلمى ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شىء هالك الا وجهه، ولى ولكل مسلم برسول الله أسوه حسنه.

۱– المقرم ص۲۱۹ نقلاعن الدمعه الساكبه، ص۳۲۵.

فقالت عليها السلام: أفتغصب نفسك اغتصاباً فذاك أقرح لقلبى وأشد على نفسى.

وبكت النسوه معها ولطمن الخدود وصاحت أم كلثوم وامحمده واعلياه واأماه واحسيناه واضيعتنا بعدك؟!

فقال الحسين: يا اختاه يا ام كلثوم يا فاطمه يا رباب انظرْنَ إذا قتلت فلا تشققن علىّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.(۱)

۲ – حمايه الإمام زين العابدين عليه السلام وقد كان مريضاً فى أثناء المعركه وقد همَّ الأمويون بقتله غير أنّ زينب عليها السلام كانت الحمى له، وقد ورد فى ذلك عده مواقف منها:

أ – حينما بقى الإمام الحسين عليه السلام وحيداً خرج ينادى بأعلى صوته: هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله فى اغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالبكاء(۲).

ونهض السجاد عليه السلام يتوكأ على عصا ويجر سيفه؛ لأنه مريض لا يستطيع الحركه فصاح الحسين بأخته احبسيه؛ لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد، فأرجعته إلى فراشه.(۳)

ب – حينما احترقت الخيام وهجمت الجند لسلبها أراد الشمر قتله

جاء فى المقتل:

وانتهى القوم إلى على بن الحسين وهو مريض على فراشه لا يستطيع النهوض

۱– المقرم ,مقتل الحسين ص۲۱۸

۲– اللهوف، ص ۶۵.

۳– المقرم، مقتل الحسين، ص ۳۱۶.

وقائل یقول: لا تدعوا منهم صغیراً ولا کبیراً وآخر یقول: لا تعجلوا حتی نستشیر الأمیر عمر بن سعد، وجرد الشمر سیفه یرید قتله فقال له حمید بن مسلم: یا سبحان الله أتقتل الصبیان؟ انما هو صبی مریض! فقال: إن ابن زیاد أمر بقتل أولاد الحسین وبالغ ابن سعد فی منعه خصوصاً لما سمع العقیله زینب أبنه أمیر المؤمنین تقول: لا یقتل حتی اقتل دونه فکفّوا عنه.(۱)

ج – فی مجلس ابن زیاد

قال الراوی:

التفت ابن زیاد إلی علی بن الحسین وقال له: ما اسمک؟

قال: انا علی بن الحسین.

فقال له: أو لم یقتل الله علیاً؟ فقال السجاد علیه السلام:

کان لی أخ أکبر منی یسمی علیاً قتله الناس.

فردَّ علیه ابن زیاد بأن الله قتله. قال السجاد علیه السلام:

الله یتوفی الأنفس حین موتها وما کان لنفس ان تموت إلا بإذن الله.

فکبر علی ابن زیاد ان یرد علیه فأمر ان تضرب عنقه.

لکنَّ عمته العقیله اعتنقته وقالت: حسبک یا ابن زیاد من دمائنا ما سفکت وهل ابقیت أحداً غیر هذا فان اردت قتله فاقتلنی معه.

فقال السجاد علیه السلام:

أما علمت ان القتل لنا عاده وکرامتنا من الله الشهاده فنظر ابن زیاد إلیهما وقال: دعوه لها عجباً للرحم ودَّت انها تقتل معه.(۲)

۱– المقرم ص۳۰۱.

۲– المقرم ص۳۲۵ نقلا عن ابن الأثیر، ج۴، ص ۳۴.

د – فی الشام حینما وضعهم یزید فی الخربه التی لا تقیهم من الحر

جاء فی المقتل الحسینی:

ولقد احدثت خطبه العقیله زینب هزه فی مجلس یزید وراح الرجل یحدث جلیسه بالضلال الذی غمرهم وانهم فی ای واد یعمهون، فلم یر یزید مناصاً إلا ان یُخرج الحرم من المجلس إلی خربه لا تکنُّهم من حرٍّ ولا برد فأقاموا فیها ینوحون علی الحسین علیه السلام ثلاثه أیام.

وفی بعض الأیام خرج السجاد علیه السلام منها یتروح، فلقیه المنهال بن عمر وقال له: کیف امسیت یا ابن رسول الله؟ قال علیه السلام:

أمسینا کمثل بنی إسرائیل فی آل فرعون یذبحون أبناءهم ویستحیون نساءهم، امست العرب تفتخر علی العجم بان محمداً منها، وامست قریش تفتخر علی سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسینا معشر أهل بیته مقتولین مشردین فانا لله وانّا إلیه راجعون.

قال المنهال: وبینما یکلمنی إذ امرأه خرجت خلفه تقول له: إلی این یا نعم الخلف؟ فترکنی واسرع إلیها فسألت عنها قیل: هذه عمته زینب.(۱)

ه – مواساه الإمام زین العابدین علیه السلام بعد ما رأی مصرع ابیه واخوته وباقی عشیرته

جاء فی المقتل:

وأما علی بن الحسین فإنه لما نظر إلی أهله مجزرین وبینهم مهجه الزهراء بحاله تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا عظم ذلک علیه واشتد قلقه فلما تبینت ذلک منه زینب الکبری بنت علی علیه السلام أهمها أمر الإمام فأخذت تسلیه

۱– المقرم ص ۳۶۰.

وتصبره وهو الذی لا توازن الجبال بصبره وفیما قالت له:

«ما لی أراک تجود بنفسک یا بقیه جدی وأبی واخوتی فوالله ان هذا العهد من الله إلی جدک وأبیک ولقد اخذ الله میثاق أُناس لا تعرفهم فراعنه هذه الأرض وهم معروفون فی أهل السماوات انهم یجمعون هذه الاعضاء المقطعه والجسوم المضرجه فیوارونها وینصبون بهذا الطف علماً لقبر أبیک سید الشهداء لا یدرس اثره ولا یمحی رسمه علی کرور اللیالی والأیام ولیجتهدن أئمه الکفر واشیاع الضلال فی محوه وتطمیسه فلا یزداد أثره إلاعلواً».(۱)

۳ - متابعه شأن رقیه علیها السلام حتی دفنها فی الشام:

حیث کانت السیده زینب علیها السلام معها لما طالبت رؤیه أبیها وجاءوها بالطشت ولما ماتت وغسلت.

۴ - متابعه شأن فاطمه بنت الحسین وبخاصه فی موقف الشامی فی مجلس یزید:

نظر رجل شامی إلی فاطمه بنت علی فطلب من یزید ان یهبها له لتخدمه ففزعت ابنه أمیر المؤمنین وتعلقت بالعقیله زینب وقالت: کیف اخدم؟ قالت العقیله: لا علیک انه لن یکون أبداً فقال یزید: لو اردت لفعلت! فقالت له: إلا أن تخرج عن دیننا فرد علیها: إنما خرج عن الدین أبوک واخوک! قالت زینب: بدین الله ودین جدی وأبی وأخی اهتدیت أنت وأبوک إن کنت مسلماً قال: کذبت یا عدوه الله! فرقت (علیها السلام) وقالت:

أنت أمیر تشتم ظالماً وتقهر بسلطانک وعاود الشامی الطلب فزبره یزید ونهره وقال له: وهب الله لک حتفاً قاضیاً.(۲)

۱- المقرم ص۳۰۸.

۲- الطبری، ج۶، ص ۲۶۵.

وهنا لابـد من ان نشـير إلى ان جل مهام متابعه أفراد القافله الحسـينيه وبخاصه بعـد استشـهاد الإمام كانت مسؤوليه السـيده زينب بعدما أوصاها الإمام الحسين عليه السلام بذلك وعهد إليها بالمهام الأساسيه.

۳ – الدور القيمى

اشاره

لاـ يغيب عن بالنـا ان ثوره الإمام الحسـين عليه السـلام كانت ثوره قيميه بكل معناها فقـد كانت رحى الحرب تـدور بين فريقين؛ أحدهما: آمن بقيم الإسلام ومثله وأخلاقه وسعى لاصلاح المجتمع وفق تلك القيم، والآخر: سعى لايجاد مجتمع آخر مبتعدا عن نهج الإسلام – وان حمل اسمه أمام الملأ – وبعيدا عن هذه القيم وتلك المثل التى حملها الحسين عليه السلام.

والقيم مشتقه من كلمه قيمه وهى مأخذوه من القيام الذى هو نقيض الجلوس ويأتى بمعنى آخر هو العزم وذلك فى قوله تعالى:

((وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ)) أى عزم.

ويجىء القيام بمعنى الوقوف والثبات يقال أمه قائمه أى متمسكه بدينها. وقوّم السلعه أى قدّرها وفى ذلك الآيه:

((ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)).

أى المستقيم الذى لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق.(۱)

وتُعرّف القيم بانهـا معيـار للحكم على كـل مـا يؤمن به مجتمع ما من المجتمعات البشـريه ويؤثر فى سـلوك أفراده حيث يتم من خلاله الحكم على شخصيه الفرد ومدى صدق انتمائه نحو المجتمع بكل افكاره ومعتقداته وأهدافه وطموحاته.(۲)

۱– د. احمد كنعان، أدب الأطفال والقيم التربويه، ص ۱۳۳.

۲– نفس المصدر، ص ۱۳۵.

وتتميز القيم بانها تمثل انعكاساً لمعتقدات أفراد المجتمع، ومن ثم فهى تعكس هويته وصفاته المميزه.. وغياب القيمه أو عدم وضوحها يؤدى إلى ضياع الفرد ذاته ويؤدى به إلى فقدان الاحساس بالحياه وباهدافها. ويعدّ الدين من العوامل الأساسيه المؤثره فى بناء القيم. كما وتعدّ المرأه احد أهم وسائل نقل القيم من جيل إلى آخر عبر التربيه من جانب. ومن جانب آخر تكون المرأه اكثر صيانه للقيم؛ لأنها أقل تمرداً عليها وأكثر استجابه لها وأكثر اهتماماً بحفظها وحمايتها.

فى عصر الإمام الحسين عليه السلام اهتزت المنظومه القيميه من خلال التكالب على الدنيا وسياده روح الانهزاميه والوشايه والسعايه وانتشر الفساد والانحراف فى عموم مفاصل الدوله والامه على حد سواء. وبهذا كان عصر ما قبل ثوره الإمام عليه السلام يمثل ادنى درجات الانهيار الأخلاقى والفساد الادارى والاجتماعى والسياسى وهذا واضح وعلى اكثر من صعيد، وقد بلغ الهبوط القيمى مداه بشكل لا يمكن علاجه بالوعظ والكلمات، حتى كانت واقعه الطف التى أيقظت ضمير الامه وهزت البنيه التحتيه للنهج الاموى القائم على منظومه الفساد والتحريف وشراء الذمم والضمائر، ومن ثم افرزت الثوره قائمه طويله من القيم الإيجابيه العليا التى كان لها أثر كبير فى تبديل أخلاق الأمه كلها ليس على مدى جيل واحد بل اجيال عده وليس على الواقع الآنى للامه بل على مستوى الحاضر والمستقبل. ونجحت فى استبدال منظومه القيم فبدلاً من الرضا بحياه الذل والرضوخ للظالم اصبحت قيمه العز والتضحيه والشهاده ضد الحاكم الظالم هى القيم الجديده. وبدل الروح الانهزاميه جاءت روح المبادره والروح الإيجابيه وهكذا.

ولا أريد استعراض كل قيم الثوره الحسينيه فهذا مجال يطول الكلام عنه ولكنى أريد ان أمر على القيم التى حملتها النساء إلى المجتمع من خلال تضحياتهن بحضورهن فى أرض كربلاء، وهى بلا شك قيم كثيره تركت اثرها على نساء زمانها وعلى نساء زماننا

وهی أكثر ما نحتاج إلیه الیوم إزاء التحدیات الجسام التی تحیط بالمرأه المسلمه.

والملاحظ ان هـذه القیم قد ظهرت فی وقت امتحان القیم وكان امتحاناً عسیراً واختباراً صعباً للغایه خسر فیه الكثیر من صنادید الرجال لكن نجحت هـذه المجموعه الصغیره فی بیانها وایضاحها - علی الرغم من قله الامكانات - لكن اراده النساء صنعت المعجزات.(١)

وابرز هذه القیم:

ألف . الدفاع عن المقدس

لا بد من الاشاره أولا إلی ان الأمه الاصیله والتی تتمتع بعوامل القوه والخلود هی التی تحافظ علی مقدساتها وتعمل علی صیانتها أمام التیارات والاتجاهات المخالفه والتی تسعی بكل الوسائل لأجل اضعاف وضعضعه البنی التحتیه للامه القویه وأول خطوه فی هـذا المجال هو اختراق المقدس نفسه ومصادره قدسیته واسقاطه كرمز ثابت وحیوی فی عیون ابنائه ومن ثم تنفصل الأمه عن تاریخها وتراثها وعن احد اهم عناصر القوه فیها وتصبح مقطوعه الجذور متكسره الدعائم. وهذا یفسر لنا سبب تزاید الموضات الجدیده فی الرسوم الكاریكاتوریه ضد رموز الإسلام العظیم والتی تدخل ضمن اطار الهجمه الشرسه علی الاسلام ومقدساته، فاذا أُهین المقدس تختل خطوط التواصل بینه وبین الامه مما یمهد لبدء التشویش والتشكیك ضمن هـذه العلاقه وفی المره الأولی قد تصبح المعارضه قویه؛ لان العلاقه مازالت متأصله لكن مع تداوم الهجوم تضعف ردود الفعل. ویصبح الامر اشد طامه فیما إذا تخلی العلماء والمثقفون عن ادوارهم فی بیان استتباعات الاحداث، ولكن إذا ضعفت المواجهه فسوف تتواری صور

١- یقول مرتضی مطهری (لیس هناك أیه واقعه فی التاریخ تعكس الفضائل الإنسانیه كواقعه كربلاء) الملحمه الحسینیه,ج١، ص ٦٨.

المقدسات العليا خلف الرموز البديله وتزداد ضبابيه الصوره فی عیون أبنائها شیئاً فشیئاً ولا یبقی للأبناء شیء یسمونه المقدس کی یحافظوا علیه!.

ولقد کان المسلمون فی عصر الرساله یشعرون بالقداسه الکبری لشخص الرسول صلی الله علیه وآله وسلم ولکننا نری انکسار هذه القداسه من خلال الأحداث التی جرت بعده فالناس انشغلوا عن موته ودفنه بأحداث السقیفه وجاءوا بمن یرغبون ناکثین الولاء والعهد الذی قدموه یوم الغدیر!. ثم جاءت شهاده الزهراء علیها السلام کأقسی انتهاک لصوره المقدس وفی زمن قصیر بعد وفاه ابیها وبصوره مؤلمه للغایه.. حریق عند الباب، حصار، ضرب حتی ماتت ساخطه علی الشیخین وعلی کثیر غیرهما وکان تغییب قبر الزهراء علیها السلام بحد ذاته نوعاً من الاحتجاج الازلی علی عدم حفظ المقدسات وعلی عدم احترام الأمه نفسها لمکانه العتره التی هی عدل القرآن کما جاء فی الحدیث المروی عن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم: انی تارک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی(۱)، ویبقی هذا الاحتجاج جلیا خالداً کنوع من وخز الضمیر والتذکیر بالمقدس المنتهک الحرمه.

وبهذا تجرأت الأمه علی المقدس؛ إذ لم تبق هناک مساحات محرمه لا یمکن اختراقها واصبح المقدس نفسه فی صوره اللا مقدس أو بالاحری الشیء العادی الذی عندهم. وساد سوء الظن والفتنه والشک فکانت شهاده الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام فی الشهر المقدس والمکان المقدس والوقت المقدس!!، وهو علیه السلام ایضا کان الامام المعصوم والقرآن الناطق فهو المقدس ولکن الامه لم تعد تنظر إلی الحدود الأولی للمقدس کما کان الأمر فی زمن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، ولهذا نجد الإمام الحسن علیه السلام یعانی الأمرّین فانصاره یکنوه ب(یا مذل المؤمنین) وأعداؤه

۱- صحیح مسلم۱۲۲ / ۷ صحیح الترمذی۳۲۸ / ۵.

يتربصون لقتلهِ، وحتى لما استشهد بعد ان دست زوجته السم له (انظر إلى الساحه القريبه لاجتثاث المقدس) جاء التجرؤ على جسده فى التابوت فكان رمى الجنازه بالنبال وكان المنع من دفنه إلى جوار جده الذى قال عنه:

«من أحب الحسن والحسين فقد احبنى، ومن ابغضهما فقد ابغضنى»(۱)

فى حين ان الميت المسلم حتى لو كان إنساناً عادياً جداً فله حرمه وله قداسه وهذه القداسه الخاصه تتطلب دفنه فى المكان الذى يليق به والصلاه عليه وعدم اهانه جنازته! إلى غير ذلک.

ولقد افرزت ثوره الإمام الحسين عليه السلام نمطين من التعامل مع المقدس:

نمطاً حفظ هذه القدسيه وصانها وحماها..

ونمطاً استهان بها إلى أبعد الحدود فانتهک الحرمه واتى بكل قبيح ومنكر..

ففى واقعه الطف قتلوا سيد شباب اهل الجنه وريحانه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاستحلوا دمه ومثّلوا بجثته عليه السلام، ولا يجوز التمثيل حتى بالكلب العقور! وذبحوه ورفعوا راسه على الرمح يطوفون به فى البلدان استبشارا وفرحا وسرورا!!.

وسبوا نساءه المسلمات المخدرات حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونساء بيت الوحى، ولا يجوز أصلاً سبى المرأه المسلمه، إلى غير ذلک من صور العنف القاسى ضد أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وقد عمل الامويون على تشويه صوره المقدس بدعوى ان الذى ثار عليهم كان خارجيا!! ولم يعلنوا عن الاسم الصريح له ومن أين جاء الى كربلاء!. فقد راعهم الاستقبال الكبير الذى اعده اهل الكوفه لما سمعوا باقبال الحسين اليهم:

۱- سنن ابن ماجه فى فضائل الحسن والحسين , ومسند احمد۲\۲۸۸و ۴۴۰ و ۵۳۱

... ولكن الناس لما ذهبوا لاستقباله (الامام الحسين) عند مدخل المدينه، فدخَلها (ابن زياد) فی أهله وحشمه وعليه عمامه سوداء قد تَلَثَّم بها، وهو راكب بغله والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون: وعليك السلام يا ابن رسول الله! (تصوروه الحسين) قدمْتَ خير مَقْدَم، حتى انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصَّنَ فيه، ثم أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله مالی ولك؟ وما حملك على قصد بلدی من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال يومك يا نعيم، وحَسَرَ اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانه، وحَصَبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر!!.(۱) إذ ان الذی استقبلوه كان ملثما وقد تصوروا انه الحسين فی حين انه كان عبيد الله بن زياد الذی جاء لتولی منصبه الجديد واليا على الكوفه!!. هذه الحادثه كشفت للامويين عن مكانه الامام فی قلوب الناس فوضعوا خططا جديده لتقويض الحركه الحسينيه واولها اخفاء اسم الثائر وتشويه ثورته. وإذا كان هناك من يجهل من هو الثائر فكيف بالذی عاش معه دهرا!!. كعمر بن سعد فهؤلاء يعرفون من هو الحسين عليه السلام ويعرفون انه المقدس ولكنهم تمردوا عليه بتلك الصوره الوحشيه!. وقد حاول الامام عليه السلام ان يذكرهم بالقداسه لما خرج يوم عاشوراء، إذ كان قد ارتدى عمامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لإلقاء الحجه عليهم.

وفی الصوره الأولى نجد أصحاب الإمام عليه السلام قمه ساميه فی التفانی والفداء صيانه للمقدس، ونجد وصاياهم كلها تدور حول نصره الإمام عليه السلام والتضحيه دونه.(۲) فلقد تفانی الجميع رجالا ونساء فی تقديم الدعم للامام ولم يتخلَّ

۱- المسعودی, مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ۳، ص ۶۶.

۲- راجع المقرم، مقتل الحسين عليه السلام ۲۱۲ - ۲۱۴.

واحـد او واحـده عن نصـره الامام رغم ان التحدى كان خطيرا، فهذا وهب الكلبى بالغ فى الجهاد وكان معه امرأته ووالدته فرجع إليهمـا وقـال: يـا امّه أرضـيت ام لا؛ فقال الأم: ما رضـيت حتّى تقتل بين يـدى الحسـين عليه السـلام؛ وقالت امرأته بالله عليك لا تفجعنى بنفسـك؛ فقالت له امّه يا بنىّ اعزب عن قولها وارجع فقاتل بين يـدى ابن بنت نبيّك تنل شـفاعه جـدّه يوم القيمه فرجع فلم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه فاخذت امرأته عموداً فاقبلت نحوه وهى تقول فداك ابى وأمى قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فاقبل كى يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود دون ان أموت معك فقال الحسين عليه السـلام جزيتم من أهل بيتى خيراً ارجعى إلى النساء رحمك الله فانصرف إليهنّ ولم يزل الكلبى يقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.(۱)

وهذه ام عمرو بن جناده الانصارى تدفع ولدها لحمايه المقدس:

فعندما جاء عمرو بن جناده الانصارى بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشـره سـنه يسـتأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلام قتل أبوه فى الحمله الأـولى ولعـل أمه تكره ذلـك قـال الغلاـم: ان أمى امرتنى؛ فإذن له فما أسـرع أن قتل ورمى برأسه إلى جهه الحسـين فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم.(۲)

وماريا التى جادت بالمال لنصره المقدس.

ويمكن مراجعه أدوار النساء فى نصـره آل البيت عليهم السـلام والتى تدخل ضمن صيانه المقدس والدفاع عنه. وقد سعت حرائر أهل البيت عليهم السلام إلى كشف

۱- ابن طاووس، اللهوف، ص۱۰۵.

۲- المقرم، ص۲۵۳.

اللثام عن خداع بنى اميه حينما القت السيده زينب عليها السلام خطبتها فى الكوفه فعرف الناس انهم حاربوا المقدس وهتكوا حرمه القداسه ولهذا انطلقت الثورات بعدها فكانت ثوره التوابين والمختار إلى غير ذلك.

قالت السيده زينب فى خطبتها:

وأنّى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوه، ومعدن الرساله. ومدره حجتكم ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسيد شباب أهل الجنه ألا ساء ما تزرون.

وقالت ام كلثوم:

وأى دماء سفكتم وأى كريمه أصبتموها وأى صبيه أسلمتموها وأى أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعد النبى ونزعت الرحمه من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون. وحزب الشيطان هم الخاسرون.

وقالت فاطمه بنت الحسين:

حتى قبضه الله تعالى اليه محمود النقيه، طيب العريكه، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فى الله سبحانه لومه لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً فى الدنيا غير حريص عليها، راغباً فى الآخره، مجاهداً لك فى سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

باء . قيم حمايه المرأه

اشاره

كشفت الواقعه عن سمو السلوك الانسانى لدى الامام فى تعامله مع النساء، وعن تدنى السلوك الاموى فى هذا التعامل. واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الرؤى المعاصره تعدّ التعامل مع المرأه وما عليه من اوضاع اجتماعيه من تدهور أو تخلف أو ارتقاء مقياسا لتفسير تخلف المجتمع أو تقدمه استطعنا ان نصل الى فهم اعمق لواقعه الطف من خلال

هـذه المعادله. ففى الوقت الـذى يبذل الامام عليه السـلام جهده فى ان لا يُقحم النساء فى الحرب العسـكريه يسـعى التيار الاموى الى تسـليط مزيـد من الضـغوطات على الامام من خلال اسـتفزاز النساء واحراق الخيام فيما بعـد والطواف بهن فى البلدان !!. وفى الوقت الـذى نرى الرؤى المعاصـره تبتز قـداسه المرأه الانسـان والخليفه نجـد الاسـلام يحرص على حمـايه المرأه ضـمن الـدائره الانسانيه.

وعموما تتجلى قيم صيانه المرأه فى جانبين:

فمن جهه ان الإمام الحسين عليه السلام سعى إلى صيانه المرأه المتواجده فى أرض المعركه وتمت هذه الصيانه والحفظ لمكانه المرأه من خلال عده أمور منها:

١ – منع الإمام الحسين عليه السلام النساء من القتال

عنـدما اخـذت ام وهب بنت عبـد الله من النمر بن قاسط عموداً واقبلت نحو زوجها وهى تقول فداك ابى وامى قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فـأراد ان يردهـا إلى النسـاء فأخـذت بجانب ثوبه وقالت لن أعود دون ان اموت معك فقـال الحسـين عليه السـلام جزيتم من أهـل بيتى خيراً ارجعى إلى الخيمه فـأنه ليس على النساء قتال فرجعت(١)... وعندما رد ام عمرو بن جناده الانصارى إلى الخيمه بعد أن اصابت بالعمود رجلين.

٢ – خاطب الإمام الأعداء بان لا يتعرضوا للنساء فهو الذى يقاتل

قال مخاطبا أعداءه:

ويلكـم يـا شـيعه آل أبى سـفيان ان لـم يكـن لكم دين وكنتم لاـ تخـافون المعـاد فكونـوا أحراراً فى دنيـاكم هـذه وارجعـوا إلى احسـابكم إن كنتم عربـاً كمـا تزعمون، قال فناداه شـمر لعنه الله: ما تقول يا ابن فاطمه، فقال انى أقول أقاتلكم وتقاتلوننى والنساء ليس

١– المقرم ص ٢٣٩.

عليهن جناح فامنعوا عتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمى ما دمت حيّاً(۱)..

۳ – حفر الخندق حول الخيام

ثم انه عليه السلام أمر أصحابه ان يقاربوا البيوت بعضها من بعض ليستقبلوا القوم من وجه واحد، وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع فيه الحطب ويلقى عليه النار إذا قاتلهم العدو كيلا تقتحمه الخيل، فيكون القتال من وجه واحد.(۲)

۴ – منع النساء من الخروج من الخيام حتى استشهاده عليه السلام

ولم تخرج النساء من الخيام حتى احتراقها على أغلب الروايات. والدليل مجىء فرس الحسين ناعيا راكبه عند باب الخيمه التى تجمعت فيها النساء وهو يصهل بحزن وفى ذلك يعلق مرتضى مطهرى فى ملحمته ان النساء كن فى الخيام وكلما سمعن صوت الامام شعرن بالامن والسكينه وانما بقين فى الخيام طاعه لوصاياه عليه السلام ويضيف مطهرى: ان اوامر الامام كانت صارمه فى عدم تجاوز الخيمه. نعم هناك بعض الروايات عن خروج السيده زينب عليها السلام وبعض النساء عن الخيام لأمور طارئه ولدقائق معدوده منها:

۱– خروج السيده زينب عليها السلام لما استشهد على الاكبر.. وروى الطبرىّ: عن حُميد بن مسلم الأزدى قال: سماع أذنى يومئذ من الحسين يقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بُنىّ، ما أجرأهم على الرّحمن وعلى انتهاك حرمه الرّسول، على الدّنيا بعدك العفاء. قال: وكأنِّى أنظر إلى امرأه خرجت مُسرعه كأنّها الشّمس الطالعه تنادى: يا أُخيّاه ويا ابن أخاه! قال: فسألتُ عنها فقيل: هذه زينب أبنه فاطمه بنت رسول الله،

۱– اللهوف، ص ۱۲۰.

۲– الطبرى، ج ۱، ص ۲۴۰.

فجاءت حتّى أكبّت عليه، فجاءها الحسين، فأخذ بيدها فردّها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه، وأقبل فتيانه إليه فقال: إحملوا أخاكم. فحملوه من مصرعه حتّى وضعوه بين يدىّ الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه.(۱)

۲- خروج أم وهب إلى الميدان فردها الحسين الى الخيمه (جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعى إلى الخيمه).

۳- روايه يذكرها ارباب المنبر الحسينى حول تقديم الجواد للامام لما سقط على ارض المعركه.

۴- خروج ام عمرو بن جناده الانصارى، (فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم).(۲)

ولعل هناك مواقف أخرى مختلفاً فى صحتها لكن الأعم ان النساء بقين فى الخيام طاعه للحسين عليه السلام حتى جاء الجواد باكيا.

۵ – مراعاه مشاعر النساء

ا- الامام يصبّر ابنته سكينه:

قال المقرم فى مقتله عليه السلام:

والتفت الحسين إلى ابنته سكينه التى يصفها الحسن المثنى «بأن الاستغراق مع الله غالب عليها» فرآها منحازه عن النساء باكيه نادبه فوقف عليها مصبراً ومسلياً ولسان حاله يقول:

هذا الوداع عزيزتى والملتقى

يوم القيامه عند حوض الكوثر

۱- العلامه السيد مرتضى العسكرى، معالم المدرستين، ص ۴۳۴.

۲- المقرم، ص۲۵۳.

فدعی البکاء وللأسار تهیَّأی

واستشعری الصبر الجمیل وبادری

وادا رأیتینی علی وجه الثّری

دامی الورید مبضَّعاً فتصبَّری(١)

ب- ویتألم الامام لبکاء النساء فیطلب من العباس وابنه الاکبر اسکاتهن:

قال المقرم فی مقتله علیه السلام:

ثم دعا براحلته فرکبها ونادی بصوت عال یسمعه جلهم:

أیها الناس اسمعوا قولی ولا تعجلوا حتی أعظکم بما هو حق لکم علی، وحتی اعتذر إلیکم من مقدمی علیکم فان قبلتم عذری وصدقتم قولی وأعطیتمونی النصف من أنفسکم کنتم بذلک أسعد ولم یکن لکم علیَّ سبیل وإن لم تقبلوا منی العذر ولم تعطوا النصف من أنفسکم فأجمعوا أمرکم وشرکاءکم ثم لا یکن أمرکم علیکم غمه ثم اقضوا إلی ولا تنظرون إن ولییِّ الله الذی نزل الکتاب وهو یتولی الصالحین.

فلما سمعّت النساء هذا منه صحْنَ وبکیْنَ وارتفعت اصواتهنَّ فأرسل إلیهنَّ أخاه العباس وابنه علیاً الأکبر وقال لهما: أَسکتاهنَّ فلعمری لیکثرنّ بکاؤهنَّ.(٢)

ج- ثم انه علیه السلام ودع عیاله ثانیاً وامرهم بالصبر ولبس الأزر، وقال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالی حامیکم وحافظکم...

د- مقولته علیه السلام لما رأی عمروبن جناده الانصاری یستأذنه للحرب: هذا غلام قتل ابوه بالحمله الأولی ولعل أمه تکره ذلک....

ه- لما همّ بالخروج من المدینه اجتمعت النساء باکیات فمشی إلیهن الحسین وسکتهن وقال: أنشدکن الله ان تبدین هذا الأمر معصیه لله ولرسوله...(٣)

١- المقرم، ص ٢٧٧.

٢- المقرم، ص ٢٢٧.

٣- المقرم، ص١٣٧.

۶- اسـناد مسؤوليات حمايه العيال والنساء إلى السـيده زينب عليها السلام وكان الإمام زين العابدين عليه السلام مريضاً من جهه، ومن جهه أخرى؛ لأنها قادره على توجيه النساء أنفسهن الوجهه المتناسبه مع قيم الثوره وأخلاقها وهو ما سنتطرق إليه لاحقا.

۷- ولقـد اسـتغل الاعـداء انشـغال الامام بعياله فقال عمر بن سـعد: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشـغولاً بنفسه وحرمه والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسـرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض ازر النساء فدهشْنَ وارعبْنَ وصـحْنَ ودخلن الخيمه ينظرن إلى الحسـين كيف يصـنع فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فيقتله والسِهام تأخذه من كل ناحيه وهو يتقيها بصدره ونحره.(۱)

ولما وصل الماء ليشرب منه تركه لما سمع بتجاوز الاعداء على خدر النساء عندما قصده القوم واشتد القتال:

وقد اشتد به العطش، فحمل عن نحو الفرات على عمرو بن الحجاج وكان فى أربعه آلاف فكشفهم عن الماء واقحم الفرس الماء فلما همَّ الفرس ليشرب قال الحسين: انت عطشان وانا عطشان فلا اشرب حتى تشرب! فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام ولما مد الحسين يده ليشرب ناداه رجل اتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟ فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمه.(۲)

وللنساء فى هذه الواقعه مواقف انسانيه رائعه ضمن قيم خاصه منها:

۱ – امرأه من الكوفيات تجمع الأزر والمقانع للنساء:

۱- المقرم، ص ۲۷۷.

۲- المقرم، ص ۲۷۵.

جاء في المقتل: فاشرفت إمرأه من الكوفيّات فقالت من أى الأسارى أنتنّ فقلن نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت المرأه من سطحها فجمعت لهن ملاء، وازراً ومقانع واعطتهن فتغطّين.(۱)

۲ – في سبى النساء تطلب السيده ام كلثوم ان يمر بطريق قليل النظاره: ولما قربوا من دمشق أرسلت أم كلثوم إلى الشمر تسأله أن يدخلهم في درب قليل النظّار ويخرجوا الرؤوس من بين المحامل لكى يشتغل الناس بالنظر إلى الرؤوس فسلك بهم على حاله تقشعر عن ذكرها الابدان وترتعد لها فرائص كل انسان.(۲)

۳ – في الشام تتصدى السيده زينب عليها السلام لصيانه فاطمه بنت الحسين في موقف الشامى الذى ارادها جاريه وتعلنها ثوره ضده في مجلسه:

نظر رجل شامى إلى فاطمه بنت على فطلب من يزيد ان يهبها له لتخدمه ففزعت ابنه أمير المؤمنين وتعلقت بالعقيله زينب وقالت: كيف اخدم؟ قالت العقيله: لا عليك انه لن يكون أبداً فقال يزيد: لو اردت لفعلت! فقالت له: إلا أن تخرج عن ديننا فرد عليها: إنما خرج عن الدين أبوك واخوك! قالت زينب: بدين الله ودين جدى وأبى وأخى اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال: كذبت يا عدوه الله! فرقت (عليها السلام) وقالت: أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك وعاود الشامى الطلب فزبره يزيد ونهره وقال له: وهب الله لك حتفاً قاضياً.(۳)

۴ – السيده سكينه بنت الحسين عليها السلام تطلب من سهل بن سعد الساعدى ان يقدموا الرؤوس امام النساء:

۱– اللهوف على قتلى الطفوف، ص۱۴۴.

۲– المقرم، ص ۳۴۷.

۳– الطبرى، ج۶، ص ۲۶۵.

جاء فی المقتل:

ودنا سهل بن سعد الساعدی من سکینه بنت الحسین وقال: ألک حاجه فأمرته ان یدفع لحامل الرؤوس ان یجعل الرؤوس أمام النساء، کی تنشغل الناس بالنظر إلی الرؤوس عن النظر إلی أساری آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم ففعل «سهل».[(۱)]

۴ – فی مواجهه السیده زینب علیها السلام مع یزید تذکره بالقیم الخاصه بالمرأه وحجابها بالقول:

امن العدل یا ابن الطلقاء، تخدیرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله سبایا، قد هتکت ستورهنَّ، وابدیت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الأعداء من بلد إلی بلد، ویستشرفهنَّ أهل المناهل والمعاقل، ویتصفح وجوههنَّ القریب والبعید، والدنی والشریف، لیس معهنَّ من حماتهنَّ حمی ولا من رجالهنَّ ولی....

جیم . ادب التعامل مع المصاب الجلل

فی واقعه الطف استشهد آل البیت کلهم فضلًا عن ریحانه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ولم یکتف الحال بالقتل بل کان التمثیل بالجثث الذی ربما کان اقسی من فاجعه القتل نفسها، ولکن حرائر بیت الوحی تعاملن مع الموقف القاسی بکل صبر وتجلد ولا ینقل التاریخ ان ای واحده بدر منها ما یخالف الشریعه فی السلوک. ولنا ان نستعرض المواقف الآتیه لنکون علی بینه من ذلک.

– فقد جاء فی المقتل:

ان الامام علیه السلام لما ارتجز الأبیات سمعت ذلک السیده زینب علیها السلام (... وثبت تجرُّ ذیلها حتی انتهت إلیه وقالت واثکلاه لیت الموت اعدمنی الحیاه! الیوم ماتت أمی فاطمه وأبی علی وأخی الحسن، یا خلیفه الماضی وثمال الباقی فعزاها الحسین

۱– ۱– المقرم، ۳۹۴.

وصبَّرهـا وفيما قال: يا أختاه تعزّى بعزاء الله واعلمى ان أهل الأرض يموتون وأهل السـماء لا يبقون وكل شـىء هالك الا وجهه، ولى ولكل مسلم برسول الله أسوه حسنه.

فقالت عليها السلام:

افتغصب نفسک اغتصاباً فذاک أقرح لقلبى وأشد على نفسى.

وبكت النسوه معها ولطمن الخدود وصاحت أم كلثوم وامحمده واعلياه واأماه واحسيناه واضيعتنا بعدک؟!

فقال الحسين:

يا اختاه يا ام كلثوم يا فاطمه يا رباب انظرْنَ إذا قتلت فلا تشققن علىّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.

ثم انه عليه السلام ودع عياله ثانياً وامرهم بالصبر ولبس الأزر، وقال:

استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم...(۱)

هذا حصل قبل مقتله اما ما حصل بعد استشهاده عليه السلام فقد جاء فى المقتل:

فقلن النسوه: بـالله عليـک إلاـ مـا مررتـم بنـا على القتلى، ولمـا نظرن إليهم مقطعى الأوصال قـد طعمتهم سـمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحنتهم الخيل بسنابكها صحن ولطمن الوجوه وصاحت زينب:

يا محمـداه هـذا حسـين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتک سـبايا وذريتک مقتله فأبكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها.(۲)

۱- المقرم، ص۲۱۷.

۲- المقرم، ص۳۰۷.

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت:

إلهى تقبل منا هذا القربان(۱)..

- بكاء النساء على مصرع العباس:

ورجع الحسين إلى المخيم منكسراً باكياً يكفكف دموعه بكمه وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى: أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حق ينصرنا، اما من خائف من النار فيذب عنا! فأتته سكينه وسألته عن عمها، فاخبرها بقتله! وسمعته زينب فصاحت:

وا أخاه وا عباساه وا ضيعتنا بعدك!

وبكيت النسوه وبكى الحسين معهن وقال:

وا ضيعتنا بعدك!!(۲)

- موقف السيده مع ابن زياد

جاء فى المقتل:

ووضع رأس الحسين بين يديه وجعل ينكث بالقضيب ثناياه... وانحازت زينب ابنه أمير المؤمنين عليه السلام عن النساء وهى متنكره لكن جلال النبوه وبهاء الإمامه المنسدل عليها استلفت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكره؟

قيل له: أبنه أمير المؤمنين «زينب العقيله».

فأراد ان يحرق قلبها بأكثر مما جاء إليهم فقال متشمتاً: الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

۱- المقرم ص ۳۰۷.

۲- المقرم ، ص ۳۷۰.

فقالت علیها السلام:

الحمد لله الذی اکرمنا بنبیه محمد وطهرنا من الرجس تطهیراً، انما یفتضح الفاسق، ویکذب الفاجر، وهو غیرنا.

قال ابن زیاد کیف رأیت فعل الله بأهل بیتک؟

قالت علیها السلام:

ما رأیت إلا جمیلًا.(۱)

دال . ایثار المصلحه العامه علی المصلحه الخاصه

اشاره

غالباً ما تتهم النساء بأنهن منغمسات فی ذواتهن أو انهن یعشنَ فقط لمصالحهن الشخصیه!! ویقیم هؤلاء الدلیل علی ما یقولون من خلال مایرونه من تهافت النساء علی الموضه واستنفاذ المال والوقت والجهد من أجل التجمل وتحسین الصوره والمظهر واهمال البعض لمهامهن الأسریه. غیر ان هذا لا یجد له إلا صدی محدوداً؛ اذ ان البعض یحاول الرد علی هذه التهمه الأزلیه بما تفرزه صوره الأمومه من تضحیه وفداء وإیثار علی النفس بشکل لا یقبل الجدل فالام نموذج سامٍ للتضحیه ونکران الذات. غیر أنّ آخرین یفسرون الأمومه أیضاً بانها إشباع لغریزه ذاتیه تنطلق ایضا من ذات المرأه وما تقدمه من تضحیات وعناء وفداء انما تحصد نتائجه هی أولاً ـ قبل غیرها . وأیاً کانت الآراء فمما لاشک فیه ان المرأه کالرجل تعیش اهدافها الایمانیه والوطنیه وهی تقدم ابناءها وزوجها لما آمنت به من مثل، وهذا یعنی ان لا ـ تفاوت بین الجنسین فی التنازل عن المصالح الذاتیه من اجل المصالح العلیا. وقد افرزت الواقعه عن هذه القیمه العظیمه عند النساء أنفسهن فهؤلاء النساء اللائی خرجن مع الإمام الحسین علیه السلام فی رحلته الطویله انما کن یبغین أهدافاً علیا فی نصره الإمام وصیانه عقیده الولاء ولم یکن

۱– المقرم ۳۲۴.

الإمام نفسه يمثل نفسه بالنسبه لهن بمعنى انه الأخ أو الزوج أبداً فحسب، بل ان الإمام كان يمثل القياده والإمامه والشرعيه ولهذا كان الدفاع عن الإمام دفاعاً عن الإسلام كله ودفاعاً عن مقدساته.

يقول الشيخ مرتضى مطهرى: الشىء الوحيد الذى لا يمكن ان نراه مطلقاً فى منطق الإمام الحسين عليه السلام هو منطق المنفعه والمصلحه الذاتيه. فكربلاء كلها كانت سيراً إلى الله.(۱)

وعاده فى كل سفر نروم القيام به فلابد ان نبحث عن ادوات الراحه من خلال وسيله السفر والمكان الذى نقصده والظروف المحيطه بالسفر. فى حين ان هؤلاء النساء لما خرجن مع الإمام لم يسألن عن مفردات الراحه وقد تركن بيوتهن لنصره الإمامه كما تركت السيده زينب عليها السلام بيتها وزوجها المريض لنصره الإمام. فهؤلاء خرجن فى سفر صعب وشاق للغايه, فقد كان الجانب الأمنى فى هذا السفر مبهماً ولا يمكن تثبيته أبداً، فهو سفر محفوف بالمخاطر وإليه اشارت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السابقه التى تنذر بكارثه فى نهايه المطاف. ثم هو سفر طويل فى ظروف صعبه وحرجه. والغايه من هذا السفر هو نصره الإمامه والدين.. وهو هدف كل البعد عن الغايات الذاتيه المحدده.

على هذا لا نجد فى قاموس الذين خرجوا مع الإمام من المدينه رجالاً ونساء هدفا واضحا سوى مصلحه الدين وحمايه الإمامه لا أكثر. وبذلك ضربت هؤلاء النساء أعلى درجات التسامى فى هذا الإيثار الكبير الذى خاب فيه الكثيرون. فالإمام عليه السلام كتب لبنى هاشم وصيه: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح(۲). ورغم

۱- مطهرى الملحمه الحسينيه.

۲- المقرم ص ۶۶.

ذلک فقد خرج بهذا العدد القلیل الذی شکلت فیه النساء الحضور الکبیر.

وإذا أردنا ان نأخذ دلالات أخری علی هذه القیمه نجد ذلک فی أمور:

١ . الأم تحث ولدها علی الشهاده لنصره الإمام

کما حصل مع ام وهب الکلبی..قال الراوی:

.. وبالغ وهب فی الجهاد وکان معه امرأته ووالدته فرجع إلیهما وقال یا امّه أرضیت أم لا فقالت الأم ما رضیت حتّی تقتل بین یدی الحسین (علیه السلام)، وقالت امرأته بالله علیک لا تفجعنی بنفسک فقالت له أمّه یا بنیّ اعزب عن قولها وارجع فقاتل بین یدی ابن بنت نبیّک تنل شفاعه جدّه یوم القیمه(١).

٢ . ام عمرو بن جناده الانصاری

وجاء عمرو بن جناده الانصاری بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدی عشره سنه یستأذن الحسین فأبی وقال: هذا غلام قتل أبوه فی الحمله الأولی ولعل أمه تکره ذلک قال الغلام: إن أمی امرتنی فأذن له فما أسرع أن قتل.((٢)

٣ . دلهم تحث زوجها علی الالتحاق بالحسین علیه السلام

فقالت له زوجته وهی دلهم بنت عمرو: سبحان الله أیبعث إلیک ابن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ثم لا۔ تأتیه؟ فلو اتیته فسمعت من کلامه، فمضی إلیه زهیر بن القین فما لبث أن جاء مستبشراً قد اشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلی الحسین علیه السلام، وقال لامرأته: أنت طالق، فانّی لا أحبّ ان یصیبک بسببی إلا خیر وقد عزمت علی صحبه الحسین علیه السلام لافدیه بنفسی وأقیه بروحی ثمّ أعطاها ما لها وسلّمها إلی بعض بنی عمّها لیوصلها إلی أهلها فقامت إلیه وبکت وودّعته وقالت

١- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص١٠٥.

٢- ٢-عبد الرزاق الموسوی المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص٢٥٣.

كـان الله عونـاً ومعينـاً خـار الله لـك أسألـك ان تـذكرنى فى القيمه عنـد جـدّ الحسين عليه السـلام فقال لاصـحابه من أحبّ أن يصحبنى وإلا فهو آخر العهد منّى به.(۱)

ولا توجـد زوجه محبه لزوجها تـدفع زوجها إلى هذا المنعطف الخطير وهى تعلم انه لا يعود أبداً، إلا إذا كان إيمانها عظيماً. وقد اشاع الامويون سابقا عن مجىء جيش عظيم لمهاجمه الكوفه فكانت النساء تسحب أولادهنّ وأزواجهن من الشوارع وتعيـدهم إلى البيوت!!.

وفى هـذه القيمه تغيب الانـا ونجـد نكران الـذات يتجلى فى كثير من المواقف فهـذه زينب عليهـا السـلام تتـابع الإمـام فى شؤون الحرب وتتفقـده وتتناسـى أو ربمـا تقصـى أمومتهـا فلاـ تسأل حتى عن اولادها الـذين استشـهدوا قبل الامام! والامثله على ذلك كثيره.

هاء . القيم الانسانيه والاخلاقيه

اشاره

وهى كثيره أشير إلى البعض منها:

أ– قيمه الوفاء

۱ – وتتجلى هـذه القيمه فى بقـاء النسـاء إلى جنب الثائر فى أصـعب الظروف, وتتضـح الصوره أكثر حينما اعطى الإمام الرخصـه لمن كان معه بان يتخـذ هـذا الليل جملا وينصـرف فى ليله العاشـر، وهنا نسـمع تبارى الانصار فى بيان مواقف الاسـتماته وكانت النسـاء حاضـرات سواء النسـاء اللائـى جئن مع الإمام أو اللائى جئن مع اسـرهن كأم وهب وأم عبـد الله بن عمير الكلبى وغيرهن. فالكل سـمعوا بالرخصه لكن احـداًلم ينصـرف ولم نسـمع أبـداً أن هؤلاء النساء قـد شـجعن الرجال (الازواج والأبناء) على ترك الإمام بل العكس هو الصحيح.

۱– السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ۷۱ – ۷۳.

٢ – وتتجلى هذه القيمه أيضاً فى وفاء السيده زينب عليها السلام فى عهودها مع الإمام فى حفظ العيال وفى حفظ مظاهر العز إلى غير ذلك.

ب – قيمه استنكار الظلم

اشاره

ولها أكثر من مورد خاصه وان استنكار الظلم الذى لحق بآل البيت نجده بوضوح بعد الواقعه فى أمور منها:

١ . موقف نساء ربيعه ومضر من عمر ابن سعد فى توليه الإماره

جاء فى المقتل:

وكان من صنع المختار انه استأجر نساء يبكين على الحسين ويجلسن على باب دار عمر بن سعد، وكان هذا الفعل يلفت نظر الماره إلى ان صاحب هذه الدار قاتل سيد شباب أهل الجنه، فضجر ابن سعد من ذلك وكلم المختار فى رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا يستحق الحسين البكاء عليه، ولما اراد أهل الكوفه ان يؤمروا عليهم عمر بن سعد بعد موت يزيد بن معاويه لينظروا فى أمرهم جاءت نساء همدان وربيعه، إلى الجامع الأعظم صارخات يقلن ما رضى ابن سعد بقتل الحسين حتى اراد ان يتأمر فبكى الناس واعرضوا عنه.(١)

٢ – موقف النوار

ولما رجع كعب بن جابر إلى أهله عتبت عليه امرأته النوار وقالت: اعنت على ابن فاطمه وقتلت سيد القراء لقد اتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسى كلمه أبداً فقال:

سلى تخبرى عنّى وأنت ذميمه

غداه حسين والرماح شوارع

١– مروج الذهب، ج٢ / ١٠٥ فى اخبار يزيد.

الم آت اقصى ما كرهت ولم يخل

على غداه الروع ما انا صانع(١)

٣ – موقف العيوف

وكان منزل خولى الذى حمل رأس الحسين على بعد فرسخ من الكوفه فأخفى الرأس عن زوجته الانصاريه لما يعهده من موالاتها لأهل البيت عليهم السلام الا ـ أنها لما رأت من التنور نوراً راعها ذلك؛ إذ لم تعهد فيه شيئاً، فلما قربت منه سمعت أصوات نساء يندبن الحسين بأشجى ندبه، فحدثت زوجها وخرجت باكيه ولم تكتحل ولم تتطيب حزناً على الحسين(٢).

٤ – موقف نساء المدينه لما جاء خبر استشهاد الامام عليه السلام

... وخرجت بنت عقيل بن أبى طالب فى جماعه من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلى المهاجرين والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبى لكم

يوم الحساب وصدق القول مسموع

خذلتمو عترتى أو كنتُمُ غيبا

والحق عند ولىِّ الأمر مجموع

اسلمتموهم بأيدى الظالمين فما

منكم له اليوم عند الله مشفوع

ما كان عند غداه الطَّف إذ حضروا

تلك المنايا ولا عنهنَّ مدفوع

فأبكت من حضر ولم ير باك وباكيه أكثر من ذلك اليوم.(٣)

وكانت أختها زينب تندب الحسين بأشجى ندبه وتقول:

١– عبد الرزاق الموسوى المقرم، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٢٥٠.

۲- أنساب الاشراف للبلاذرى، ج ۵، ص ۲۳۸.

۳- امالى , الشيخ الطوسى ص ۵۵، وسماها ابن شهراشوب فى المناقب، ج ۲، ص ۲۲۷ اسماء.

ماذا تقولون إذ قال النبی لکم

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتی وبأهلی بعد مفتقدی

منهم أساری ومنهم ضُرِّجوا بدم

ما کان هذا جزائی إذ نصحت لکم

أنْ تخلفونی بسوء فی ذوی رحمی(۱)

۵- امرأه من بنی بکر بن وائل

لم نعرف اسمها وعرفنا عشیرتها وکانت مع زوجها فی جیش عمر بن سعد یا للعجب!!. اذ روی حمید بن مسلم قال: رأیت أمرأه من بنی بکر بن وائل کانت مع زوجها فی أصحاب عمر بن سعد فلمّا رأت القوم قد اقتحموا علی نساء الحسین علیه السلام وفسطاطهنّ وهم یسلبونهنّ اخذت سیفاً واقبلت نحو الفسطاط وقالت یا آل بکر ابن وائل أتسلب بنات رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لا حکم إلا الله یا لثارات رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فاخذها زوجها وردّها إلی رحله.(۲)

تُری کیف صانت هذه المرأه ولاءها وزوجها علی غیر مذهبها؟ وکیف اعلنت صرختها غیر خائفه ولا وجله؟. لقد قالوا یوما ان المرأه علی دین زوجها لکنها هنا اقوی من زوجها فی ایمانها وقوه شخصیتها.

۶- موقف أُم عبد الله ابنه الحر...

روی الطبری، قال: ومکث الحسین علیه السلام طویلاً من النهار کلما انتهی إلیه رجل من الناس انصرف عنه، وکره ان یتولی قتله وعظیم اثمه علیه قال: وان رجلاً یقال له مالک بن النسر من بنی بداء أتاه وضربه علی رأسه بالسیف وعلیه برنس له فقطع البرنس وأصاب السیف رأسه، فأدمی رأسه فامتلأ البرنُس دماً، فقال له الحسین:

لا أکلت بها ولا شَرِبت، وحشرک الله مع الظالمین.

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین (علیه السلام)، ص ۳۳۵.

۲- اللهوف، ص ۱۳۲.

قال: فألقى ذلک البُرنس ثمّ دعا بقلنسوه فلبسها واعتمّ وقد أعيا وبلّد، وجاء الکندى حتى أخذ البرنُس وکان من خزّ، فلمّا قدم به بعد ذلک على امرأته أُمّ عبد الله ابنه الحرّ أخت الحسين بن الحرّ البدّى، أقبل يغسل البُرنس من الدمّ فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تدخل بيتى؟! أخرجه عنِّى. فذكر أصحابه أنّه لم يزل فقيراً حتّى مات.(۱)

۷– ما ظهر من مواقف السيده زينب عليها السلام مع ابن زياد ويزيد

وکشاهد على ذلک فى خطبتها امام اهل الکوفه:

ويلکم يا أهل الکوفه، أتدرون أى کبد لرسول الله فريتم؟ وأى کريمه له ابرزتم؟ وأى دم له سفکتم؟ واى حرمه له انتهکتم؟ لقد جئتم شيئاً إداً، تکاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّاً!

کذلک ماورد فى خطبتها فى قصر يزيد.

۸– موقف امرأه فى قصر يزيد

قال الراوى: ثم جعلت امرأه من بين هاشم کانت فى دار يزيد لعنه الله تندب على الحسين (عليه السلام) وتنادى يا حبيباه يا سيّد أهل بيتاه يا ابن محمد يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدعياء.(۲)

۹– موقف نساء أُخريات لم يکنّ مواليات ولکن لم يدُرْ فى خلدهن ان يزيد سيقوم بارتکاب هذه الجريمه البشعه کزوجه يزيد

قال الراوى: ولما رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجه يزيد الرأس على باب دارها والنور الإلهى يسطع منه ودمه طرى لم يجف ويشم منه رائحه طيبه دخلت المجلس

۱– العلامه السيد مرتضى العسکرى، معالم المدرستين، ص ۴۴۵.

۲– السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ۱۷۹.

مهتوکه الحجاب وهی تقول: رأس ابن بنت رسول الله علی باب دارنا فقام إلیها یزید وغطاها..(۱)

ج – قیمه الصدق

فقد کان الاعلام الحسینی قائماً علی الصدق وکان ذلک واضحا فی کلمات النساء وفی خطبهن وفی ما اثرنه ضمن اجواء المصیبه عکس الرجال الأمویین الذین اعتمدوا الکذب والتزویر لتشویه الحقائق واخفائها ولکنهم فشلوا.

د – قیمه حفظ العز

۱ – موقف السیده زینب من الشامی الذی اراد فاطمه بنت الإمام جاریه.

۲ – موقف السیده زینب فی أخذ الطعام من الصغار رغم جوعهم الشدید. جاء فی المقتل: وأخذ أهل الکوفه یناولون الأطفال التمر والجوز والخبز فصاحت أم کلثوم(۲): إن الصدقه علینا حرام ثم رمت به إلی الأرض.(۳)

۳ – الاعتزاز بالشهاده

وهذا واضح من خطب النساء فی الکوفه والشام وقول السیده زینب علیها السلام لابن زیاد ما رأیت إلا جمیلًا، وغیر ذلک.

ه – قیم العطاء

وهی واحده من سمات أهل البیت علیهم السلام، غیر أنها فی الواقعه تجلت فی یوم عصیب یشیب الولدان أهمها کرم السیده زینب علیها السلام مع بشیر بن حذلم لما وصلوا المدینه.

۱– المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۵۶.

۲– وفی کتاب: فی رحاب السیده زینب لمحمد بحر العلوم انها زینب الکبری.

۳– المقرم ص ۳۱۰.

قـال ابن الأثير واصـفاً العوده: «فخرج بهم (بشـر) فكان يسايرهم ليلًا فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه. فإذا نزلوا تنحّى عنهم هو وأصـحابه، فكـانوا حولهم كهيئه الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم حتى دخلوا المـدينه فقالت فاطمه بنت على لأختها زينب:

لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن نصله بشيء؟

فقالت:

والله ما معنا ما نصله به إلا حُليّنا.

فأخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا بهما إليه واعتذرتا فرد الجميع وقال: لو كان الذى صـنعتُ للدنيا لكان فى هذا ما يُرضـينى، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلّم».(١)

و – قيمه الإيثار والتضحيه

وهذا يبدو واضـحاً من خلال هجره النساء مع الإمام مع كل مشـقات السفر وفقدان الراحه والخطر المحدق ولنا ان نتصور أوضاع النساء فى الخيام مع الأطفال وقد قطع الماء عن الجميع, وقد ضـحت هؤلاء النساء بأولادهن وازواجهن واخوانهن فى سبيل نصـره الإمام، وكانت كلمات الفخر بالشهاده هى الظاهره على الشفاه اليابسه ولم يسجل التاريخ ان السيده زينب سألت عن اولادها ابدا.

وتذكر الروايات ان امرأه واحده استشـهدت فى الواقعه حيث منع الإمام عليه السلام النساء من القتال وهى زوجه عبد الله بن عمير الكلبى، الـذى أخـذ أسـيراً وقتل صبراً، (فمشت اليه زوجته ام وهب وجلست عنـد رأسه تمسـح الـدم عنه وتقول: هنيئاً لك الجنه اسأل الله الذى رزقك الجنه ان يصحبنى معك فقال الشمر لغلامه رستم:

١- الكامل فى التاريخ، ج ۴، ص ٨٨.

اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها وهى أول امرأه قتلت من أصحاب الحسين.(۱)

كما استشهد أطفال كثير ومنهم الطفله رقيه التى استشهدت فى الشام.

ز – قيمه الصبر

وهو احتمال المكاره من غير جزع ولعمرى فالصبر من اكثر السجايا والقيم وضوحاً وظهوراً بالنسبه للنساء ويكفى انه رغم كل ما مر بهن من صعوبات وازمات ولكنهن بقين يكظمن الغيظ ويحبسن النفس عن الجزع ووضح هذا الأمر حتى من النساء العاديات جداً اللائى استشهد رجالهن أمامهن فى المعركه ونقرأ فى الزياره:

«سلام على قلب زينب الصبور سلام على من تظافرت عليها المصائب والكروب وذاقت من النوائب ما تذوب منه القلوب».

وفاضت زينب بالصبر على من كان معها فهذا الامام زين العابدين يتزايد المه وحزنه وقلقه لمرأى تلك الاجساد الطاهره على الرمضاء تصهرها حراره الشمس وقد فرق بين الرؤوس والأبدان وغابت الأبدن تحت اكوام السهام والطعنات فقد جاء فى المقتل:

وأما على بن الحسين فانه لما نظر إلى أهله مجزرين وبينهم مهجه الزهراء بحاله تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا عظم ذلك عليه واشتد قلقه فلما تبينت ذلك منه زينب الكبرى بنت على عليه السلام أهمها أمر الإمام فأخذت تسليه وتصبره وهو الذى لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له:

«مالى أراك تجود بنفسك يا بقيه جدى وأبى وأخوتى فوالله ان هذا العهد من الله إلى جدك وأبيك ولقد اخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنه هذه

۱– المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ۲۴۱.

الأرض وهم معروفون فی أهل السماوات انهم یجمعون هذه الأعضاء المقطعه والجسوم المضرجه فیوارونها وینصبون بهذا الطف علماً لقبر أبیک سید الشهداء لا یدرس اثره ولا یمحی رسمه علی کرور اللیالی والأیام ولیجتهدن أئمه الکفر واشیاع الضلال فی محوه وتطمیسه فلا یزداد أثره إلا علواً».(١)

ولا أدری هنا کیف اصف ألموقف وکیف اُعبر أهل هو الثبات أم الصبر أم المواساه من أم المصائب وهی أمام المصائب کلها.

ها هو الامام السجاد یجود بألمه بعد مرضه وهذه زینب تجود بصبرها بعد اکوام الجراح. انها مؤشرات تعرّف بعظمه امرأه.

واو . قیم تکامل الشخصیه

اشاره

(وهی القیم التی تتعلق بشخصیه الفرد وسلوکه وشعوره الداخلی الذی ینعکس فی حرکاته وتصرفاته).(٢)

وهذه القیم تتیح للشخص التعامل السلیم مع الظروف المختلفه وتنعکس علی سلوکه الخارجی. ومن البدیهی أن الإعداد لها یتم منذ الصغر کیما یتم تنضیج الشخصیه من خلال البناء السلیم والمتوازن، وأهم هذه القیم:

أ – التکیف الذکی

ویعنی القدره علی التأقلم مع الظروف المختلفه فضلًا عن الصعبه والحرجه والأزمات. وهذا التکیف (أو ما یعبر عنه احیاناً بالتوافق الاجتماعی) یجُنب الإنسان الأمراض النفسیه أو الانهیارات العصبیه التی تطیح حالیاً بالإنسان المعاصر نتیجه عدم

١- ١- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ٣٠٨.

٢- د. احمد علی کنعان، أدب الأطفال والقیم التربویه.

قدرته على مواكبه التغييرات فى الأوضاع والشؤون العامه والخاصه وهو مما يضاعف من نسبه الانتحار كتعبير سلبى عن عدم القدره على التوافق. أما الذين يعيشون أهدافاً عليا وكبيره ومهمه فيكون التكيف عندهم أسرع من حيث ان وجود الأهداف يخفف من حده الصواعق التى يتعرض لها الفرد.

ولقد تعرضت نساء الطفوف لأقسى الضغوطات ولأقسى أنواع العنف السياسى المتعدد لكنهن أثبتن مهاره عاليه فى التكيف مع الأوضاع الصعبه التى عاشتها وبخاصّه فى السبى والأسر وفى قصر يزيد وابن زياد وخربه الشام وهذه المرونه العاليه فى التكيف والتأقلم مع سمو الأهداف ازاحت كل خوف أو قلق.

ويسهم البناء السليم للشخصيه والتعود التدريجى على مواجهه الصعاب والمكاره مع عمق الإيمان بالله على التأقلم مع الظروف الصعبه والحوادث القاسيه والتى غالباً ما تكون القاطع العرضى لخط الحياه الطولى. وهذا يسوقنا إلى بحث تربوى وهو ان التربيه التى تقوم على الحمايه الزائده تقلل من قابليه التأقلم.

ب – التصميم والإراده

وتعنى قدره الفرد على المضى فى رأيه بكل قوه وحزم وصلابه وشجاعه وجرأه وثبات واصرار وبساله وقدره على مواجهه الصعوبات والاخطار.(١)

وهذا واضح منذ بدايه مسير النساء مع الإمام انهن كن ذوات اراده واضحه ولم يحُلْ منع المانعين للإمام عن حمل النساء من ارادتهن أو تصميمهن. ورغم كل الصعوبات فقد بقين على ثبات واحد وعدم تراجع أو تردد طوال المسيره. والذى يتابع مسيره النساء فى المدينه والعوده إليها لا يجد موقفاً واحداً يدل على خوف أو ضعف أو تردد بل كانت الشجاعه كلها والثبات كله.

١- نفس المصدر.

ج – الأمل بالمستقبل

ورغم كـل مـا تعرضن إليه فلم يجـد اليـأس إليهن سبيلًا، وهو ما كان يريـده الأمويون من خلال تشديـد العنف ضـد النساء بكل أشكاله، ولكننا لا نجد صوره لليأس أبداً؛ اذ كان التفاؤل واضحاً فی كلمات السيده زينب عليها السلام أمام يزيد:

فكد كيدك، واسع سعيك، فوالله لن تمحو ذكرنا أبداً..

وهذا أيضاً يأتی من الإيمان بالله وبالأهداف الرساليه العليا .

د – الثقه بالنفس

وتعنی شعور الفرد بالتكامل الداخلی وبانه قادر علی ان يعتمد علی نفسه،(۱) ومن خلال مسيره النساء لم يظهر عليهن أی تردد أو خوف بل القوه والشجاعه كانت واضحه حتی عند أولئك النساء اللائی جئن مع ازواجهن إلی أرض الطفوف كأُم وهب.

وكـانت حرائر أهـل البيت عليهم السـلام علی ثقه كـامله بـالله وبالنفس فی انهن سـيؤدين أدوارهن كامله فتقـدمن لالقاء الخطب والبيان كاشف عن هذه الثقه.

ه – الجرأه الشخصيه

وتعنی شعور الفرد بالقدره علی تحمل المسؤوليه واتخاذ القرار المناسب فی الوقت المناسب وقبول التحدی والصعوبات والاسراع باقتراح المبادرات النابعه من قناعه وإراده وتصميم بعيداً عن الهروب والانطوائيه.(۲)

ولعل فی ايواء طوعه لسفير الحسين مسلم بن عقيل أكبر دليل علی هذه القوه الإيجابيه التی باتت فی وقت تهاوی فيه ولدها وبقيه الصناديد عن تقديم العون لمسلم خوفاً من العقاب الأموی.

۱– نفس المصدر.

۲– نفس المصدر.

۴ – الدور الإعلامی

اشاره

وهو من أهم الأدوار التی حملتها هؤلاء النساء وعلی رأسهن السیده زینب علیها السلام وهو أیضاً أحد أهم الأسباب التی دفعت الإمام علیه السلام إلی اصطحاب نسائه وعیاله إلی أرض المعرکه، وقد کان للدور الإعلامی النسوی الأثر الکبیر فی نشر وقائع الثوره والتعریف بشخوصها، واستطاعت اقتحام مرکز قوه العدو؛ لتمیط اللثام عن الحقائق التی حاول النظام اخفاءها من خلال حمله التشویه التی قام بها ضد شخوص الثوره، والإعلام بان هؤلاء سبایا الترک والدیلم، وان الذی قتل فی کربلاء هو من الخوارج. ولولا هذا الدور العظیم لماتت الثوره وأهدافها کما ماتت الکثیر من الأحداث المهمه التی شهدها التاریخ والتی یعود سبب الضیاع الأصلی إلی عدم وجود من یتولی المسؤولیه الإعلامیه.

ویمکن القول: إن هذا الدور قد بدأ منذ استشهاد الإمام علیه السلام وقد استمر حتی وصول السبایا إلی الشام ومن ثم المدینه حیث اقیمت مجالس العزاء التی هی إحدی صور هذا الخطاب. غیر ان البعض یری ان هذا الخطاب مازال مستمرا إلی یومنا هذا وهو سیستمر حتی الظهور حیث تظهر فیه الأمور علی حقائقها الناصعه(١).

واذ یعد الإعلام أحد أهم المؤسسات التربویه فی المجتمع حیث تلعب وسائل الإعلام دوراً مهماً فی تشکیل الرأی العام أو توجیهه نحو مسار معین، ویسهم الإعلام الهادف أیضاً فی القضاء علی الشائعات والتی نجد لها صدی شعبیاً واسعاً عند الناس ویعتمد فی ذلک أسلوب بث المعلومات الصحیحه وتقدیمه الأدله والمستندات حول ما یعلنه أمام الملأ.

وقد اعتمد الأمویون سیاسه الإعلام المضلل لتبریر استیلائهم علی السلطه

١- راجع محمد مهدی الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه.

ولتبرير الكثير من الممارسات اللا- أخلاقيه التى قاموا بها فى اضطهادهم للكثير من المؤمنين الموالين, بل وحتى سب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر اعتمدوا فى إبقائه كسنه ثابته أيام حكمهم على ما بثوه من أحاديث كاذبه تنتقص من مكانه أمير المؤمنين عليه السلام - والعياذ بالله - وتمسح عنه كل فضيله وكل آيه تذكره بمدح عظيم. ويمكن القول ان كل الأحداث التى جرت بعد الواقعه وبعد استشهاد الإمام من ثورات ومن تنامٍ للحقد على الأمويين يعود بالدرجه الأولى إلى الدور الإعلامى الذى اظهر مظلوميه أهل البيت عليهم السلام وبشاعه اعدائهم وهدّم منظومه القيم التى روجها الأمويون من خلال إعلامهم المضلل كالانهزاميه والجبريه والسكوت عن ظلم الحاكم الجائر إلى غير ذلك.

ويمكن تقسيم هذا الدور إلى ثلاثه مقاطع زمنيه متتابعه:

۱ . المرحله الأولى وتبدأ منذ استشهاد الإمام عليه السلام إلى أسر النساء وحمل السبايا إلى الكوفه وإلى مجلس عبيد الله بن زياد.

۲ . والمرحله الثانيه تبدأ منذ خروج هذه القافله من الكوفه فى رحله المسير إلى الشام والى قصر يزيد.

۳ . والمرحله الثالثه هى مرحله عوده السبايا من الشام إلى كربلاء ثم إلى المدينه المنوره.

فهذا الدور الخطير يمر عبر هذه المراحل الثلاث المتتابعه زمنياً ومكانياً وهذه السعه والامتداد فى الأماكن والأوقات هو الذى أسهم فى تحقيق النجاح لهذا الدور.

كما ان الذين اشتركوا فى هذا الخطاب المهم هم السبايا والأسرى الذين حملهم عمر بن سعد إلى قصر الطاغيه فى الكوفه ثم الشام. فحرائر بيت الوحى هن اللاتى حملن مسؤوليه هذه المهام مع الإمام زين العابدين عليه السلام والذى كان مريضاً لا

یقوی علی القتال ولکنه کان یقوی علی تقدیم الخطاب المطلوب. وعلی رأس الحرائر تأتی السیده زینب علیها السلام لتکون صاحبه الثقل الأکبر فی هذا الخطاب.. والمتأمل لهذه المراحل یری انه لا توجد بینها فترات استراحه أو فتره هدنه مؤقته بل یستمر الألم من مرحله إلی مرحله ولنا ان نتصور حال هؤلاء النساء فی کل الأحداث الصعبه التی مرت بهن.

المرحله الأولی

اشاره

وتبدأ هذه المرحله منذ استشهاد الإمام علیه السلام.. حیث کانت النساء فی الخیام وقد علمن بمصرعه علیه السلام من خلال صوت الفرس الذی عاد باکیاً، ومن ثم هجوم قوات العدو علی معسکر الحسین علیه السلام فاحرقوا الخیام مما أدی إلی فرار النساء مذعورات خائفات من خیمه إلی خیمه حتی تم جمعهن فکنّ عشرین امرأه حملن إلی ابن زیاد سبایا ضمن أربعین جملاً حملت العیال کلهم من النساء والأطفال مع الإمام زین العابدین علیه السلام.

ویمکن عرض أهم محطات هذه المرحله الإعلامیه:

ألف – مجیء النساء إلی أرض المعرکه بعد الاستشهاد

قال الراوی:

بعد ان سیر ابن سعد الرؤوس الی الکوفه بقی هو لیدفن قتلاه تارکا سید شباب اهل الجنه علی الرمضاء، فقالت النسوه: بالله علیک إلا ما مررتم بنا علی مصرع الحسین، ولما نظرن إلیهم مقطعی الأوصال قد طعنتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بیض الصفاح وطحنتهم الخیل بسنابکها صحن وصاحت زینب: یا محمداه هذا حسین بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتک سبایا وذریتک مقتله فأبکت کل عدو وصدیق حتی جرت دموع الخیل علی حوافرها.

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت: إلهى تقبل منا هذا القربان.(١)

قالت السيده كلمتها هذه أمام الجيش الذى كان يعيش فرحه الانتصار وتداعب مخيلاته صور العطايا التى سيحصل عليها من ابن زياد من مال وثروه وجاه واماره للرى مرجوه عند قائد الجند.. لكن الحوراء عليها السلام قوضت نشوه الانتصار هذه من خلال رسالتها الكلاميه القصيره فلم تجعل كلماتها همساً لا يسمعه أحد بل لابد للجميع ان يسمعوا ولا بد ان تُهَز ساعه الانتصار هذه بوخز الضمير فجاءت كلماتها حمما حارقه لاحلام النشوه. وربما أجاز عمر بن سعد المرور على مصارع القتلى؛ لأنه توقع انهيار عزائم النساء أمام الصوره المحزنه لمصرع الحسين عليه السلام وبانهن سيتهاوين أمام الجند الفرحين بحطام الدنيا وبهذا تتكامل نشوه الانتصار ويشعر بالفرح العظيم فى انه اقترب من حلمه!. غير ان المشهد انقلب فكانت صلابهِ السيده وصبرها وافتخارها بالشهاده قد كسر نشوه الانتصار المزيف وكان خطابها أمام الجند والذى ينقله صاحب اللهوف مضيفاً إليه قائلا:

فوالله لا أنسى زينب بنت علىّ عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتنادى بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه صلى عليك ملائكه السماء هذا حسين مرمّل بالدماء مقطّع الأعضاء وبناتك سبايا إلى الله المشتكى والى محمد المصطفى والى على المرتضى والى فاطمه الزهراء والى حمزه سيّد الشهداء واكرباه اليوم مات جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أصحاب محمداه هؤلاء ذرّيّه المصطفى يساقون سوق السبايا وفى روايه: يا محمداه بناتك سبايا وذرّيّتك مقتّله تسفى عليهم ريح الصبا وهذا حسين محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامه والرداء بأبى من اضحى عسكره فى يوم

١- المقرم ص٣٠٧

الا ـثنين نهبا بأبی من فسطاطه مقطّع العری بأبی من لا غائب فیرتجی ولا جریح فیداوی بأبی من نفسی له الفداء بأبی المهموم حتّی قضی بأبی العطشان حتّی مضی بأبی من شیبته تقطر بالدماء بأبی من جدّه محمد المصطفی بأبی من جدّه رسول اله السماء بأبی من هو سبط نبیّ الهدی بأبی محمّـد المصطفی بأبی خدیجه الکبری بأبی علیّ المرتضی علیه السلام بأبی فاطمه الزهراء سیّده النساء بأبی من ردّت له الشمس صلّی. وقال الراوی: فابکت والله کلّ عدوّ وصدیق...(۱)

هذه الکلمات الملفعه بالحزن تنطلق کسیل جارف یذیب رعشات الانتصار المؤقت.. زینب علیها السلام بکل هذه الصلابه تقدم شکواها من هذه الأمه الباغیه إلی الرسول صلی الله علیه وآله وسلم الذی یدعی الجمیع طاعتهم له! وتنقل له صوره ریحانته المقطع الأوصال المحزوز الرأس المحترقه خیامه المنهوبه عیاله.. شکوی عظیمه قدمتها السیده أمام الملأ الغارق فی الدنیا وهنا نخرج بخلاصه من الأمور کلها حول هذا الموقف:

۱- ان ماحصل کان قد کسر نشوه الانتصار لدی الجند الذی سمع الملامه الأولی والتقریع الخالد قبل ان یسمع تبریک الفوز!.

۲- کلامها علیها السلام کان أمام المجرمین أنفسهم الذین قتلوا وذبحوا وأحرقوا وأسروا وهو بمنزله وخز للضمیر المیت الذی ربما لم یلتفت وقتها إلی ما قدّم لکن الأحداث التالیه هزت مضجعه.

۳- کان کلامها أمام عمر بن سعد نفسه.. فقد جاء فی المقتل:

وانتهت نحو الحسین وقد دنا منه عمر بن سعد فی جماعه من أصحابه، والحسین یجود بنفسه! فصاحت: أی عمر أیقتل ابو عبد الله وأنت تنظر إلیه؟ فصرف بوجهه

۱- اللهوف، ص ۱۳۳ - ۱۳۴.

عنها ودموعه تسيل على لحيته.(١) وهو اول توبيخ لقائد الجيش الذى حقق انتصاره بقتل سيد شباب أهل الجنه وريحانه المصطفى وهو فى فرحه ونشوه!! فلا بد إذاً من تقريع أولى على ما قدمت يداه فهو الملام الاول الذى كان حاضرا فى ارض المعركه لتنفيذ أوامر اسياده ساحقا كل المقدسات! قال الراوى: فكأنّى أنظر إلى دموع عمر وهى تسيل على خدّيه ولحيته، وقال: وصرف بوجهه عنها.(٢) فلقد ذكّرته زينب عليها السلام بالرسول وبالحسين وبالمدينه التى تركها للفوز بولايه شبر من الدنيا!! لقد كانت كلماتها صفعه له أمام جنده. والموقف كان من الفجاعه والالم بحيث ان الإمام زين العابدين عليه السلام يشتد قلقه لما يرى جسد ابيه واخوته واعمامه بتلك الحاله..

باء – عند باب الكوفه

ثم تبدأ مسيره القافله الطويله.. مسيره الحزن والأسى من كربلاء باتجاه الكوفه ونساء بيت النبوه وحرائر الرساله ومعهن الامام السجاد وابنه الباقر عليه السلام، وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفه ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الاصحاب وكنَّ عشرين امرأه، وسيروهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبى الترك والروم وهن ودائع خير الأنبياء ومعهن السجاد على بن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنه، وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العله، ومعه ولده الباقر، وله سنتان وشهور،(٣) والجميع فى وضع لا يحسدون عليه أبداً.. اركبوهن على الجمال بلا غطاء، ولا وطاء .. وهن النساء المرهقات اللائى لم تغفُ عيونهن ليله الأمس ولم يشعرن بطعم

١– الكامل, ابن الأثير ج ۴، ص ٣٢؛ و تاريخ الطبرى ج ۶، ص ٢۵٩ طبع أول؛ ومقتل الحسين للمقرم، ص٢٨۴.

٢– العلامه السيد مرتضى العسكرى، معالم المدرستين، ص۴۴٧.

٣– المقرم، ص ٣٠۵.

الراحه وكلهن مفجوعات حائرات يرثين الأحبه فى القلوب فهـذه ترثى ولـدها وأخرى أباها وثالثه أخاها.. موكب حزين يسـير مع القتله والمجرمين الذين قتلوا الأحبه ومثّلوا باجسادهم حقداً عليهم!... وهم يسيرون ما بين ضرب السياط وشماته الأعداء!!. (واخذ زجر بن قيس وصاح بهن فلم يقمن، فأخذ يضربهن بالسوط واجتمع عليهن الناس حتى اركبوهن على الجمال.(۱)).

لله.. هؤلاء السبايا!!

ويصل الموكب الحزين إلى الكوفه، وقد تجمع الناس من كل حدب وصوب بعد ان أعلن ابن زياد انهم سيأتون برأس الخارجى الـذى خرج على ابن زيـاد.. ولنا ان نتصور الموقف فهـذه زينب عليها السـلام تعود إلى الكوفه التى كان ابوها حاكما لها وكانت لها فيها مجالسـها الثقافيه مع نساء المـدينه.. وإذا بها تـدخلها اليوم أسـيره مغلوله الايـدى مع جمع من النساء المسبيات وليس لهن حول ولا قوه.. وقد جاء الناس من كل حدب وصوب لرؤيه اسـرى الترك كما اعلن ابن زياد.. وهذا الجمهور المسـتغرق فى التيه قاده الفضول إلى بوابه الكوفه ليطالع السـبايا والرؤوس.. كأى حاله تستهوى الناس وتدفعهم للنظر والتطلع. وكان ابن زياد قد نشر إعلامه المضلل الذى يتحدث عن انتصاره وفرحه لقتل الخارجى الذى خرج على ابن زياد ويزيد.. وكانت الناس لا تدرى من هو الخارجى بدليل ما جاء فى مقتل الحسين للمقرم (وأشرفت عليهن امرأه من الكوفيات ورأتهن على تلك الحال التى تشجى العدو الألد فقالت: من أى الأسارى أنتم؟ قلن: نحن أسارى آل محمد!!).(۲)

الناس إذاً مجتمعون يدفعهم الفضول للنظر والتطلع. وموكب نساء أهل بيت

۱- المقرم، ص ۳۰۹.

۲- ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ۱۴۵.

النبوه موکب حزین مفجع تتقدمه الرؤوس الشریفه وتعلو الصفره وجوه الصغار ویکاد یطیح الإرهاق بنفوس الجمیع لکنه رغم کل هذه الاوجاع موکب یعرّف بشمائل الاسری من خلال معالم الهیبه والوقار التی جللتهم.

وابتدأت السیده زینب علیها السلام خطابها العظیم، إذ یقول المقرم فی مقتل الحسین: ولقد أوضحت ابنه أمیر المؤمنین علیه السلام للناس خبث ابن زیاد ولؤمه فی خطبتها بعد أن أومأت زینب علیها السلام إلی ذلک الجمع المتراکم فهدأوا حتی کأنِّ علی رؤوسهم الطیر ولیس فی وسع العدد الکثیر ان یسکن ذلک اللغط أو یردَّ تلک الضوضاء لولا الهیبه الإلهیه والبهاء المحمدی الذی جلّل «عقیله آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم».

فیقول الراوی: لما اومأت زینب ابنه علی علیه السلام إلی الناس فسکنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنینه نفس وثبات جأش وشجاعه حیدریه.(۱)

[فکانت خطبتها العظیمه] فقالت صلوات الله علیها:

الحمد لله والصلاه علی أبی محمد وآله الطیبین الأخیار، أما بعد یا أهل الکوفه، یا أهل الختل والغدر، أتبکون فلا رقأت الدمعه، ولا ـ هدأت الرنه، إنما مثلکم کمثل التی نقضت غزلها من بعد قوه انکاثاً، تتخذون ایمانکم دخلاـ بینکم، ألا وهل فیکم إلا الصلف النطف(۲) والعجب والکذب والشنف(۳) وملق الاماء(۴)، وغمز الأعداء(۵)، أو کمرعی علی

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۱۰ - ۳۱۱.

۲- الصلف بفتحتین: الذی یتمدح بما لیس عنده، والنطف القذف بالفجور.

۳- الشنف: المبغض بغیر حق.

۴- الملق: التذلل.

۵- الغمز: الطعن بالشر.

دمنه(١)، أو كقصعه على ملحوده(٢) ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم ان سخط الله عليكم، وفى العذاب أنتم خالدون.

اتبكون وتنتحبون، أى والله فـابكوا كثيراً، واضـحكوا قليلاً فلقـد ذهبتم بعارها وشـنارها، ولن ترحضوها بغسل بعـدها أبـداً، وأنّى ترحضون، قتل سـليل خاتم النبوه، ومعدن الرساله. ومدره حجتكم ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسـيد شباب أهل الجنه ألا ساء ما تزرون.

فتعساً ونكساً وبعـداً لكم وسـحقاً، فلقد خاب السـعى، وتبت الأيدى، وخسـرت الصـفقه، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضـربت عليكم الذله والمسكنه.

ويلكم يا أهل الكوفه، أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم؟ وأى كريمه له ابرزتم؟ وأى دم له سفكتم؟ واى حرمه له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّاً!

ولقـد أتيتم بهـا خرقـاء. شوهـاء. كطلاع الأرض وملء السـماء أفعجبتم أن مطرت السـماء دمـاً، ولعـذاب الآخره أخزى وهم لا ينصرون فلا يستخفنكم المهل، فانه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربكم لبالمرصاد(٣).

وهنا أمر على الهيبه الزينبيه فهى (ما ان أومأت إلى الناس ان اسكتوا) فسكتوا.. يا للعظمه مجرد ايماءه! فلم تطلب منهم بلسانها بل بمجرد ايماءه!! وكان سكوتهم عظيماً

١- الغرض التعريف بـان الـدمنه وان زهـا ظاهرها بالنبت الا انه لا يفيـد الحيوان قوه لأنها مجمع الأوساخ والكثافات السامه القاتله فنتاج الدمنه لا يكون طيباً.

٢- (قصعه) بالقاف المثناه والصاد المهمله :وهى الجص تتناسب مع الملحوده التى هى القبر.

٣- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣١١ - ٣١٢.

(فسكنت الأنفاس والأجراس!!) وحينما نمر على الموكب الحسينى أمام بوابه الكوفه وقد اجتمع الناس من كل حدب وصوب للتفرّج عليهم. فان ثقل الفاجعه سيكون عظيما محبطا شديد الاحباط ومخرسا للجميع. وكثيرا مايكون من عوامل الخرس هو الازدحام الجماهيرى وبخاصه ان النفوس مرهقه مستغرقه فى شجون تهد الجبال هداً. فى هذه المحنه القاسيه تنبرى السيده إلى تقريع الناس ولومهم على تخاذلهم ونقضهم للعهود وجبنهم عن نصره الامام الذى دعوه للثوره وكان الناس يومها احوج ما يكونون لهذا العتاب الساخن كى يستيقظوا.. فما يكفى ان يعرفوا ان هذا الرأس المرفوع على السنان هو رأس ابن بنت المصطفى وسيد شباب أهل الجنه؛ اذ لابد من ان تهتز الضمائر وتتحرك الآهات وتعاد بلوره الحزن وتحويله إلى حزن فاعل مثمر للثورات فيما بعد. لقد كانت خطبه السيده زينب أمام جمهور الكوفه أول تعليق رسمى يصدر عن لسان أهل البيت عن الفاجعه ثم كانت خطبه السيده فاطمه بنت الحسين عليه السلام وخطبه أم كلثوم ثم خطبه الإمام زين العابدين عليه السلام. وقد تميزت خطبه السيده زينب عليها السلام بالقصر ولكنها حوت على معانٍ جليله أهمها:

۱ . العتاب مع الموالين المتخلفين عن النصره (ويلكم يا أهل الكوفه).

۲ . بيان مقام الإمام الحسين عليه السلام (وانّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوه).

۳ . تعزيز الشعور بالاثم (فلقد ذهبتم بعارها وشنارها)، (فتعسا ونكسا وبعداً لكم وسحقا).

۴ . التذكير بالآخره والعذاب المنتظر (ولعذاب الآخره أخزى).

وسيأتينا شرح الخطبه الكامله فى نهايه الكتاب ونفس هذه الميزات الأربع كانت فى الخطب التاليه التى القيت فى الكوفه.

نعم القت السیده حمماً حارقه علی أهل الکوفه فی أول لقاء جماهیری، فاحترقت القلوب واکتوت بنار المصیبه حتی استطاعت تلک النار ان تذیب رکام الاثم الذی سببه تخلفهم وتقاعسهم عن نصره الإمام علیه السلام فانطلقت الثورات جارفه لکل القتله إلی محط اللعن الأبدی.

وتکرار الخطب یعنی تکرار اللوم والتقریع ویعنی تکرار عرض الحقائق فالذی فاتته الخطبه الأولی سیهتز عند الثانیه والذی فاتته الثانیه لابد من ان ینحدر باکیاً عند الثالثه.. ثم ان هذه الخطبه کانت نموذجاً لخطاب سیاسی بلیغ ومؤثر ویسلط الضوء علی المطلوب فی العملیه الإعلامیه وهذا واضح من تأثیره علی المتلقی الذی شعر بالانهیار أمام الحقائق المعلنه، ثم ان التکرار هو أحد أسالیب تغییر البرمجه الفکریه والعقلیه ولا ننسی أبداً ان هذه الخطب جاءت من قلوب مفجوعه فاستقرت فی قلوب بدأت تتفجع للمأساه.

ویمکن استقراء النتائج الأولیه لخطب النساء فی ما اورده صاحب اللهوف حیث یصف تفاعل الناس مع خطبه السیده زینب علیها السلام:

قال الراوی: فوالله لقد رأیت الناس یومئذ حیاری یبکون وقد وضعوا أیدیهم فی أفواههم ورأیت شیخاً واقفاً إلی جنبی یبکی حتّی اخضلّت لحیته وهو یقول بأبی أنتم وأمّی کهولکم خیر الکهول وشبابکم خیر الشباب ونساؤکم خیر النساء ونسلکم خیر نسل لا یخزی ولا یبزی.(۱)

وخطبت فاطمه بنت الحسین علیه السلام فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصی، وزنه العرش إلی الثری، أحمده وأُؤمن به وأتوکل علیه، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شریک له وان محمداً عبده

۱- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ۱۴۸ - ۱۴۹.

ورسوله. وان أولاده ذبحوا بشط الفرات، من غير ذحل ولا ترات.

اللهم انى اعوذ بك أن افترى عليك، وان أقول عليك خلاف ما انزلت من اخذ العهود والوصيه لعلى بن أبى طالب المغلوب حقه المقتول من غير ذنب «كما قتل ولده بالامس» فى بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمه بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً فى حياته ولا ـ عند مماته، حتى قبضه الله تعالى اليه محمود النقيبه، طيب العريكه، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فى الله سبحانه لومه لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً فى الدنيا غير حريص عليها، راغباً فى الآخره، مجاهداً لك فى سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفه، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فانا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا. فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبه علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته على الأرض فى بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله على كثير ممن خلق الله تفضيلاً.

فكذبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك أو كابل كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد مقتدم، قرت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم افتراء على الله ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونَّكم أنفسكم إلى الجدل بما اصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فان ما أصابنا من المصائب الجليله، والرزايا العظيمه «فى كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور».

تباً لكم فانظروا اللعنه والعذاب، فكأن قد حل بكم وتواترت من

السماء نقمات، فیسحتکم بعذاب ویذیق بعضکم بأس بعض ثم تخلدون فی العذاب الألیم یوم القیامه بما ظلمتمونا، ألا لعنه الله علی الظالمین.

ویلکم. اتدرون أیه ید طاعنتنا منکم؟ وأیه نفس نزعت إلی قتالنا؟ أم بأیه رجل مشیتم إلینا؟ تبغون محاربتنا، قست قلوبکم وغلظت أکبادکم، وطبع الله علی أفئدتکم، وختم علی سمعکم وبصرکم وسوَّل لکم الشیطان وأملی لکم، وجعل علی بصرکم غشاوه فأنتم لا تهتدون.

تباً لکم یا أهل الکوفه، أی ترات لرسول الله قِبلَکم، وذحول له لدیکم، بما عندتم بأخیه علی بن أبی طالب جدی وبنیه وعترته الطیبین الأخیار، وافتخر بذلک مفتخرکم.

نحن قتلنا علیاً وبنی علی

بسیوف هندیَّه ورماح

وسبینا نساءهم سبی ترک

ونطحناهُمُ فأیّ نطاح

بفیک أیها القائل الکثکث والأثلب(۱) افتخرت بقتل قوم زکاهم الله وطهرهم وأذهب عنهم الرجس فاکظم واقْعَ کما أقعی أبوک فانما لکل امرىء ما اکتسب. وما قدمت یداه.

حسدتمونا ویلاً لکم علی ما فضلنا الله تعالی، ذلک فضل الله یؤتیه من یشاء والله ذو الفضل العظیم، ومن لم یجعل الله له نوراً فما له من نور.

یقول الراوی: فارتفعت الأصوات بالبکاء والنحیب وقالوا: حسبک یا ابنه

۱- فی تاج العروس: الاثلب بکسر الهمزه واللام وفتحهما والفتح أکثر الحجر وقیل دقائق الحجاره، وقال شمر الاثلب بلغه الحجاز الحجاره وبلغه تمیم التراب وهو دعاء! وفی الحدیث: الولد للفراش وللعاهر الاثلب وفیه ص ۶۴۰: الکثکث کجعفر وزبرج دقائق التراب ویقال: التراب عامه یقال بفیه الکثکث أی التراب.

الطاهرين فقد حرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا فسكتت.(۱)

وقالت أُم كلثوم:

صه يا أهل الكوفه، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم. فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب.

يا أهل الكوفه سوأه لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أى دواهٍ دهتكم واى وزر على ظهوركم حملتم. وأى دماء سفكتم وأى كريمه أصبتموها وأى صبيه أسلمتموها وأى أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعد النبى ونزعت الرحمه من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون. وحزب الشيطان هم الخاسرون.(۲)

وعن خطبه أم كلثوم:

قال الراوى: فضج الناس بالبكاء والنّوح ونشر النساء شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن وخمشن وجوههن وضربن خدودهن ودعون بالويل والثبور وبكى الرجال ونتفوا لحاهم فلم ير باكيه وباك أكثر من ذلك اليوم.(۳)

جیم – فی مجلس ابن زیاد

حيث كانت أوامره بان تدخل السبايا مع الرؤوس إلى مجلسه العام!. نوعاً من التشفى بمصائب أهل البيت ونوعاً من بيان حقدهم عليهم واستخفافهم بكل ما هو مقدس، بل هو نوع من استعراض العضله الأمويه أمام هذا الركب الذى يقوده مريض

۱– المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۰۵.

۲– المقرم، ص ۳۱۶.

۳– نفس المصدر، ص ۱۵۶.

عاجز عن حمل السلاح! قال الراوی:

لما رجع ابن زیاد من معسکره بالنخیله ودخل قصر الاماره ووضع امامه الرأس المقدس أذن للناس إذناً عاما وأمر بادخال السبایا مجلسه فادخلت علیه حرم رسول الله بحاله تقشعر لها الجلود.

ووضع رأس الحسین بین یدیه وجعل ینکث بالقضیب ثنایاه... وانحازت زینب ابنه أمیر المؤمنین علیه السلام عن النساء وهی متنکره لکن جلال النبوه وبهاء الإمامه المنسدل علیها استلفت نظر ابن زیاد فقال: من هذه المتنکره؟

قیل له: أبنه أمیر المؤمنین «زینب العقیله».

فأراد ان یحرق قلبها بأکثر مما جاء إلیهم فقال متشمتاً: الحمد لله الذی فضحکم وقتلکم وأکذب أحدوثتکم.

فقالت علیها السلام:

الحمد لله الذی اکرمنا بنبیه محمد وطهرنا من الرجس تطهیرا، انما یفتضح الفاسق، ویکذب الفاجر، وهو غیرنا.

قال ابن زیاد کیف رأیت فعل الله بأهل بیتک؟

قالت علیها السلام:

ما رأیت إلا جمیلا.(۱)

ویمکن ان نفهم تداعیات الموقف من خلال ما جری فیما بعد فی الکوفه نفسها، فقد جاء فی المقتل:

ولما وضح لابن زیاد ولوله الناس ولغط أهل المجلس خصوصاً لما تکلمت معه زینب العقیله خاف هیاج الناس فأمر الشرطه بحبس الأساری فی دار إلی جنب المسجد

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۲۳ - ۳۲۴.

الأعظم قال حاجب ابن زياد: كنت معهم حين أمر بهم إلى السجن فرأيت الرجال والنساء مجتمعين يبكون ويلطمون وجوههم.(۱)

وقد هاجم ابن زياد عدداً من الموالين معلنين بذلك عن استنكارهم لعمله كما فى موقف زيد بن الأرقم وموقف ابن عفيف الازدى وجندب بن عبد الله الازدى رحمهم الله.

وبعد كل الذى حصل خاف ابن زياد على حكومته وعلى نفسه فأمر بارسال السبايا إلى الشام مع الرؤوس وارتجت الكوفه كلها لتوديع أهل البيت عليهم السلام (وعجت نساء همدان بالبكاء)(۲) وضجّ الناس بالبكاء عندما غادر موكب أهل البيت

۱- المقرم، ۳۲۶.

۲- حياه الإمام الحسين للشيخ باقر القرشى، ج۳، ص ۳۶۸. يعلق الشيخ الآصفى على ذلك بالقول: ان الذى حدث لها ولأهل بيتها حَدَثَ بعلم الله وسلطانه فقد كان الله يعلم بما يحدث فى كربلاء، وكان قادراً على أن يحول بينهم وبين ما صنعوا بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله تعالى جميل، رؤوف بعباده، ولو كان الذى حدث لآل البيت يضرّ بهم، لحال الله تعالى بينهم وبين ما يريدون، وكان الله تعالى على ذلك قديراً، ولم يخرج الطاغيه فى بطشه وفتكه عن قبضه سلطان الله تعالى. ولكن الله تعالى جعل ابتلاء المؤمنين بالخوف والجوع والنقص فى الأموال والأنفس والثمرات طريقاً إلى رضوانه وصلواته ورحمته... وقد جعل الله تعالى أهل البيت على طريق رضوانه ورحمته وصلواته: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (۱۵۵) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (۱۵۶) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)). ولن يسلك الإنسان الطريق إلى رضوان الله ورحمته إلا من خلال هذه الضرّاء والبأساء، وما يصيب الإنسان فى أزمات الابتلاء من زلزال فى النفوس ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ)). إنّ هذه الهزّات والزلازل التى تصيب المؤمنين وهذه البأساء والضرّاء والقتل هو السبيل السالك إلى رضوان الله ورحمته، وهذه مشيئه الله تعالى، وليس فى مشيئه الله إلا الجميل. والسيده زينب (عليها السلام) تدرك هذه البصائر من كتاب الله، وتعرف أن أخاها وأهل بيتها خرجوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقد قدّر الله تعالى وكتب لهم القتل، فبرزوا إلى مصارعهم بأمر من الله تعالى ورضاه وابتغاء لمرضاته، فلا ترى فيما أراد الله تعالى به وبها وبأهل بيتها إلا الجميل. وهى مطمئنه إلى ذلك، واثقه بذلك، فتقول وبكل ثقه واطمئنان فى جواب الطاغيه: «ما رأيت إلا جميلا» ولكن أنّى يدرك الطاغيه البليد هذا الجمال. وبهذه البصيره الصافيه النفّاذه تتجاوز عواطفها وآلامها وتتقبل المصاب الفجيع بسكون واطمئنان وقوّه وثقه بالله تعالى. وهى تعلم ان الله تعالى سوف يجمع بين أخيها الإمام الشهيد (عليه السلام) وبين الطاغيه الذى اسكرته نشوه النصر ومصرع الطيبين من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهناك ينقلب الحال، ويخزى الطاغيه ومن أمّره، ويفلح الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه. فتقول له، وهو فى نشوه النصر، وسكره الغرور: «وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن يكون النصر يؤمئذٍ».

علیهم السلام الکوفه مغلولین، قد أوثقوا بالحبال بحاله تقشعر من ذکرها الأبدان، وترتعد مفاصل الإنسان بل الحیوان، کما یقول الفاخوری.(۱)

وکان علی بن الحسین علیهما السلام یقول:

«تنوحون وتبکون فمن الذی قتلنا».(۲)

ویذکر الشیخ الصدوق فی الأمالی عن حاجب الطاغیه: (ان الطاغیه بعدما سمع اعتراض الناس ورأی سخطهم أمر بعلی بن الحسین علیه السلام فغل وحمل مع النسوه والسبایا إلی السجن، وکنت معهم فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملئ رجالاً ونساء یضربون وجوههم ویبکون، فحبسوا فی سجن وطبق علیها).(۳)

وتسیر قافله الحسین علیه السلام إلی الشام فی صوره محزنه وکان العتاه والقتله

۱- الآصفی الخطاب الحسینی نقلا عن تحفه الأنام فی مختصر تاریخ الإسلام: ۸۴.

۲- المقرم نقلاً عن تحفه الانام من مختصر تاریخ الإسلام، ص ۸۴.

۳- آیه الله الشیخ محمد مهدی الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه، ص ۹۱.

معهم وكلما دمعت عين واحد منهم ضربوه بالرمح كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وسنمر على الموضوع فى تفصيل أكثر فى حادثه السبى.

لقد منعوا الإمام الحسين من دخول الكوفه كى لا تحصل ثورته فيها وأبعدوه إلى صحراء كربلاء حيث لا ناس هناك ينصرونه ولاـ مكان لبيوت أو منازل آهله فيهبون لنجدته وتقديم العون إليه وبذلك تكون ثورته عقيمه ميته لكن النساء نقلن الثوره إلى الكوفه كلها وبعدها إلى الشام كله والى كل المدن التى كانت فى المسير ونجحن فى هذا المشروع الكبير كما سيأتينا.

المرحله الثانيه من الدور الإعلامى

اشاره

وهى تبتدئ منذ وصول السبايا إلى الشام وتستمر حتى خروجهم منها فى مدّه قصيره ربما هى ثلاثه ايام لكن ثقلها فى المنظومه الحسينيه كان عظيماً.

فلقد كان يزيد على أحرّ من الجمر لرؤيه هذا السبى النبوى الذى يسيح جراحاً، وليسترجع الشعور بالنشوه والتعويض عن عقده الحقاره التى استقرت فى الظل الباطن للامويين على مدى عقود طويله ولهذا استعد يزيد أكثر من استعداد ابن زياد لإقامه الاحتفال الكبير الذى انتظره طويلا.

وفى أول يوم من صفر دخلوا دمشق فأوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم فى فرح وسرور ودنا رجل من «سكينه» وقال: من أى السبايا أنتم؟ قالت: نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.(۱)

وقد دخلوا مجلس يزيد فى حاله مؤلمه للغايه فقد أوثقوهم بالحبال فكان الحبل فى عنق زين العابدين إلى زينب وام كلثوم وباقى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلما قصروا عن المشى ضربوهم حتى اوقفوهم بين يدى يزيد وهو على سريره فقال على بن الحسين عليه السلام: ما ظنك برسول الله لو يرانا على هذا

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۴۸.

الحال؟ فبكى الحاضرون وأمر يزيد بالحبال فقطعت.(١)

ويمكن مراجعه المقتل الحسينى ليكون هناك اطلاع عن كثب على حال السبايا لما دخلن المجلس وعن فرح يزيد وشماتته بهن واظهار حقده الدفين على أهل البيت عليهم السلام.

ثم كانت خطبه السيده فى المجلس:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول:

((ثُمَّ كَانَ عَاقِبَهَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون)).(٢)

اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى ان بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامه، وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت فى عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقه، والأمور متسقه، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، انسيت قول الله تعالى:

((وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ)).(٣)

أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وابديت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الاعداء من

١- نفس المصدر السابق، ص ٣٥٠.

٢- سوره الروم، الآيه ١٠.

٣- سوره آل عمران، الآيه ١٧٨.

بلـد الى بلد ويستشـرفهن اهل المناهل والمعاقل, ويتصـفح وجوههنَّ القريب والبعيد، والدنى والشـريف، ليس معهنَّ من حماتهنَّ حمى ولاـ من رجـالهنَّ ولى، وكيف يرتجى مراقبه من لفظ فوه اكباد الازكياء ونبت لحمه من دماء الشـهداء , وكيف يسـتبطأ فى بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والاحن والاضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً

ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

منحنيـاً على ثنايا أبى عبـد الله سـيد شـباب أهل الجنه تنكتها بمخصـرتك وكيف لا تقول ذلك، وقـد نكأت القرحه واستأصـلت الشأفه، باراقتك دماء ذريه محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك زعمت انك تناديهم فلتردنَّ وشيكا موردهم ولتودَّنَ انك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله مـا فريت إلاـ جلـدك، ولاـ حزت إلاـ لحمك، ولتردنَّ على رسول الله صـلى عليه وآله بما تحملت من سـفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته فى عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمُّ شعثهم، ويأخذ بحقهم

((وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْیَاء عِندَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ)).(۱)

وحسبك بالله حاكما، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيما، وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سوَّل لك ومكَّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وايكم شر مكاناً، واضعف جنداً.

ولئن جرَّت على الدواهى مخاطبتك، إنى لأستصغر قدرك واستعظم

۱- سوره آل عمران، الآيه ۱۶۹.

تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى.

ألا ـ فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدى تنطف من دمائنا، والافواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكى تنتابها العواسل، وتعفرها امهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنما، لتجدنا وشيكا مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربُّك بظلام للعبيد، والى الله المشتكى وعليه المعول.

فكدْ كيدك، واسعَ سعيك، وناصبْ جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فندٌ وأيامك إلا عدد، وجمعك الا بدد، يوم ينادى المنادى ألا لعنه الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذى ختم لأولنا بالسعاده والمغفره ولآخرنا بالشهاده والرحمه، ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافه، انه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وقد اشتد الموقف فى الشام كما حصل فى الكوفه بعد خطبه الإمام زين العابدين عليه السلام وخطبه السيده زينب عليها السلام فى مجلس يزيد.. فقد احدثت هذه الخطبه هزه فى مجلس يزيد (وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال الذى غمرهم وانهم فى أى واد يعمهون)، فلم ير يزيد مناصاً إلا ـ ان يخرج الحرم من المجلس إلى خربه لا ـ تكنُّهم من حرٍّ ولا ـ برد فأقاموا فيها ينوحون على الحسين عليه السلام(۱) ثلاثه أيام.(۲)

وفى بعض الأيام خرج السجاد عليه السلام منها يتروح، فلقيه المنهال بن عمر وقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: أمسينا كمثل بنى اسرائيل فى آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، امست العرب تفتخر على العجم

۱- تاريخ الطبرى، ج۱، ص ۲۶۶؛ والبدايه لابن كثير ج۸، ص ۱۹۵.

۲- اللهوف ص ۲۰۷.

بان محمداً منها، وامست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين فانا لله وانّا إليه راجعون.(۱)

قال المنهال: وبينما يكلمنى إذ امرأه خرجت خلفه تقول له: إلى اين يا نعم الخلف؟ فتركنى واسرع إليها فسألت عنها قيل: هذه عمته زينب.(۲)

محطات من خطاب السيده زينب عليها السلام فی قصر يزيد

لقد كان خطاب السيده زينب عليها السلام خطاب احتجاج امام الحكومه الامويه وعلى رأسها حاكمها فهو اذاً خطاب احتجاج واعتراض وتأنيب وتذكير بالوعد الالهى وأهم محطاته:

۱ . التذكير بأن الكرامه الإلهيه لا تقاس بالمظاهر الخارجيه التى كانت موجوده فشتان ما بين سبى النساء وسوقهن من بلد إلى بلد مع الرؤوس وبين ما كان عليه يزيد من نعيم وملك.

۲ . التذكير بقيم صيانه المرأه التى ما زال المجتمع حتى تلك الساعه يعتز بها ويحافظ عليها (تخديرك حرائرك وإماءك...). وهذا الأمر حينما يصدر من المرأه المتعرضه للحادث يكون اشد تأثيراً فكيف وان الاحتجاج انطلق من عقيله الهاشميين للخليفه يزيد وأمام الملأ؟.

۳ . بيان مكانه أهل البيت عليهم السلام، اذ تقول:

منحنياً على ثنايا أبى عبد الله سيد شباب أهل الجنه تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحه واستأصلت الشأفه، باراقتك دماء ذريه محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب.

۱- المقرم ص ۳۶۰

۲- المقرم ص ۳۶۰.

۴ . التأکید علی الانتصار الحتمی لأهل البیت (فکد کیدک...) وهذا یعرّف بمقدار الأمل العظیم الذی کان عند النفوس المعذبه، وبمقدار یقینها ووعیها بأهدافها ورسالتها.

ومن البدیهی ان خطبه السیده زینب علیها السلام وخطبه الإمام زین العابدین علیه السلام کانتا بمنزله الکشف الواعی عن المخطط الأموی کله فی ساحه تکنّ العداء لأهل البیت علیهم السلام، وکانت فرحه بانتصار الخلیفه علی من خرج علی سلطانه وظلمه، ولکن النتائج جاءت معاکسه لذلک فاهتزت الشام.. ولقد احدثت خطبه العقیله زینب هزه فی مجلس یزید وراح الرجل یحدث جلیسه بالضلال الذی غمرهم ..

وقد استنکر عمله المقربون له منذ بدایه دخول السبایا إلی مجلسه واستنکر الحاضرون فی المجلس وقال ابو برزه الأسلمی: اشهد لقد رأیت النبی یرشف ثنایاه وثنایا أخیه الحسن علیه السلام ویقول: انتما سیدا شباب أهل الجنه قتل الله قاتلکما ولعنه واعد له جهنم وساءت مصیراً فغضب یزید منه وأمر به فأخرج سحباً.(۱)

وقال یحی بن الحکم بن ابی العاص اخو مروان وکان جالساً عنده:

لَهامٍ بجنب الطف أدنی قرابه من ابن

زیاد العبد ذی الحسب الوغل

سمیه أمسی نسلها عدد الحصی

ولیس لآل المصطفی الیوم من نسل

فضربه یزید علی صدره وقال: اسکت لا أم لک.(۲)

والتفت رسول قیصر إلی یزید وقال: إن عندنا فی بعض الجزائر حافر حمار عیسی ونحن نحج إلیه فی کل عام من الاقطار ونهدی إلیه النذور ونعظمه کما تعظمون کتبکم

۱- نفس المصدر، ص۳۵۵.

۲- تاریخ الطبری ج۱، ص ۲۶۵؛ وکامل ابن الأثیر ج۴ص۳۷.

فأشـهد انكم على باطل(۱) فـأغضب يزيـد هـذا القول وأمر بقتله فقام إلى الرأس وقبّله وتشـهد الشـهادتين وعنـد قتله سـمع أهل المجلس من الرأس الشريف صوتاً عالياً فصيحاً «لا حول ولا قوه إلا بالله».(۲)

ثم جعلت امرأه من بين هاشم كانت فى دار يزيد لعنه الله تندب على الحسـين (عليه السـلام) وتنادى يا حبيباه يا سيّد أهل بيتاه يا ابن محمـداه يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدعياء.(۳) ولما رأت هند بنت عمرو بن سـهيل زوجه يزيد الرأس على باب دارها والنور الإلهى يسطع منه ودمه طرى لم يجف ويشم منه رائحه طيبه دخلت المجلس مهتوكه الحجاب وهى تقول: رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا فقام إليها يزيد وغطاها..(۴)

وكان من أشـد الناس انكاراً له ولـده معاويه. فأخذ يزيد يثوب إلى عقله عندما أكثروا عتابه ولومه، وتكرر عليه انكار الناس، وقد ذكروا أن مروان كان يومئذٍ بالشام، فقال ليزيد – وهو يرى تردى الحاله الاجتماعيه والسياسـيه وتصاعد انكار المسـلمين على بنى أميه –: (لا يصلح لك توقف أهل بيت الحسين عليه السلام فى الشام فأعدّ لهم الجهاز، وابعث بهم إلى الحجاز).(۵)

وشـعر يزيـد بالنـدم فقـال: ما كان علىّ لو احتملت الأذى وانزلته – أى الحسـين – معى فى دارى، وكلمته فيما يريـد. لعن الله ابن مرجانه، فقد بغّض بقتله إلىّ المسلمين، وزرع لى فى قلوبهم العداوه، فبغّضنى إلى البرّ والفاجر بما استعظم الناس فى قتلى حسيناً،

۱– المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۵۵.

۲– المصدر نفسه ص ۳۵۰.

۳– السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ۱۷۹.

۴– المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۵۶.

۵– الآصفى، آيه الله الشيخ محمد مهدى، الخطاب الحسينى، المرحله الثانيه، للثوره الحسينيه، ص ۱۱۴.

مالی ولابن مرجانه لعنه الله وغضب علیه.(۱)

ثم اقام مجالس العزاء فی الشام وأفرد یزید لأهل البیت علیهم السلام، داراً قریبه من قصوره (دار الحجاره) وأذن لهم بإقامه العزاء والنیاحه علی الحسین علیه السلام، من بعد ما کان ذلک محظوراً علیهم. فأقمن المأتم علی الحسین سبعه أیام، وکان یجتمع عندهنّ کل یوم جماعه کثیره لا تحصی من النساء.(۲) فلم تبق هاشمیه، ولا قرشیّه إلا لبست السواد حزناً علی الحسین علیه السلام.(۳)

وأیضاً روی المفید فی الإرشاد: إن الطاغیه أمر بالنسوه أن ینزلن فی دار علی حده معهن أخوهنّ علی بن الحسین، فأفرد له داراً یتصل بدار یزید فأقاموا أیّاماً(۴).

وأقمن المآتم علیه ثلاثه أیام.(۵)

وروی سبط ابن الجوزی فی التذکره قال:

قال الزهری: لما دخلت نساء الحسین علیه السلام وبناته علی نساء یزید قمن إلیهن، وصحن، وبکین، وأقمن المآتم علی الحسین علیه السلام.

وقال الشعبی: لما دخل نساء الحسین علیه السلام علی نساء یزید قلن:

واحسیناه، فسمعهنّ یزید، فقال:

یا صیحه تحمد من صوائح

ما أهون الموت علی النوائح(۶)

۱- الآصفی، الخطاب الحسینی نقلاً عن تاریخ الطبری: ۷/۱۹؛ وابن الأثیر: ۳/۳۰۰.

۲- نفس المهموم: ۴۵۱ عن کامل البهائی: ۲/ ۲۹۹ - ۳۰۲.

۳- الآصفی، الخطاب الحسینی، ص ۱۱۵.

۴- الآصفی، الخطاب الحسینی، نقلاً عن الإرشاد للمفید: ۲۳۱.

۵- نفس المصدر عن جلاء العیون لسید شبر: ۲/۲۶۴.

۶- الآصفی، الخطاب الحسینی نقلاً عن تذکره الخواص: ۱۵۰.

وكـانت نتائـج ذلـك كله ان يزيـد أمر بارجـاع السـبايا إلى المـدينه.. لمـا خشـى الفتنه وانقلاب الأمر عليه عجل باخراج السجاد والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرهم، ومكَّنهم مما يريـدون وأمر النعمان بن بشـير وجماعه معه أن يسـيروا معهم إلى المدينه مع الرفق.(۱)

المرحله الثالثه من الدور الإعلامى

اشاره

وساحتها المدينه المنوره ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

۱- القسم الأول يتحدث عن الدور الإعلامى المحدود قبل وصول السبايا

۲ - القسم الثانى يتحدث عن الدور الإعلامى بعد وصول السبايا وعوده الركب الحسينى إلى المدينه.

ألف – القسم الأول

وحيث اراد ابن زياد ان يعلن (انتصاره) فى المـدينه فقـد ارسل إليها من يخبرها بما جرى على الحسـين عليه السـلام وآل بيته قال الراوى: وكانت نساؤه وعياله سـبايا فارسل ابن زياد عبـد الملك بن الحارث السـلمى إلى المدينه ليبشـر عمرو بن سـعيد الاشدق بقتـل الحسـين فاعتـذر بـالمرض فلم يقبل منه وكان ابن زياد شديـد الوطأه «لا يصـطلى بناره» وأمره أن يجـدَّ السـير فان قامت به الراحله يشترى غيرها ولا يسـبقه الخبر من غيره فسار مجـدًّاً حتى إذا وصل المـدينه لقيه رجل من قريش وسأله عما عنده فقال له: الخبر عند الأمير ولما أعلم ابن سعيد بقتل الحسين فرح واهتز بشراً وشماته.

وأمر المنادى أن يعلن بقتله فى ازقه المـدينه فلم يسـمع ذلك اليوم واعيه مثل واعيه نساء بنى هاشم فى دورهن على سـيد شـباب أهل الجنه واتصلت الصيحه بدار «الاشدق» فضحك وتمثل بقول عمرو بن معد يكرب:

۱- ۶ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۶۱.

عجّت نساء بنی زیاد عجّه

كعجيج نسوتنا غداه الأرنب

ثم قال: واعيه بواعيه عثمان.(۱)

وقد سمی بالاشدق لأنه اصابه اعوجاج فی حلقه إلی الجانب الآخر لاغراقه فی شتم علی بن ابی طالب علیه السلام(۲)، وكانت ردود الفعل ان المدینه اهتزت بالأمر فخرجت بنت عقیل بن أبی طالب فی جماعه من نساء قومها حتی انتهت إلی قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلی المهاجرین والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبی لكم

یوم الحساب وصدق القول مسموع

خذلتمو عترتی أو كنتُمُ غیبا

والحق عند ولیِّ الأمر مجموع

اسلمتموهم بأیدی الظالمین فما

منكم له الیوم عند الله مشفوع

ما كان عند غداه الطَّف إذ حضروا

تلك المنایا ولا عنهنَّ مدفوع

فأبكت من حضر ولم یر باك وباكیه أكثر من ذلك الیوم.(۳)

وكانت أختها زینب علیها السلام تندب الحسین علیه السلام وتقول:

ماذا تقولون إذ قال النبی لكم

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتی وبأهلی بعد مفتقدی

منهم أساری ومنهم ضرّجوا بدم

ما کان هذا جزائی إذ نصحت لکم

أنْ تخلفونی بسوء فی ذوی رحمی(۴)

۱- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۳۴.

۲- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام نقلاً عن معجم الشعراء للمرزبانی ص ۲۳۱.

۳- أمالی الشیخ الطوسی ص ۵۵.

۴- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین (علیه السلام)، ص ۳۳۵.

فأجابها ابو الأسود، وهو غارق فی البکاء والشجون:

((رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)).(۱)

وأخذ یقول:

أقول، وزادنی حنقاً وغیظا

أزال الله ملک بنی زیاد

وابعدهم، کما بعدوا وخانوا

کما بعدت ثمود وقوم عاد

ولا رجعت رکائبهم إلیهم

إذا وقفت بهم یوم التناد(۲)

وأقامت أم البنین زوجه أمیر المؤمنین العزاء علی الحسین علیه السلام، وکانت نساء بنی هاشم یجتمعن عندها للعزاء والنیاحه.(۳)

باء – القسم الثانی

إنّ الدور الإعلامی فی المدینه یبدأ مع عوده السبایا حیث اقیمت مجالس الحداد والعزاء باشراف أهل البیت أنفسهم.

وکان للحاله الأولی من وصول الخبر إلی المدینه أثره الکبیر فی تهیئه الأرضیه لما جری من حوادث فی القسم الثانی. فقد علم أهل المدینه بما جری علی الحسین علیه السلام وأهل بیته واقاموا مجالس العزاء.. روی ابن عساکر فی تاریخ دمشق: أن عبد الله بن عباس کان فی الحرم، إذ أسرّ إلیه شخص بالحادث المفجع فی العراق فذعر، واجهش بالبکاء. فسأله محمد بن عبد الله: ما حدث یا أبا العباس؟

قال: مصیبه عظیمه نحتسبها عند الله، وارتفع صوته بالبکاء، وانصرف إلی

۱- سوره الأعراف، الآیه ۲۳.

۲- حیاه الإمام الحسین للقرشی: ۳/۴۱۹.

۳- الآصفی، الخطاب الحسینی.

منزله، واقام فی منزله مأتماً علی الحسین علیه السلام واقبل الناس یعزّونه بمصیبه الحسین.(۱)

وکذلک عبد الله بن جعفر فقال ابن جریر: لما ورد نعی الحسین جلس عبد الله ابن جعفر للعزاء وأقبل الناس یعزونه فقال مولاه (ابو اللسلاس)(۲): هذا ما لقیناه من الحسین!! فحذفه بنعله وقال: یا ابن اللخناء أللحسین تقول ذلک؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا ـ أفارقه حتی اقتل معه، والله انه لمما یسخی بنفسی عن ولدیَّ ویهون علیّ المصاب بهما أنهما أصیبا مع أخی وابن عمی مواسیین له صابرین معه ثم أقبل علی جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ علی المصاب بمصرع الحسین أن لا أکون واسیته بنفسی، فلقد واساه ولدای(۳)..

وهذا قد مهد لأن یکون هناک تجمع حاشد لأهل المدینه ما ان سمعوا بمقدم الإمام زین العابدین علیه السلام إلی المدینه.. یقول الراوی: ثم انفصلوا من کربلاء طالبین المدینه قال بشیر بن حذلم فلمّا قربنا منها نزل علیّ بن الحسین علیه السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه وانزل نساءه وقال: یا بشیر رحم الله اباک لقد کان شاعراً، فهل تقدر علی شیء منه؟ فقال بلی یا بن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم انّی لشاعر فقال علیه السلام ادخل المدینه وانع أبا عبد الله علیه السلام، قال بشیر: فرکبت فرسی ورکضت حتّی دخلت المدینه فلمّا بلغت مسجد النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم رفعت صوتی بالبکاء وانشأت أقول:

یا أهل یثرب لا مقام لکم بها

قتل الحسین فأدمعی مدرار

الجسم منه بکربلاء مضرّج

والرأس منه علی القناه یدار

۱- الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه، نقلاً عن تاریخ ابن عساکر: ۱۳/۸۶.

۲- فی الإرشاد للشیخ المفید وکشف الغمه للاربلی ص ۱۹۴: ابو السلاسل.

۳- تاریخ الطبری ج۶، ص ۲۱۸.

قـال ثمّ قلت هـذا علىّ بن الحسـين عليه السـلام مع عمّـاته واخواته قـد حلّوا بسـاحتكم ونزلوا بفنـائكم وأنا رسول إليكم اعرّفكم مكـانه، قـال فمـا بقيت فى المـدينه مخـدّره ولاـ محجّبه إلاـ برزن من خـدورهنّ مكشـوفه شـعورهنّ مخمّشه وجوههنّ ضاربـات خـدودهنّ يـدعون بالويـل والثّبور فلم أر باكيـاً أكثر من ذلـك اليوم ولاـ يوماً أمرّ على المسـلمين منه وسـمعت جاريه تنوح على الحسين عليه السلام فتقول:

نعى سيدى ناع نعاه فاوجعا

وأمرضنى ناع نعاه فأفجعا

فعينىّ جوداً بالدموع واسكبا

وجودا بدمع بعد دمعكما معاً

على من دهى عرش الجليل فزعزعا

فأصبح هذا المجد والدين أجدعا

على ابن نبىّ الله وابن وصيّه

وإن كان عنّا شاحط الدّار أشسعا

ثم قالت: أيها الناعى جدّدت حزننا بأبى عبد الله عليه السلام وخدشت منّا قروحاً لما تندمل فمن أنت رحمك الله؟ فقلت أنا بشير بن حـذلم وجّهنى مولاى علىّ بن الحسـين عليه السـلام وهو نازل فى موضع كـذا وكذا مع عيال أبى عبد الله عليه السـلام ونسائه قال: فتركونى مكانى فضـربت فرسـى حتّى رجعت إليهم فوجـدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسـى وتخطيّت رقاب الناس حتّى قربت من باب الفسـطاط وكان علىّ بن الحسـين عليه السـلام داخلا فخرج ومعه خرقه يمسح بها دموعه وخلفه خـادم معه كرسـىّ فوضـعه له وجلس عليه وهو لاـ يتمالـك عن العبره وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين النسوان والجوارى والناس يعزّونه من كلّ ناحيه فضجّت تلك البقعه ضجّه شديده.(۱)

وأما نساء آل البيت عليهم السلام فقد هاجت بهن ذكريات الأمس القريب مع الأخوه والأعزه كيف خرجوا من المدينه جمعاً من الرجال والنساء ناصرين للإمام فى ثورته العظيمه فعادت النساء باكيات يندبن رجالهن..

۱- السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ۱۹۷ – ۲۰۰.

وکان من رثائهن فی أبی عبد الله علیه السلام:(۱)

مدینه جدّنا لا تقبلینا

فبالحسرات والأحزان جینا

خرجنا منک بالأهلین جمعاً

رجعنا لا رجال ولا بنینا

وکنا فی الخروج بجمع شمل

رجعنا حاسرین مسلبینا

وکنّا فی أمان الله جهراً

رجعنا بالقطیعه خائفینا

ومولانا الحسین لنا أنیس

رجعنا والحسین به رهینا

فنحن الضائعات بلا کفیل

ونحن النائحات علی أخینا

ألا یا جدّنا قتلوا حسیناً

ولم یرعوا جناب الله فینا

ألا یا جدّنا بلغت عدانا

مناها واشتفی الأعداء فینا

لقد هتکوا النساء وحمّلوها

علی الأقتاب قهراً أجمعینا(۲)

ثم أخذت زينب بنت أمير المؤمنين بعضادتي باب المسجد وصاحت:

- يا جَدَّاه إِنّي ناعيه إليك أخي الحسين.

وصاحت سكينه: يا جَدَّاه إليك المشتكى مما جرى علينا فوالله ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفى وأغلظ فلقد كان يقرع ثغر أبي بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين.(۳)

وأقمْنَ حرائر الرساله المأتم على سيد الشهداء ولبسْنَ المسوح والسواد نائحات الليل والنهار والإمام السجاد يعمل لهن الطعام.(۴)

۱- الأغاني، لأبي الفرج الاصفهاني، ج۲، ص ۱۵۸.

۲- الآصفي، الخطاب الحسيني، نقلاً عن منتخب الطريحي: ۳۵۷.

۳- المقرم نقلا عن رياض الأحزان، ص ۱۶۳.

۴- المقرم نقلا عن محاسن البرقي ج۲، ص ۴۲۰، باب الإطعام والمأتم.

وفی حدیث الإمام الصادق علیه السلام:

ما اختضبت هاشمیه ولا ادهنت ولا أُجیل مرود فی عین هاشمیه خمس حجج حتی بعث المختار برأس عبید الله بن زیاد.(۱)

وأما الرباب فبکت علی أبی عبد الله حتی جفَّت دموعها ومما قالته فی رثاء زوجها الحسین علیه السلام:

إنَّ الذی کان نوراً یُسْتَضاء به

بکربلاء قتیل غیر مدفون

سبط النبیِّ جزاک الله صالحه

عنّا وجنبت خسران الموازین

قد کنتَ لی جبلا صعباً ألوذ به

وکنتَ تصحبنا بالرحم والدّین

مَنْ للیتامی ومَنْ للسائلین ومَنْ

یغنی ویأوی إلیه کلُّ مسکین

والله لا ابتغی صهراً بصهرکمُ

حتی أُغیَّب بین الرمل والطِّین(۲)

وکانت زینب بنت علی علیه السلام لا تجف لها عبره ولا تفتر من البکاء والنحیب، وکلّما نظرت إلی علی بن الحسین علیه السلام ابن أخیها تجدّد حزنها وزاد وجدها.(۳)

ومن ثم اقیمت مجالس العزاء فی المدینه برعایه أهل البیت علیهم السلام واستمرت هذه المجالس فی توجیه الناس نحو قیم الثوره الحسینیه حتی وقتنا الحاضر.

الدور الإعلامی فی المیزان

کربلاء تمثل حادثه منفرده فی کل احداثها وشخوصها وزمانها ومکانها وحتّی حضور النساء فی هذه الواقعه کان متمیزاً ومختلفاً عما سواه. فمن المعلوم انه کانت

۱- مستدرک الوسائل ج۲، ص ۲۱۵ باب ۹۴.

۲- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۷۶.

۳- الآصفی، الخطاب الحسینی، نقلاً عن منتخب الطریحی: ۳۵۸.

للنساء مشارکات فی المعارک فیما سبق، اذ یحضرن اما عاملاً لتقویه المعنویات کما حصل فی معرکه أحد حیث حضرت نساء قریش خلف المقاتلین وهن یرتجزن:

نحن نساء طارق

نمشی علی النمارق

ان تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق

والهدف من کل ذلک هو دفع الرجال للقتال. واما ان تحضر النساء فی الحروب للتمریض کما فی صوره رفیده التی کانت تضمد جراحات المسلمین.. وغالباً ما ینتهی دور النساء بانتهاء المعارک وعوده المقاتلین، اما فی واقعه الطف فالأمر کان متبایناً جداً فقد کان حضور النساء إلی کربلاء هو لأداء أدوار جدیده وتولی مهام استمرت حتی بعد انتهاء المعرکه. فالملاحظ ان الدور الإعلامی استمر حتی وصول النساء إلی المدینه حیث اقمن مجالس العزاء وکشفن عن الصوره الواقعیه لمقتل الامام علیه السلام الأمر الذی دفع والی المدینه إلی إخراج السیده زینب علیها السلام عن المدینه، فضاق الوالی الأموی بذلک ذرعاً، وکتب إلی یزید کتاباً یقول فیه:

«ان وجود زینب ابنه علی بین أهل المدینه مهیج للخواطر، فانها فصیحه عاقله لبیبه، وقد عزمت هی ومن معها علی القیام للأخذ بثأر الحسین، فعرفنی رأیک».(۱)

علی هذا یمکن القول ان هذا الدور قد اعطی للمرأه صوره جدیده عن أدوار مستقبلیه یمکن ان تؤدیها، وأهم ما نلاحظه فی هذا الدور هو قدره النساء علی تهییج مشاعر الناس وایقاظ الحس الإیمانی والانسانی وتجمیع الطاقات وشحذ الهمم بشکل فعال أدی إلی قیام الثورات علی الأمویین وظهورها وأولها ثوره التوابین عام ۶۲ ه. أی بعد أمد یسیر من معرکه الطف وهذه اشاره إلی نجاح الدور الإعلامی وتحقیق أهدافه الخالده.

۱- محمد بحر العلوم، فی رحاب السیده زینب، ص ۱۹۷.

ولقد تميزت خطب النساء وكلماتهن فى هذا الدور بأمور نذكر أهمها:

١ . ان عموم الخطب والكلمات كانت تحمل منظومه قيميه جديده أسهمت وإلى حد كبير فى تغيير المنظومه السابقه التى زرعها الإعلام الأموى الكاذب فبدل الاستكانه اصبح الجهاد والتضحيه من أجل الشهاده وبدل الخوف من اظهار الولاء كان هناك الاعلان عن محبه آل البيت عليهم السلام بدليل ان الثورات كلها انطلقت من مبدأ الولاء لآل البيت عليهم السلام، وبدل الخضوع للدنيا والركون إليها والرضا بالظلم كان التفكير بالآخره والتسابق نحو الشهاده ورفض الظلم واعلان الثوره عليه.. وهذا يشير إلى مقدار الكم القيمى الذى حملته النساء والذى ظهر واضحا من خلال السلوك والأفعال، اذ اننا لا نجد فى هذه الخطب والكلمات أى شىء يتنافى مع الأدب العام أو اللياقه. فليس هناك فحش أو سب، أو شتم بل هو خطاب يتعالى عن كل هذه الصفات. وهذا يوصلنا إلى مطاف آخر ان ثوره الإمام كانت قيميه أخلاقيه تغييريه كبرى أدت إلى إعاده النظام الأخلاقى للناس بعد انهياره وغرق الناس فى مستنقع الفوضى والفساد الأخلاقى.

٢ . ولأنه كان خطاباً قيمياً فقد استقر على اعمده الصدق والصراحه. إذ لم تنقل هؤلاء النساء كذباً أو زوراً والعياذ بالله، بل نقلن الحقائق المؤلمه التى مرت بهن، ونقلن الصوره كما هى من خلال أوضاع السبى والانتقال من بلد إلى آخر فكانت خير صوره ناطقه لما جرى من أحداث، فى حين اعتمد الإعلام الأموى على التضليل والتشويه ومهما استعان هذا الإعلام بمقدرات القوى الظاهريه فانه خطاب لا يدوم؛ لأنه لا يستقر على أعمده قويه وأهمها الصدق.

٣ . ثم انه كان خطاباً انسيابياً إذ لم يكن هناك أى تكلف فى مفرداته أو فى إيصاله إلى المتلقى؛ فقد كان الخطاب هو نقلاً لصوره مستقره فى قلوب أُضيئت بأنوار الهدايه

إلى البشر الغارقين فى سرادق الوهم. ولهذا لم تكن هناك حاجه للتكلف الزائد؛ لأنه انعتاق الحقيقه إلى النور فهو إذاً خطاب القلب المجروح. ولأنه خطاب نابع من القلب، فلا بد أن يستقر فى القلوب التى خرجت تبحث عن الحقائق فجاءتها كسحاب مطر شديد بعد ازمه جفاف.

۴ . وهو أيضاً لم يكن خطاباً فكرياً بحتاً استهدف خطاب العقل معتمداً على النظريات والأدله والنتائج بشكل يثقل على الإنسان البسيط والعادى فهمه. كما انه لم يكن خطاباً عاطفياً مجرداً يهمه تصوير المأساه بشكل خاوٍ دون تحريك العقل البشرى، فهو إذاً خطاب فكرى عاطفى اراد ان يحقق انتصاراً فكرياً فى التعريف بأصحاب الثوره وفى التأكيد على مبدأ الولاء لأهل البيت عليهم السلام وفى التعريف بمتطلبات هذا الولاء، كما انه حقق انتصاراً عاطفياً من خلال صور الحزن التى رافقت المشهد الثقافى. ولهذا نجح الخطاب فى تحريك القلوب والعقول، ومن ثمَّ فلا بد من حركه سلوكيه واضحه تعبر عن فهم الخطاب واستيعابه وبهذا تكون مؤشرا على نجاحه فكانت الثورات القاصمه للوجود الأموى وكانت مجالس العزاء نموذجاً خالداً لهذا الفهم.

۵ . كما انه لم يكن خطاباً عادياً أبداً، لم يكن مجرد كلمات بسيطه كما هى العاده فيما تتفوه به النساء. بل كان خطاباً بليغاً بل هو قمه فى الفصاحه والمتانه الأدبيه والصياغه اللفظيه بما يوحى انه انبعث من أناس على درجه عاليه من الفهم والوعى الثقافى وهذا نجده فى كل الخطب. وقد اشاد الإمام السجاد عليه السلام بخطاب عمته زينب عليها السلام فقال لها: انت بحمد الله عالمه غير معلمه فهمه غير مفهمه.(۱)

لقد القت النساء خطبا عديده وهن فى مراحل عمريه متفاوته كما ان نسبتهن مع الشهداء كانت مختلفه. فقد كانت السيده زينب عليها السلام فى الخمسين فى حين كانت

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين، نقلاً عن الاحتجاج الطبرسى ص۱۶۶.

فاطمه بنت الحسين عليه السلام فى الثلاثين لكن مع ذلك لا نجد تفاوتاً ثقافياً أو بلاغياً واسعاً بين الخطب.

۶. وهو أيضاً لم يكن خطاب اناس قانطين او اناس استبدبهم اليأس فأرادوا تفريغ حمولتهم ابداً فقد كان نبراس الأمل معهم فى كل أدوارهم(۱). ونحن نلمس مواقع عده للأمل والتفاؤل بمستقبل يسحق بنى أميه ويُعلى من شأن آل البيت عليهم السلام ونذكر لذلك مثالاً هو خطاب السيده زينب عليها السلام مع يزيد (كد كيدك، واسع سعيك، فوالله لا تمحو ذكرنا أبداً ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها وهل رأيك الا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد).

۷ . ثم ان الخطاب أكد على قيمه الانتصار، انتصار الإمام وانتصار مبادئه وانتصار خط الولاء رغم ان الإعلام الأموى ابتهج بانتصار الخليفه على الخارجى واعلن الفرح والزينه.. وتأكيد الانتصار يبدو فى أكثر من موقع واشاره وهو اذ أكد الانتصار فانه أكد مظلوميه أهل البيت عليهم السلام واستعرض مكانتهم بشكل شد العقول إلى الكلمات فكانت ثورات.. كما تقول فاطمه بنت الحسين عليه السلام فى خطبتها: «كما قتل ولده بالأمس فى بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمه بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً فى حياته ولا عند مماته، حتى قبضه الله تعالى إليه محمود النقيبه، طيب العريكه، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فى الله سبحانه لومه لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً فى الدنيا غير حريص عليها، راغباً فى الآخره، مجاهداً لك فى سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم».(۲)

۱- راجع مواساه السيده زينب عليها السلام للإمام السجاد عليه السلام، المقرم، مقتل الحسين عليه السلام ص ۳۰۸.

۲- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۱۴.

۸ . والعجیب ان هـذا الخطاب کان شـجاعاً قویاً قال کلمته فی الوقت الذی تراجع فیه الصـنادید عن بیان آرائهم او اعلان ولائهم ونصـرتهم لمن یطلب النجـده بشـکل لاـ یتنـاسب حتی مع الاخلاق العربیه المعروفه. کان الخطاب شـجاعاً أمام المجرمین والقتله وکل واحـده منهن کانت امرأه عزلاء خاویه من کل سـلاح إلا سـلاح الإیمان والقیم امام هذه الجموع المصـفوفه أمامها الشاهره سیوفها وحرابها.. هؤلاء النساء صـببن الحمم الخطابیه البلاغیه فی وقت غفله الناس وجبنهم وتخاذلهم وتراخی قواهم فجاءت هذه الکلمات لتُحیی الشـجاعه فی نفوسـهم، ولهذا مررنا فیما تقدم من البحث علی مواقف قوه وشجاعه ظهرت فی مجالس الحاکمین وأحیاناً خارجها من أناس عزل.. لقد اکتسبوا الشجاعه بفعل الخطاب الشجاع...

۹ . ثم ان هـذا الخطاب کان منوّعاً متعـدد الوجوه والمسالک وهو یعطی لکل شـریحه ما تحتاجه من الخطاب؛ فمع الموالین لابد من وخز الضـمیر وتعزیز الشـعور بالاـثم کی یعـودوا أدراجهم محـاسبین أنفسـهم عن تقصـیرهم فی نصـره الإمـام. فی حین امـام الاعـداء کان الخطاب فاضـحاً لأفعالهم متوعداً بخیبه خططهم منذراً بأفول دولتهم وعاکساً للاعتزاز بالشـهاده والتضـحیه والتفاخر بآل البیت حسباً ونسـباً وموقفاً وهذا ان دل علی شـیء فانما یدل علی قوه الذکاء لدی هؤلاء النساء والقدره العالیه علی تشخیص ما هو مطلوب وضروری لکل حدث وواقعه.

۱۰ . ویمکن القول فی نهایه المطاف: إن هـذا الخطاب قـد نجـح فی کسـر الصوره النمطیه التی سادت آنذاک عن المرأه، وهی صوره سـلبیه لاـمرأه ضـعیفه بعیـده عن هموم المجتمع غـارقه فی ذاتها، عاجزه عن اتخاذ أی موقف له اثره فی حیاه الناس والأمه فـإذا بهـذا الإعلاـم النسـائی یقـدم لنا صوره المرأه القویه فی الله.. الحامله هموم الأمه والساعیه لتغییر الواقع عبر مجابهه الظالمین، وقدم لنا المرأه التی تعیش الولاء خطا ورساله وفکراً

ومنهجا لا مجرد تمتمات لسان .. وبهـذا نقف فی الـدور الإعلامی أمام نساء عظیمات لهن القـدره علی احتمال المصائب وابتلاع الهم وتغییر أمور الناس.. فهل تصل نساؤنا المعاصرات إلی هذه الصوره؟.

یقـول الشـیخ مطهری فی الملحمه الحسـینیه: حـول تـأثیر شخصـیه عیـال الحسـین علیه السـلام فی التبلیـغ وهو التبلیغ الـذی حمل دورین؛ دور التعریف بالإسـلام، ودور اعلاـم النـاس ووضـعهم بالصوره الصـحیحه عما کان یجری وأحـداث العمل الآخر الـذی تمکن أهـل البیت علیهم السـلام من انجـازه هو تحقیق الاتصـال الجمـاهیری والتحـدث إلی الجمهور وعلی منبر العـدو نفسه فی الوقت الـذی لم یکن مثـل ذلـک الأـمر ممکنـا قبـل الحادثه واثناءها لخوف الناس وعـدم تجرئهم علی الاتصال بآل البیت علیهم السلام بسهوله.(۱)

۵ – روایه المقتل الحسینی

کیف کان بامکاننا ان نفهم ما جری فی کربلاء إزاء التضـلیل الإعلامی وتزییف الحقائق والوقائع الـذی اعتمدته السـیاسه الأمویه ورصدت له مبالغ ضخمه وامکانیات عظیمه ؟ وکیف نعرف ما هی الأحداث التی حصلت یوم العاشر من محرم؟ .

یجیب الشهید السید محمد الصدر فی کتابه أضواء علی الثوره الحسینیه علی کل هذه التساؤلات بالقول:

ان الرواه الأوائل لحادثه الطف هم:

۱ . الأئمه المعصومون.

۲ . النسـاء من ذریه الحسـین وذریه أصـحابه، فمن الممکن ان یتحـدثن عمـا رأینه عن تلک التفاصـیل.. وتُعَـدُّ کل واحـده منهن شاهد حال حاضر للواقعه.

۱– مطهری، مرتضی: الملحمه الحسینیه، ج۳، ص ۲۳۷.

فلقد تكلمت النساء فى كل مكان وصلن اليه عما جرى فى كربلاء، وعن حكايه الرأس المرفوع على السنان والتعريف بالسبايا واستخدمن فى ذلك كل ما لديهن من قدرات كلاميه وبيانيه فى التعريف بالمقتل الحسينى وبهذا نبذ الناس الروايه الأمويه التى بثوها عن الإمام ومقتله عليه السلام وتمسكوا بروايه هؤلاء النساء فى الكشف عن أحداث الواقعه المأساويه الكبرى. فأمام التضليل الأموى كان كلام النساء هو الوحيد الذى رد على التشويه فى الحقائق وصوت النساء هو الصوت الاول الذى اخترق الحصار الاموى للاعلام.

ورغم ان البعض يحجم هذا الدور باعتبار ان النساء كن فى الخيام ولا يمكنهن سرد كل الوقائع حيث ان السيد محمد الصدر يعقب على ذلك بالقول: ومع ذلك يجب ان لا نبالغ فى ذلك لأمرين الأول ان النساء كن موجودات فى الخيام ولسن مشرفات على الواقعه ولا متابعات للحوادث ولا يعرفن أشخاص الرجال الأجانب باسمائهن؛ الثانى كانت المصلحه الدينيه والاجتماعيه تقتضى اقامه المزيد من المآتم على واقعه الطف بعد عودتهم إلى المدينه المنوره.

وأقول ربما يكون هذا صحيحاً لكنّ هناك أموراً يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار منها:

۱ . ان نساء أهل البيت كن فى الخيام ولكن النساء الاخريات خرجن إلى أرض المعركه وعدن إليها بعدما طلب الإمام الحسين منهن ذلك.

۲ . ان تتابع الشهداء كان واضحاً وكان الإمام يجمعهم فى خيمه واحده وكانت النساء تتابع الوقائع وترى عوده الجثث الطواهر.

۳ . الامام الحسين عليه السلام هو آخر من استشهد وبتتابع سقوط الشهداء كان لابد وان تكون هناك صوره اوليه عن استشهاد كل واحد، ولا ننسى ان النساء فى أى دور كانوا تابعوا خروج الاحبه ومن ثم استشهادهم.

۴ . ان النساء قد نقلن وقائع عديده جرت ربما بعد الواقعه، وليس مهماً ان تعرف الاسـماء كلها فروايات النساء مع الآخرين الذين شهـدوا الواقعه ودونوهـا مثـل حميـد بن مسـلم كـانت هى الحجر الاسـاس فى التعريف بالمقتل الحسـينى ومن ثم فأمام التضـليل الأموى كان كلام النساء هو الوحيد الذى رد على التشويه فى الحقائق. والملاحظ ان الإمام زين العابدين عليه السـلام كان أيضـاً مريضاً فى الخيمه ولكنه نقل الوقائع بعد ذلك!!

والمهم فى كل ذلك التعريف بالوقائع الاصـليه اما الجزئيات فقـد وصـلت الينا فيما بعد حتى من الذين حاربوا الامام وممن كانوا فى الجيش الاموى.

وقد اقيمت مجالس العزاء فى المدينه وسـعت من خلالها نساء الطفوف فى التعريف بما جرى فى كربلاء. ويمكن القول: إن هذا الـدور يأتى مكملًا لما قام به أهل البيت عليهم السـلام من روايتهم للمقتل الحسـينى ونحن اعتمدنا على كل ما جاءنا من روايات بعد التدقيق فيها حتى وصلنا إلى الصوره الصحيحه للمقتل الحسينى.

۶ – اعلان الحزن العام (الحداد الرسمى)

اشاره

وقـد اقيمت مجالس العزاء فى الشام ومن ثم فى كربلاء فقـدكانت هناك صور واضـحه لاظهار الحزن وبعـد العوده إلى المـدينه أيضـاً اقيمت مجالس العزاء لـذكر مصائب آل البيت عليهم السـلام، وقـد هجرت النساء الزينه والخضاب كما ورد فى الروايه عن الإمام الصادق: ما اختضـبت هاشـميه ولا ادهنت ولا أجيل مرود فى عين هاشـميه خمس حجج حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.(۱)

واقمن حرائر الرساله المأتم ولبسن السواد نائحات الليل والنهار والإمام السجاد عليه السلام يعمل لهن الطعام(۲)، انه حزن جماعى نسائى رجالى عام، وأما على بن

۱– المقرم، مقتل الحسين، ص۳۷۶.

۲– نفس المصدر السابق.

الحسين فانقطع عن الناس انحيازاً عن الفتن وتفرغاً للعباده والبكاء على أبيه ولم يزل باكياً ليله ونهاره فقال له بعض مواليه: إنی أخاف عليک أن تكون من الهالكين فقال عليه السلام: يا هذا إنما اشكو بثی وحزنی إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ان يعقوب كان نبياً فغيَّب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم أنّه حیٌّ فبكی عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن وانّی نظرت إلى أبی واخوتی وعمومتی وصحبی مقتولين حولی فكيف ينقضی حزنی، وانی لا- أذكر مصرع بنی فاطمه إلا- خنقتنی العبره وإذا نظرت إلى عماتی واخواتی ذكرت فرارَهُنَّ من خيمه إلى خيمه.(۱)

الكل اعلن الحداد وكان الحداد نفسه تحدياً للسلطه الظالمه التی أراقت دم الإمام وأصحابه فی أرض الطفوف.

وقد اتخذ الحزن مظاهر عده منها إقامه مجالس العزاء نفسها؛ إذ اقام الإمام السجاد مجالس خاصه، وقد تهيأت المدينه للحداد منذ ان جاء خبر مقتل الامام؛ إذ ارسل الوالی من يعلن عن قتل الامام يقول الراوی:

ارسل المنادی يعلن عن قتله فی ازقه المدينه فلم يسمع ذلک اليوم واعيه مثل واعيه نساء بنی هاشم فی دورهن على سيد شباب أهل الجنه.(۲)

وقال: فما بقيت فی المدينه مخدّره ولا محجّبه إلا برزن من خدورهنّ مكشوفه شعورهنّ مخمّشه وجوههنّ ضاربات خدودهنّ يدعون بالويل والثّبور فلم أر باكياً أكثر من ذلک اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه ثم قالت: أيها الناعی جدّدت حزننا بأبی عبد الله عليه السلام وخدشت منّا قروحاً لما تندمل(۳).. وقد عرضنا لموقف ابنه عقيل

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۷۷.

۲- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۳۴.

۳- ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ۳۳۴ - ۳۳۵.

فی شعرها (ماذا تقولون) کواحد من مظاهر الحداد التی سبقت وصول السبایا وفی الشام أیضاً کانت هناک مظاهر حزن [فأقمن المأتم علی الحسین سبعه أیام، وکان یجتمع عندهنّ کل یوم جماعه کثیره لا تحصی من النساء.(۱) فلم تبق هاشمیه، ولا قرشیّه إلا لبست السواد حزناً علی الحسین علیه السلام].(۲)

ولما عرج الدلیل علی کربلاء اقامت النساء مجالس نیاحه کصوره لاعلان الحداد العام, والمعروف ان المرأه أظهر للحزن من الرجل من خلال لبس السواد وترک الخضاب والبکاء ونعی الامام وهذا ما حصل فی المدینه بعد عوده السبایا ولهذا بان الحداد واضحا فی المدینه واستفادت النساء من کل هذه فی التعریف بمقتل الامام واماطه اللثام عن القناع الاموی الحاقد. وکان الامام السجاد علیه السلام یندب أباه واخوته وابناء عشیرته فی کل مناسبه حتی عد احد البکّائین الخمسه. وقد اشتد الحزن فی المدینه بعد ان ترکت الواقعه ردود فعل واضحه مما جعل الحاکم الاموی یخشی الفتنه فأمر باخراج السیده زینب عن المدینه بوصفها المسبب عن التعریف باحداث الطفوف وبشکل مکثف وصریح وهذا الابعاد والنفی للسیده کان محاوله للسیطره علی زمام الامور.

السبی.. المأساه الکبری

... وسیق موکب الأسری والسبایا فکان أبشع موکب شهده التاریخ منذ کان.. بهذه الکلمات تصف الکاتبه (بنت الشاطی) موکب السبایا.. والحق انه أیضاً افجع موکب شهده التاریخ. ویبدأ سبی النساء منذ استشهاد الإمام علیه السلام حیث هجم الأعداء علی معسکر الإمام واحرقوا الخیام واعتقلوا کل من کان فیها..

۱- نفس المهموم: ۴۵۱.

۲- الآصفی، الخطاب الحسینی، ص ۱۱۵.

یقول الراوی: لما قتل أبو عبد الله الحسین علیه السلام مال الناس علی ثقله ومتاعه وانتهبوا ما فی الخیام، وأضرموا النار فیها وتسابق القوم علی سلب حرائر الرسول صلی الله علیه وآله وسلم ففررن بنات الزهراء علیها السلام حواسر مسلبات باکیات، وان المرأه لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من اصبعها وقرطها من اذنها والخلخال من رجلها. فقد أخذ رجل قرطین لأم کلثوم وخرم اذنها، وجاء آخر إلی فاطمه ابنه الحسین فانتزع خلخالها وهو یبکی قالت له: مالک؟ فقال: کیف لا أبکی وأنا أسلب ابنه رسول الله قالت له: دعنی، قال: أخاف أن یأخذه غیری.

ورأت رجلا یسوق النساء بکعب رمحه وهن یلذن بعضهن ببعض وقد اخذ ما علیهن من اخمره واسوره ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشیاً علیها ولما افاقت رأت عمتها أم کلثوم عند رأسها تبکی.

أُزْعِجَت من خدرها حاسره

کالقطا رُوِّع من بعد هجود

تندب الصون الذی قد فقدت

صبرها فیه إلی خیر فقید(۱)

وبعد الزوال ارتحل إلی الکوفه ومعه نساء الحسین وصبیته وجواریه وعیالات الأصحاب وکنّ عشرین امرأه وسیروهنَّ علی أقتاب الجمال بغیر وطاء کما یساق سبی الترک والروم وهن ودائع خیر الأنبیاء ومعهن السجاد علی بن الحسین وعمره ثلاث وعشرون سنه، وهو علی بعیر ظالع بغیر وطاء وقد أنهکته العله ومعه ولده الباقر وله سنتان وشهور.(۲)

وأتاهن زجر بن قیس وصاح بهن فلم یقمن، فأخذ یضربهن بالسوط واجتمع علیهن الناس حتی ارکبوهن علی الجمال.(۳)

۱- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۰۰ - ۳۰۱.
۲- نفس المصدر السابق، ص ۳۰۵.
۳- نفس المصدر ۳۰۹.

وتسير قافله السبايا فى طريق طويل يبتدئ من كربلاء إلى الكوفه ثم إلى الشام ثم العوده من الشام إلى كربلاء ثم إلى المدينه فى مسيره طويله قدرها أصحاب المقاتل بما يقارب الشهرين!!

لقد كانت رحله طويله، قاسيه، صعبه، محزنه، مفجعه وثقيله بكل ما فيها من ضغوطات نفسيه وبدنيه واجتماعيه لكنها كانت حقاً عدل القتل والتمثيل.(۱)

نقل عن ابى الجوزى عن جده انه قال: ليس العجب ان يقتل ابن زياد حسيناً وانما العجب كل العجب ان يضرب يزيد ثناياه بالقضيب ويحمل نساءه سبايا على اقتاب الجمال.(۲)

وإلى هذه الصوره يشير مغنيه فى كتابه قائلا: لقد رأى الناس فى السبايا من الفجيعه أكثر مما رأوا فى قتل الحسين وهذا بعينه ما أراده الحسين من الخروج بالنساء والصبيان.(۳)

وإلى هذه الحال يشير البعض الى ان فاجعه كربلاء لها عدلان رئيسان يكمل أحدهما الآخر عدل القتل والتمثيل والهتك لحرمه هذه الصفوه من أبناء الأمه وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وصحبه الكرام.

وعدل السبى والأسر والهتك والاستهتار بحرمات هذه النسوه اللائى يمثلن حرم رسول الله وأهل بيته.(۴)

۱- السيد محمد باقر الحكيم، دور المرأه فى النهضه الحسينيه.

۲- يراجع محمد جواد مغنيه، الحسين وبطله كربلاء,ص ۳۵.

۳- نفس المصدر.

۴- الشهيد السيد محمد باقر الحكيم: دور المرأه فى النهضه الحسينيه، ص ۶۴.

وهـذا هو الجـانب الأول فى هـذه المأساه اما الجانب الثانى منها فهو ان كل أدوار نساء أهل البيت عليهم السـلام ظهرت فى هـذه المرحله، فضـلاً عن الدور الإعلامى الكبير والعظيم والخطير، فلولا تنقل ركب السـبايا من بلد الى بلد لما استطاعت النساء تصدير الحقائق فى الامصار والبلـدان التى وصـلوا إليها. هـذا الامر يضاف إلى ما اظهرته النساء من مرونه عاليه فى التكيف مع الأحـداث فحولت النسـاء حـاله السبى من حـاله شـلل اجتماعى وضـغط نفسـى فادح إلى حاله عطاء اعلامى ضـخم وإلى حركه ثوريه فعاله استطاعت ان تزيح النقاب عن الوجه الأموى المقيت.

وعاده حينما تحـدث الحروب فى أى مكان فان النساء والأطفال هما أكثر الشـرائح تضـرراً من انعكاسات الحرب ورغم التفاوت الموجود بين الحروب المعاصره والسابقه من حيث قوه الفتك وسعه الانتشار والتقنيات إلى غير ذلك لكن تبقى النساء والأطفال شرائـح سـهله التصدع إزاء المؤثرات الخارجيه القاسـيه، وعاده ما تعيش هذه الشـرائح انعكاسات نفسـيه قاسـيه تظهر واضـحه فى ارتفاع نسبه الخوف والتوتر وزعزعه الأمن النفسى والشعور بالاحباط والاكتئاب والشك بالقضيه وبقدسيه الثوره أو المعركه التى خاض غمارها.

وتنتاب النساء مشاعر اقسى خاصه إذا كانت مع الأولاد اوإذا كان الأولاد ضمن الأسرى أو تعرضوا لحوادث حيث يسيطر الخوف أكـثر وتزداد المحاولاـت السـاعيه للحفـاظ على الموجودين الأحيـاء ممـا يضـاعف من نسـبه التوترات والقلق والهواجس ويزيد الارباك.

مضافاً إلى ذلك ان النساء تتأثر بمشاهـد العنف وبخاصه عنف الحروب بشـكل أكبر وأكثر من الرجال بسـبب البناء الفزيولوجى، ولأن ذاكره النساء تمتد زمناً أطول مع الحفاظ على امتيازها بالقدره على الاحتفاظ بالجزئيات الصغيره فان عامل التذكر يتخذ

له مـدی أطول مما یعنی معایشه الصوره المؤلمه للوقائع التی حصـلت فی الحرب ویزداد الحال تأثراً إذا ازدادت مده المعایشه مع هذه المشاهد المرعبه. ورغم ان الإیمان بقدسـیه المعرکه یخفف الالم لکن یبقی الإنسان بشـراً ذا عواطف ومشاعر جیاشه ویبقی یتذکر ویبکی ویذرف الدمع رغم حرصه علی ان لا یوحی للآخرین بانه یائس أو ذلیل.

علی ضوء هذه الدراسه المبسـطه لانعکاسات الحروب علی النساء یمکن ان نفهم وضع السـبایا بشـکل أعمق فمن ناحیه ان هؤلاء النساء کن قد عشن کل مظاهر القسوه والعنف التی مورست ضد أهل البیت علیهم السلام فقد رأین الأحبه صرعی مجزّرین علی أرض المعرکه, شاهدوا عطش العیال، ذبح الرضیع، وحصار القوم وقتل الانصار ومقتل علی الأکبر والعباس بشکل مأساوی مؤلم للغایه اضافه إلی قطع الرؤوس وتعلیقها علی الرماح أمام موکب السـبایا طوال المسیره الطویله. ولنا ان نتصور أحوالهن عندما مرّوا بهن علی مصـارع الشـهداء فی مسـیرهم إلی ابن زیـاد وکیـف أکـل الحزن قلوبهم وتعـالت اسـتغاثاتهم وهم فی کـل ذلـک بین الرؤوس والـدمع والأـلم والجـوع والعطش تقـودهم زمره ابن زیـاد وعمر بن سـعد وشـمر، أی انهن کن یرینَ القتله الـذین کـانوا یرقصون علی اشـلاء الضـحایا الذین کانوا من سـلاله بیت النبوه وفیهم سید شباب أهل الجنه!. وهم یظهرون الشماته والفرح أملاً وانتظاراً للجائزه الکبری التی سیحصـلون علیها تقـدیرا لهم لقیامهم بکل تلک الافعال الشـنیعه!. یُظهرون کل ذلک أمام مجموعه نساء اسـیرات ثکالی فقـدن الأحبه فی وقت واحد وبصوره تقرح القلوب وسـرن مقهورات بل حتی لم یتمکنّ من دفنهم!. ولنا ان نتصور أحوال النساء هـذه والواقع اخطر من الکلمات المکتوبه. ولم یکن السـفر من الکوفه الی الشام بالسـهل الیسـیر، فقـد عرف الطریق الوعوره والمصاعب، ولم یکد السائر فیه یبلغ الشام حتی یقطع من عمره أکثر من شهر علی الابل الصابره المجده.

ولکن ابن زیاد أراد أن یکون الطریق بأقل بکثیر من هذه المده لیضرب عصفورین

بحجر واحـد: أولاً – الامعـان فى اجهـاد السـبايا، واذلالـهم، وثانيـاً تفادياً لكل الاحتمالات التى تنشأ من تنقل الموكب – حسب طبيعته فى القرى والمدن التى يمر بها، وخشيه ردود الفعل فيها، قال الراوى:

«لقد كان مسـيره الطريق شهراً للابل ذوات الصبر والقوه، ولكن الحداه الغلاظ ارهقوا قدرتها، وأوجعوا صبرها، فقطعت الإبل فى عشره أيام أو دونها ما كان عليها أن تقطعه فى شهر أو أكثر، وكأنما سالت امام الإبل عثرات الطريق لتحط عن قريب بعض أوزار القوم، ولولا أنهـا كـانت تحمـل عفافاً وطهراً ليس مثله فى الأرض عفـاف وطهر، لألقت بأحمالهـا حين كانت تفزعها أصوات الحداه، وكأنها حست بما تحمل، وحنت لرنه الحزن من فوقها فسارت وأسـرعت، كأنها لم تسـمع من قبل برنه حزن كما سـمعت فى هذا البكاء.

وسير بالسبايا فى اعتساف وارهاق ليل نهار، وسير بهن من خلف الرؤوس عما كان يسار بالسبايا من الحروب، وكان سير شمر بن ذى الجوشن أميراً لهـذا الركب سـبباً فى أن يصوم أهـل البيت عن الكلام، فما نبست منهن نابسه بكلمه ولا أشارت واحـده منهن باشاره، وكان إذا حدث أحد نفسه بالكلام أو علا صوته بالبكاء قرعه الفرسان بالرماح!.

وجعـل ابن ذى الجوشن كلمـا مر ببلـد أرسـل إليه قبل أن يـدخله أنه موكب رجل خارجى خرج على أمير المؤمنين، فإذا جازت الكذبه على القوم مرّ بالبلد، وإذا لم تجز الكذبه، أو خيف البلد مال منه، ولم يعرج عليه.

وطالمـا مـال الركب عن الطريق التى تسـلكها الإبل، وخاصه البريه والرمال خوفاً من غضب الناس إذا علموا فثاروا، فإذا خرج ابن ذى الجوشن من بلد وقريه ليلاً أصبح يتفقد أثواب الركب، فلعل أهل البلد جاءوا بشىء زائد فيأخذه منهم».(۱)

۱– محمد بحر العلوم، فى رحاب السيده زينب، السيره والتاريخ (۳)، ص ۱۷۳ – ۱۷۵.

اننا الآن مع كل هذه الطرق المعبده لنشعر بالتعب فى السفر البرى فى حافلات مكيفه ومريحه فكيف كان السفر فى ذاك الزمان؟ خصوصا وان شمرا لعنه الله كان لا يسير ضمن الطرق الرئيسه خوف الاذى الذى يتوقع ان يتعرضوا له! معنى هذا انهم ساروا فى طرق فرعيه صعبه ومرهقه للغايه.. ولنا ان نتصور اوضاع الركب الحسينى وبخاصه النساء الثكالى المرهقات.. كان من الممكن ان يصبن بانهيار أو يتملكهن خوف أو رعب لكن الأمر كان عكس ذلك تماماً فقد ابدين قدره عظيمه فى اداء الدور الاعلامى بشكل يدهش السابقين واللاحقين.. فها هى العقيله زينب عليها السلام ما ان تدخل الكوفه حتى تهاجم أهلها بخطابها العظيم وتصب عليهم حمماً من الكلمات الضاريه التى أوجعتهم فانتبهوا. بل وتجعل كل الحاضرين يغرقون فى بحر الدموع والآهات والحسرات ثم جاءت باقى الخطب كذلك. ان هذا يعكس لنا أموراً منها صلابه هؤلاء النساء وثباتهن وهذا يعود بالدرجه الأولى إلى ثقتهن بالقضيه التى جئن من أجلها وإلى نمط التربيه وإلى قدرتهن على تحمل الشدائد التى أبت الجبال حملها وإلى إيمانهن العظيم بالله تعالى والذى قدّر الامور.

ومن البديهى ان قول الإمام الحسين عليه السلام (شاء الله ان يراهن سبايا) كان قد رسم لهن صوره ذهنيه عما ينتظرهن من أدوار قادمه وخطوب جسام. ويرى العلماء المعاصرون ان من عوامل نجاح الشخصيه هو توقعها لحوادث مستقبليه وحوادث صعبه وثقيله وتهيئه الذات للاستعداد لمواقف كهذه. وهذا النمط من التفكير يحرر من المسير الروتينى للحياه ويكسب الفرد قوه ازاء مواقف عارضه ويعلمه ادوات الصلابه والثبات. بمعنى آخر إنه يمنحه سرعه التكيف ازاء الأحداث المفاجئه، فكيف إذا كانت هى أحداثاً متوقعه ومنتظره ودار الكلام عنها منذ أمد بعيد؟.

ومن هنا كان للسبى انعكاسات وأبعاد إيجابيه كثيره على واقع الثوره. فلقدكان

هـدف السـلطه الأمويه من سبی النساء هو إرسال رساله إلی کل الـذين يفکرون فی الثوره علی النظام أو الذين لا يدينون بالولاء للحکم الأـموی مفادهـا: اننـا لا نرحم أياً کان حتی لو کان الخارج علينا من أهل بيت الرسول صـلی الله عليه وآله وسـلم أو سـيد شبـاب أهـل الجنه.. وکـان الأمويون يخططون لرسم صوره مشوهه لهؤلاء السـبايا فی صوره الـذل والانکسار وطلب الرحمه لکن الأمر أصـبح عکس ذلک تماماً فهـذه کلمات النساء تتوعـد الحاکم الظالم وتعاتب الناس (بقسوه) علی تخلفهم عن النصـره ومن ثم فمـا خطـط له الإمـام عليه السـلام من اصـطحاب النسـاء معه فی المعرکه کان صـحيحاً وحکيماً، لأنه أسـهم فی عرض قداسـه الفکره التی انطلق منهـا الإمـام الحسـين عليه السـلام وهـذه بـذاتها کـانت رسـاله معـاکسه للرساله الأمويه وکانت أقوی تأثيراً لما اصطحب المشهد العام من مناظر مؤثره وصور مؤلمه.

وکـان الإعلاـم الأـموی قـد أعلن فی کـل مکـان قبل وصول السـبايا إليه ان هؤلاء سـبايا الترک والـديلم. ولکن النساء قلبن هـذه الدعايه وغيرّن الحال لما رأی الناس مظاهر الحشـمه والوقار عليهن فعلموا ان هؤلاء النساء من أهل بيت النبوه ولنا ان ندرس هذه الشواهد:

جاء فی المقتل:أشـرفت امرأه من الکوفيّات فقالت: من أی الأسارى أنتنّ؟ فقلن نحن أساری آل محمد صلی الله عليه وآله وسلم فنزلت المرأه من سطحها فجمعت لهن ملاء، وازراً ومقانع واعطتهن فتغطّين.

ولمـا همت السـيده زينب بإلقاء خطبتها (أومأت زينب عليها السـلام إلی ذلک الجمع المتراکم فهـدأوا حتی کأنَّ علی رؤوسـهم الطير وليس فی وسع العـدد الکثير ان يسـکن ذلک اللغط أو يردَّ تلک الضوضاء لولا الهيبه الإلهيه والبهاء المحمـدی الـذی جلّل «عقيله آل محمد صلی الله عليه وآله وسلم».

فيقول الراوى: لما اومأت زينب ابنه على عليه السـلام إلى الناس فسـكنت الأنفاس والأجراس فعنـدما اندفعت بخطابها مع طمأنينه نفس وثبات جأش وشجاعه حيدريه.(۱)

وبعباره اخرى (جاء أهل الكوفه ليتفرجوا على أسرى الخوارج فى مدينه على وإذا بصوت على ينطلق هادراً بين الناس فانكشفت الخدعه وبدأ الناس بالبكاء والعويل).

جاء فى المقتل: وفى أول يوم من صفر دخلوا دمشق فاوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم فى فرح وسرور ودنا رجل من «سكينه» وقال: من أى السبايا أنتم؟ قالت:

نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ودنا شيخ من السجاد عليه السلام وقال له: الحمد لله الذى اهلككم وأمكن الأمير منكم!. فقال عليه السلام له:

يا شيخ أقرأت القرآن؟

قال: بلى، قال عليه السلام:

أقرأت:

((قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبَى)).

وقرأت قوله تعالى:

((وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)).

وقوله تعالى:

((وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى))؟

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۱۰ - ۳۱۱.

قال الشیخ: نعم قرأت ذلک. فقال علیه السلام:

نحن والله القربی فی هذه الآیات.

ثم قال له الإمام:

اقرأت قوله تعالی:

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))؟

قال: بلی. فقال علیه السلام:

نحن أهل البیت الذین خصهم الله بالتطهیر.

قال الشیخ: بالله علیک انتم هم فقال علیه السلام:

وحق جدنا رسول الله انا لنحن هم من غیر شک.

فوقع الشیخ علی قدمیه یقبلهما ویقول أبرأ إلی الله ممن قتلکم وتاب علی ید الإمام مما فرط فی القول معه وبلغ یزید فعل الشیخ وقوله فأمر بقتله.(۱)

لقد نشر موکب السبایا فکر الثوره فی کل مکان وصلوا إلیه بالخطب المجلله وبالکشف عن وقائع المعرکه والأحداث الدامیه التی حصلت وکان هذا بحق سبقاً إعلامیاً ونشراً خبریاً وبثاً واسعاً إلی أماکن متعدده حیث کانوا مضطرین إلی المرور بالقری والبلدان؛ لأن الرحله طویله والمؤن لا تکفی ووسائل النقل کالبغال والحمیر لا تتحمل المشی الطویل وهذا الانتقال من بلد إلی بلد أسهم فی نشر الواقعه. وهذا ما اکده المؤرخون من هیاج الوضع فی الشام والتوصیه بإخراج أهل البیت علیهم السلام منه بسرعه.

وتبعا لذلک فقد ازدادت نسبه التفاعل الجماهیری مع هذه القافله المتعبه التی فیها أطفال جیاع صفر الوجوه ونساء باکیات نادبات مرهقات وعلیل مریض یجر نفسه جراً

۱- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۴۹.

. وكـان منظر السـبايا المؤلم قـد عزز من مظلوميه أهل البيت عليهم السـلام وزاد من حجم الجنايه الأمويه عليهم أمام الناس فكل امرئ طالع موكب السبايا اعتصره الألم والحزن على ما يرى وحينما يعلم ان هؤلاء هم حرائر بيت الوحى والنبوه يصاب بالاحتراق والانكسار الأمر الذى أوجد كمّين عاليين: كماً عالياً من المظلوميه المنتشـره أمام الناس وكماً عالياً من بيان وعرض للوحشـيه من قبـل يزيـد وبقيه أزلامه.. وهـذا التفاعل زاد من مساحه التواصل النفسـى. فهـذه الصوره المؤلمه زادت فى تهييـج المشاعر وزياده النقمه على الحكم الأموى ولهـذا لما خرج الركب من الكوفه أخذ يتعمد عدم دخول المدن الآهله بالناس لكى يكون بمنأى عن استتباعات الحال.

لقـد خرجت هؤلاـء النسـاء بـإرادتهن مع الحسـين عليه السـلام وخرجن ناصـرات للإمـام داعمـات له فى ثورته الكـبرى فى وقت تقاعست فيه الأمه والفطاحل من الرجال عن نصره الامام عليه السلام!!..

وهؤلاـء النسـاء أسـهمن فى تغيير الصوره النمطيه التى كـانت عليها المرأه. فالمرأه المسـلمه هنا تبـدو مسؤوله عن دينها ورسالتها ومكلفه بالـدفاع عن المقـدسات وقـد تقـاعس الرجـال عن نصـره الإمام وقلّ الناصـرون منهم. ولكن هـذا الأمر لم يغير من عزائم النسـاء أو يضـعف هممهن ابـداً... ورغم ان نسـاء أهـل البيت عليهم السـلام هن النموذج الأكمـل للعفـاف والستر لكنهن خرجن لنصره الدين حينما تطلب الأمر ذلك.. فلقد كانت هذه رساله المرأه والرجل ومسؤوليتهما على حد سواء.

على هـذا يمكن القول: إن قافله السـبايا هى التى أسـهمت فى نشـر فكر الثوره وتعزيز الشـعور بالأثم لدى الناس، ومن ثم مهدت الطريق لاشتعال الثورات بعد ذلك ومن ثم سقوط الدوله الأمويه.

لقد نجحت السبايا فى تغيير حاله السبى من حاله ألم إلى حاله انطلاق ومن حاله

انین فردی إلی انین جماهیری ومن حاله مشاعر ذاتیه محصوره إلی مشاعر مجتمعیه عامه واضحه فی بکاء الناس وتطلعهم للثأر والتوبه عما سلف.

وبهذا لم یذهب دم الحسین علیه السلام هدراً.. لقد کان النظام الأموی یرید ابعاد الثوره عن المدن الکبیره (الکوفه) وحصرها فی صحراء کربلاء لکن موکب السبایا نقل وهج الثوره إلی کل المدن والبلدان التی نزلوا فیها وبهذا استنزلوا حقد الناس وغضبهم علی ابن زیاد ویزید وعلی الامویین قاطبه. ولأن الإمام الحسین رسم الخط الفیصل فی حیاه عزیزه لا ذل فیها فقد استرخص الناس ذواتهم وانطلقوا فی ثورات کثیره..

مطهری: تاریخ کربلاء انما احیاه وخلده الاسری ای ان الاسری هم الذین تمکنوا من المحافظه علی هذا التاریخ وان جهاز الحکم الاموی قد ارتکب خطأ بالغاًفی عملیه اسر أهل البیت والانتقال بهم من ساحه المعرکه.(۱)

وفی نهایه هذا المقال احببت ان انقل رأیاً اعجبنی للسید محمد باقر الحکیم رحمه الله فی کتابه دور المرأه فی النهضه الحسینیه حیث یقول: فنحن نجد فی الفقه الإسلامی حکماً یتعلق بالبغاه - وهذا تعبیر قرآنی والبغی من یبغی علی الحاکم العادل - وهو أن الباغی یجوز قتله، ولکن تبقی عیالات الباغی إذا کان مسلماً فی مأمن من الأذی فلا یجوز أن تؤسر، أو تصبح غنائمَ، وبهذا تفترق نساء البغاه وأطفالهم عن نساء الکفار وأطفالهم، فإن عیالاتهم یتحولون إلی سبایا، ورجالهم یتحوّلون إلی أساری، وأموالهم تتحول إلی غنیمه.

وأول من بیّن هذا الفرق فی الحکم هو: (الإمام علی علیه السلام، وذلک فی أعقاب حرب الجمل، عندما طلب بعض المقاتلین منه أن یقسم الغنائم التی استولوا علیها بعد المعرکه بینهم، فرفض الإمام علی علیه السلام ذلک، وکان جوابه قویاً

۱- الملحمه الحسینیه، مطهری، ص۱۸۱.

وشديـداً، بعـد أن نهـاهم ونهرهم عنـدما ألحوا عليه، فأجـابهم: من يقبـل منكم أن تكون غنيمته أمه عائشه – باعتبار أن عائشه أم المؤمنين كانت من جمله الأسارى – فوجدوا أن الإجابه صحيحه، فمن يقبل أن تكون غنيمته أمه، حيث قال: «..أما علمت أنّ دار الحرب يحـل ما فيها وأنّ دار الهجره يحرم ما فيها ألا فمَهلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصـدّقونى وأكثرتم علىّ – وذلك أنّه تكلّم فى هـذا غير واحـد – فـأيّكم يأخـذ عائشه بسـهمه؟!» وفهموا أن الحكم الشـرعى بالنسـبه إلى بغاه المسـلمين، يختلف عن الحكم الشرعى بالنسبه إلى الكفار. والمسلمون بكل مذاهبهم وطوائفهم يلتزمون بهذه الفتوى، ويقبلون هذا الحكم الشرعى.

ولكن فى كربلاـء نجـد الأـمويين يسـلكون سـلوكاً آخر، حيث قـاموا بسبى حرم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وأسـرهنّ!! وعيالات أصحاب الحسين عليه السلام وأولاده، كما قاموا بنهب أموالهم، وعدّوها غنائم حرب!!.(۱)

أمير المؤمنين عليه السـلام زار السـيده عائشه بعد وقعه الجمل وودعها أكرم وداع وسار فى ركابها أميالاً وارسل معها من يخدمها ويحف بها.(۲)

وقد بقيت ذاكره السبى المؤلم عند أهل البيت عليهم السلام فهذا الإمام السجاد عليه السلام يقول فى وصف ذلك المشهد:

«والله مـا نظرت إلى عمّـاتى وأخواتى إلا وخنقتنى العبره، وتـذكّرت فرارهن يوم الطف من خيمه إلى خيمه، ومن خباء إلى خباء، ومنادى القوم ينادى: احرقوا بيوت الظالمين».(۳)

۱– محمد باقر الحكيم، دور المرأه فى النهضه الحسينيه، ص ۷۳ – ۷۵.

۲– محمد الصدر: أخلاق أهل البيت، ص ۳۰۹، نقلاً عن عبقريه الإمام للعقاد.

۳– حياه الإمام الحسين ۳:۲۹۹.

الفصل الثالث: نساء الطفوف فی دائره الضوء

اشاره

الموازنه بين أدوار الجنسين

اشاره

نساء الطفوف كن شرائح متنوعه من المجتمع النسائى فيهن العالمه المعلمه. وبينهن من لم تحظ إلا بالحد الأدنى من حفظ بعض السور القرآنيه. وفيهن الكبيره فى السن والفتاه الشابه والطفله الصغيره ومن كانت ذات حسب رفيع وضمن اعلى البيوتات ومن كانت من اسره عاديه جداً. وفيهن من اسلمت توا وبينهن من شبعت حبا وحنانا فى حجر جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفيهن الزوجه والأخت والبنت والأم والبعيده كل البعد عن هذه الانساب.

ومع تعدد الشرائح النسويه من حيث العمر والصله والقرابه والوعى والفهم كان تعدد الأدوار واضحاً ومفيداً. وكلٌ قد أدى دوره حسب ما وصل إليه وعيه وحسب قدرته وحسب ما اتيح له. ولهذا نجد انه كانت هناك أدوار ثقيله ومهام جسيمه كأدوار السيده زينب عليها السلام وهناك أدوار اخف ثقلا فى الصوره لكنها كانت ذات ثقل واضح فى المعركه المصيريه.. وهذا التنوع أسهم فى تعريف كل شريحه بدورها وبمهامها وبتوقعات الزمن وبما تستطيع ان تقدمه المرأه من اسهامات لتثبيت عقيده الولاء والتمهيد لانتصار الاطروحه المهدويه العالميه مستقبلا.

وتبعاً لهذا كان تنوع الأساليب التى اتبعتها النساء فى التعبير عن الولاء والمظلوميه واضحاً. وهذا التنوع أسهم فى تعريفنا بمساحات العمل النسوى المتعدد الادوار والمسؤوليات والاساليب واعطى للمرأه رساله خالده عما تستطيع القيام به.

لقد کانت واقعه کربلاء ثوره مجتمع صغیر متعدد الشرائح بکل ما فیه من رجال ونساء، شیباً وشباباً، کهولاً وصبیه، فتیات وأرامل امام قیاده المجتمع الکبیر ولکن أحد أهم المعالم الممیزه للأدوار عموماً هو ان کلا الجنسین (الرجال والنساء) انطلقوا من هویاتهم الاصلیه ولم یتجاوز أحد علی هویته الخاصه. وبمعنی آخر أکثر تفصیلاً ان النساء انطلقن من خلال أدوارهن محافظات علی هویتهن الانثویه وکذلک الرجال. فالإمام علیه السلام اصطحب اخوته (العباس وعبد الله وجعفر وعثمان..) لیقاتلوا ویحملوا السیوف وینزلوا لیوثاً إلی میادین الوغی فی حین حمل اخواته معه لیکن مقاتلات ولکن بالکلمه فسیوفهن کانت کلماتهن التی تحولت إلی نبال ورماح حاده استقرت فی الصدر الأموی فمزقته. ولم تخرج النساء مقاتلات ولم یسمح الإمام لهن بذلک.

قال الراوی: واخذت زوجته ام وهب بنت عبد الله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له: فداک ابی وأمی قاتل دون الطیبین ذریه محمد صلی الله علیه وآله وسلم. فأراد ان یردها إلی الخیمه فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن ادعک دون أن أموت معک فناداها الحسین: جزیتم عن أهل بیت نبیکم خیراً ارجعی إلی الخیمه فانه لیس علی النساء قتال فرجعت.(۱)

ولم تطالب النساء بان تخرج إلی ساحات القتال بل علی العکس من ذلک فأوامر الإمام کانت عدم تجاوز باب الخیمه حتی استشهاده واطاعت النساء الأوامر ویظهر ذلک من مواقف عده فقد ودعت السیده زینب علیها السلام أخاها علیه السلام الوداع الثانی وجاءت إلیه بالجواد ولکنها عادت ادراجها إلی المخیم ولیس فی ذلک أی غضاضه أو انتقاص بل أدت السیده کل أدوارها کامله. واستشهد العباس علیه السلام فلم یأذن

۱- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۲۳۸، نقلاً عن الطبری ج۶، ص ۲۴۵، وابن الأثیر ج۴، ص۳۷.

الإمام لأحد بالذهاب إلى جسده الذی بقی فی موضع استشهاده.

وحینما نـدرس أدوار الرجال نراها تـدور بالدرجه الأولی حول النصـره والقتال فی حین کانت أدوار النساء التبلیغ والإعلام وبهذا نجح کلا الفریقین فی تأدیه المطلوب. ان واحداً من أهم مشـکلاتنا المعاصره هی مشکله الدور. فلقد عاشت المرأه صراعاً طویلًا ضـد أدوارها التقلیـدیه (کالأمومه) ولکن الحال أدی إلی انتکاسه کبری لتخلی المرأه عن واحـدٍ من أدوارها الاساسـیه والاصـلیه والقـدیمه. (فالمرأه الجدیـده) تنظر إلی هـذه الأدوار علی انها انتقاص لحریه المرأه فی جسدها وفی حیاتها، وتطالب بأدوار أکبر کدورها فی المناجم وفی غسل الشوارع! وهذا یعود إلی ما روّج له الفکر المعاصـر من انتقاص حاد للأنوثه بکل أدوارها وتعظیم للـذکوره بکل أدوارها واعمالها وتصویر الرجل بانه الکمال المطلق فانـدفعت المرأه تبذل الکثیر وتضـحی بالکثیر کی تصل إلی النجاح فی تصورها علی حساب وأد الانوثه فی ذاتها بیدها هی!.

فإذا اردنا ان نفهم أنفسـنا وما هو المطلوب منا فلنفکر فی شخوصنا.. من نحن؟ والی أین؟ وماذا نستطیع ان نفعله؟.. علینا ان نتقبل ذواتنا کما خلقها الله ولا نعیش اوهاماً زائله وسرابا خداعا.

العنف السیاسی ضد نساء الطفوف

یعـدّ العنف السیاسـی اخطر انواع العنف الممارس ضد المرأه وربما یعود الی المیزات الخاصه التی یتصف بها من الشده والسـعه والتنوع والامتـداد والعوامـل النفسـیه الضـاغطه. یعرّف العنف عـاده بـانه احـد انمـاط السـلوک العـدوانی تجـاه المرأه ویتمثل فی اسـتخدام القوه والقهر والتهدید لالحاق الاذی والضـرر بالاشخاص والممتلکات ومن ثم فهو کل ممارسه تعتمد القوه وتستهدف الحاق الاذی النفسـی والاجتماعی والبدنی بالمرأه سواء بصوره مباشـره أو غیر مباشـره. أما العنف السیاسـی فهو یختلف عن باقی أنواع العنف؛ إذ إنه

يرتبط بجهه سياسيه وهى التى تتولى ممارسه العنف باشكاله المختلفه ضد المرأه. وقد تكون هذه الجهه متمثله فى النظام الحكومى الذى يلجأ الى سن القوانين التى تسبغ الشرعيه على صور العنف ضد المرأه كالقانون الذى يعفى القاتل فى جريمه شرف من القصاص أو يمنع المرأه المتزوجه من العمل أو يمنع الحجاب وهذا شكل واحد يتميز باسباغ الوضع القانونى على الاحوال السيئه والمضطهِده للمرأه. أو فى القوانين التى سنّها الأمويون لمحاربه أهل البيت عليهم السلام والموالين لهم والتى شملت النساء والرجال دون فرق. ويكون القمع السياسى بأشكاله المختلفه من السجن والتهجير والطرد من العمل ومصادره الاموال والاقامه الجبريه أيضاً من مظاهر العنف السياسى ضد المرأه والتى تأخذ طابع تأييد ودعم ورعايه من حكومه البلد، الامر الذى يفرز صفه المقاومه احياناً بشكل المطالبه بالحقوق أو التضحيه من اجل التغيير واستبدال النظام.

لقد تعرضت نساء الطفوف لأقسى اشكال العنف السياسى – والذى كان بشكل مباشر – متخذا صورا عده منها الضرب، الشتم، حمل الرؤوس أمام النساء، قطع الماء، حرق الخيام، قتل الصغار، كشف الوجوه، السبى، قتل الأحبه والتمثيل بهم.. الى غير ذلك. وقد سبق ذلك صور أخرى لهذا العنف فى اقصاء اهل البيت عن الحياه العامه وفى مطارده انصارهم والتنكيل بهم وفى سن القوانين المحاربه لاهل البيت عليهم السلام ابتداءً من سب أمير المؤمنين على المنابر وهو أول مسلم يسب هكذا وبعلانيه. وقد كانت مده العنف طويله أيضاً فقد سبق الواقعه واستمر بعدها وقد صاحب هذا العنف حرباً نفسيه قاسيه كانت تستهدف معنويات أهل البيت عليهم السلام بالدرجه الأولى عبر وسائل عده منها تشويه صوره الثوره والإمام والتعريف بانه خارجى ومعامله النساء كأنهن سبايا من الكفار – ولسن من أهل بيت النبوه – اضافه إلى مرافقه الأعداء والقتله للعتره الطاهره. والتظاهر بالقوه والغلبه عبر آليات كرفع الرؤوس أمام النساء ووضع رأس الحسين عليه السلام فى الطشت واعلان الفرح والزينه إلى غير ذلك.

والحرب النفسيه امتدت مع السبايا الى الأماكن والبلدان التى وصلوها وهم يرون فرح أعدائهم وعبثهم ولهوهم، ولكن معنويات النساء العاليه والدعم الاجتماعى والنفسى الذى كان بينهن وتوكيل الأمور إلى الله قلب الحرب النفسيه إلى مسار مضاد لما خطط له أعداؤهم ألا وهو إزاحه عقده الخوف والتعريف بمظلوميه آل البيت عليهم السلام.

التعامل مع الضغوط

وهذا كله قد ضاعف من نسبه الضغوطات التى عاشتها هؤلاء النساء بالاخص عقيله بنى هاشم السيده زينب عليها السلام، فقد عاشت السيده مريم عليها السلام ضغطاً اجتماعياً واضحاً ظهر فى ترددها من اعلان مولد المسيح عليه السلام على الملأ وعبرّت عن الحال بالقول (يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فى حين عاشت السيده آسيه عليها السلام ضغطاً سياسياً واضحاً ظهر فى طغيان فرعون ومحاولته فى اجبارها على التخلى عن عقيده التوحيد بشتى أنواع العذاب الذى صبه عليها. فى حين عاشت هؤلاء النساء ضغوطاً واسعه اجتماعيه وسياسيه ونفسيه وثقافيه أيضاً. بانت من خلال معاناه الأطفال فى قطع الماء وفى إباده الأحبه بابشع الوسائل دمويه وألماً وأقساها وأكثرها، وبانت فى مسيره السبايا الطويله مع الرؤوس والثكالى والدخول إلى قصور الطواغيت والقتله ولكن هؤلاء النساء نجحن فى ايجاد آليات صحيحه فى التعامل مع الضغوط عرفّها لنا العلماء المعاصرون.. وأهم هذه الآليات:

۱ - الاسناد الجماعى الذى قدمته السيده زينب بالدرجه الأولى إلى باقى النساء والى الامام السجاد أيضاً، فقد كانت السيده تدارى الكل وتخفف الاحمال عن الكل فقد حرصت السيده على رعايه أسر الشهداء والثكالى ومتابعه شؤونهم. وإذا كان السند يخفف ثقل المصاب فيا ترى من قدم الاسناد لزينب نفسها؟!

۲ – التصدی للمشاکل التی واجهت النساء کالذی حصل مع سهل (ودنا سهل ابن سعد الساعدی من سکینه بنت الحسین وقال: ألک حاجه؟ فأمرته ان یدفع لحامل الرؤوس ان یجعل الرؤوس أمام النساء کی تنشغل الناس بالنظر إلی الرؤوس عن النظر إلی أساری آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم ففعل «سهل».)(۱)

أو فی مواجهه السیده زینب للشامی الذی طلب فاطمه بنت الحسین جاریه له. فلقد تحرکت بسرعه وغیّرت الموقف وقد کانت هناک ظروف قاهره تعاملت معها النساء بالصبر وضبط النفس.

۳ – نمط الشخصیه المتوازنه المرنه، إذ تکون أکثر قدره ونجاحا فی مواجهه الضغوط والمتابع لشخصیه السیده زینب یجد مرونه عالیه فی التکیف مع الضغوط والمعلوم ان زیاده الضغوط یؤثر علی الصحه النفسیه والجسدیه مما یؤدی إلی استنزاف الطاقه وتدمیرها ومن ثم تدمیر الذات. وحالیا هناک ۷۵٪ من المرضی المعاصرین المراجعین للأطباء یشکون من عدم قدرتهم علی التکیف مع الضغوط ومن ثم انهیارهم امامها أو ظهور أعراض اضطرابات نفسیه کالقلق والشعور بالذنب والیأس والخوف والکآبه وعدم الثقه بالنفس.

فی حین ان هذا کله لا- نجده عند نساء الطفوف أو عند السبایا أو عند السیده زینب علیها السلام حیث یخفف الإیمان بالله والایمان بقداسه القضیه من حده الضغوط. فلقد کان المرور علی أجساد الضحایا فی المعرکه وهم بتلک الحاله کفیلاً بتدمیر معنویات نساء الطفوف وسلب ارادتهن واظهار جزعهن.

ولکننا نجد لغه العیون طافحه بالدموع مع صبر جمیل والتغلب علی کل مشاعر الاحباط.

۱– المقرم، ص۳۴۹.

غياب الشكوى

رغم كل هـذه الظروف الصـعبه والقاسـيه فقد اسـتطاعت هؤلاء النساء تحمل الأذى الذى تنوء عن حمله الجبال، والصبر عليه ولم ينقـل عن واحـده منهن أيه شـكوى سواء فى الحضور إلى كربلاء أو فى الاهوال التى مرت بهم. بل نجـد حاله من تفويض الأمر إلى الله ورؤيه الأـمور بخير (مـا رأيت إلاـ جميلاًـ..) وفى الحمـد الواضـح فى كل خطبه رغم عظم المصاب. فى حين ان التاريخ ينقل لنا عن غلام عبـد الله بن جعفر بن أبى طالب والـذى اظهر ضـجره واستياءه من اصـطحاب الإمام للنساء إلى كربلاء، قال ابن جرير: لمـا ورد نعى الحسـين جلس عبـد الله بن جعفر للعزاء وأقبـل النـاس يعزونه فقـال مولاـه (ابو السـلاس): هـذا مـا لقينـاه من الحسـين!! فحـذفه بنعله وقـال: يـا ابن اللخناء أللحسـين تقول ذلك؟! والله لو شـهدته لأحببت أن لا أُفارقه حتى اقتل معه، والله انه لمما يسـخى بنفسـى عن ولـديَّ ويهون عليّ المصاب بهما أنهما أُصـيبا مع أخى وابن عمى مواسـين له صابرين معه ثم أقبل على جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ على المصاب بمصرع الحسين أن لا أكون واسيته بنفسى، فلقد واساه ولداى.(١)

ورغم قساوه كل الظروف وثقل المسؤوليات والاهتمام بصـيانه البيت النبوى ونقل فكر الثوره إلى الناس جميعاً رغم كل ذلك لا نسـمع عتابـاً مع الأحبه أو شـكوى أو تـذمراً كما يحلو لأرباب المقاتل ان يصوروا لنا هـذا الاستياء والضـجر والعتاب مع الحسـين الـذى حمـل النسـاء وزجّهن فى هـذا الاتون المسـتعر.. يالعظمه هؤلاء النساء الصابرات المصبرات مع كل هـذه الرزايا والخطوب. ومن المعروف ان النسـاء أمام الشـكوى يكنَّ على صور عـده منهن نموذج صابر يفضـى بثه وحزنه إلى الله راضـياً بقـدره وقضائه وهناك طائفه تعودت على الشكوى وباستمرار كنمط سلوكى متميز لديهن

١- المقرم، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٣٤٠.

فهن يشتكين حتى لو كان الحال حسنا ويجددن الشكوى فى أمور عفا عليها الزمن ويعشن حاله عدم الرضا عن كل شىء موجود مما يؤدى الى استفحال الشكوى.. وغالبيه هذه النماذج الشكاءه هن نساء عاجزات عن ايجاد الحلول لمشكلاتهن أو ايجاد المفر من المعضلات التى تعترض حياتهن وبعض هؤلاء النساء يصل فيهن العجز والضعف وقله الثقه بالنفس إلى أن يعبرن عنها من خلال الشكوى كمخرج مؤقت يرد إليهن الشعور بالأمان. وبهذا يهدمن حياتهن ويهدرن طاقاتهن وعمرهن فى شكوى فارغه لا تسمن ولا تغنى، وهن لا يخسرن فقط حياتهن بل يزداد الآخرون منهن نفوراً وضجراً ومللاً. وهن يرمين بأسباب المشكله على الآخرين ويحاولن ان يخلصن أنفسهن من أى شعور بالتفكير بالمشكله واسبابها ودورهن فيها. وتزداد حاله الشكوى كلما زاد البعد عن الله تعالى وضعفت الحاله الايمانيه. ولهذا لم نجد لهذه المفرده وجوداً فى قاموس نساء الطفوف لقوه العلاقه مع الله تعالى ولعمق الايمان بأهداف الثوره.

المهارات الحياتيه

اشاره

نساء الطفوف كن يتمتعن بمهارات حياتيه عاليه واعنى بالمهارات (السلوكيات المقبوله التى تتيح للأفراد التفاعل مع المواقف بفاعليه وتمكنهم من تجنب الاستجابات غير المناسبه) وأهم هذه المهارات الحياتيه:

۱ – مهارات الحوار

وهذه بانت على أكثر من صعيد من خلال مواقف عده منها:

حوار السيده زينب عليها السلام مع ابن زياد.

حوار السيده زينب عليها السلام مع عمر بن سعد.

حوار السيده مع الشامى.

حوارات السيده العامه كمواساتها للامام السجاد عليه السلام.

۲ – مهاره التعاون والمشارکه

وبانت واضحه من خلال تعاون هؤلاء السبایا علی شؤون الثوره سواء فی السبی او قبله اوبعده.

وأیضاً من خلال مواقف السیده زینب علیها السلام فی متابعتها لشؤون العلیل والسبایا والاهتمام بالطفله رقیه.

۳ – مهاره الاتصال الشفوی والتواصل اللفظی

ولعل الخطب النسائیه أکثر دلیل علی البیان اللفظی کخطبتی السیده زینب علیها السلام فی الکوفه والشام وخطبه ام کلثوم وفاطمه بنت الحسین علیه السلام.

کما بانت هذه المهاره من خلال مواقف الرد علی الشامی والمواساه مع الإمام زین العابدین علیه السلام.

۴ – مهاره التعاطف

عبر مشارکه الآخرین انفعالاتهم وفهم أحاسیسهم ویبدو الأمر واضحاً فی تسلیه أسر الشهداء والارامل والثکالی ومواساه الإمام السجاد علیه السلام.

۵ – مهاره الاقناع عبر تقدیم الدلیل والبرهان

وهذا واضح فی خطب الاحتجاج والتأنیب التی تکلمت بها النساء وقد نجح الاقناع من خلال تحویل آراء الناس ومشاعرهم نحو الإمام الحسین وثورته وابطال المخطط الاموی.

وهذا یدل علی نجاح الأسالیب التی اتبعوها فی التأثیر علی الناس ومخاطبه العقول والقلوب، وهو فن اجادته هؤلاء النساء وبان بشکل متمیز فی هذه الواقعه من خلال ردود الفعل التی نقلها رواه المقتل کما ذکرنا ذلک سابقا.

۶ – مهاره اتخاذ القرار وحل المشكلات

وتبدو واضحه فی اداره السیده زینب علیها السلام للقافله والسعی لعدم طغیان المشکلات علی السطح.. لا أقول لم تکن هناک مشکلات.. أبداً فان المسافر فی سفر قصیر یعانی من الکثیر من الصعوبات والازمات العارضه فکیف بمسیره سبایا ثکالی مع رؤوس مرفوعه ولمده طویله، لقد کانت هناک مشکلات کثیره لعل واحده منها مشکله الشامی الذی اراد بنت الحسین خادمه ولعل واحده منها مشکله رقیه وما اثارته من استغاثات وهی صوره معبره عن معاناه الاطفال والذین قدّر البعض عددهم ب۴۰ طفلاً ـ وأیضاً کانت هناک مشکله العلیل فی السفر وغیرها، ولکن هؤلاء النساء استطعن تطویق المشکله وتحجیمها أو تخفیف ردود الفعل الناتجه عنها.

۷ – مهارات إداره المشاعر

من خلال التعامل مع الحزن والقلق ومع الصدمات المؤلمه والإساءات التی تعرضوا لها – وما اکثرها – وامتصاص الغضب ولعل أهم الآلیات هنا هو کظم الغیظ والصبر وتفویض الأمر إلی الله والمسانده الجماعیه.

الضبط العاطفی

تعرف العاطفه علی انها تنظیم وجدانی ثابت نسبیاً (عکس الانفعال الذی یکون حاله طارئه ووقتیه) فالإنسان لیس مرکباً آلیاً جامدا ک(الریموت) بل هو یفیض بمشاعره ویتفاعل مع محیطه من خلال عواطفه.. یفرح ویحزن ویحب ویکره.. ولهذه الصور العاطفیه انعکاساتها الکبیره علی شخصیه الإنسان وعلی سلوکه. ولهذا اهتم الإسلام بالبناء العاطفی عن طریق تهذیب العواطف وتوجیهها الوجهه السلیمه بحیث تکون عامل بناء لا عامل تخریب.

وتعدّ العواطف واحده من أهم دوافع العمل. فنحن نقوم بالعمل على احسنه إذا كنا نحبه والعكس صحيح. كما تحتل العواطف زخماً عالياً من الطاقه النفسيه التی تترک الأثر العميق على الحاله الشعوريه للأفراد.

وقد اتهمت المرأه على طول المسيره البشريه بانها كيان عاطفى مركز. وعُدَّتْ عاطفتها محطه ضعفها!.

وفسر الكثير حرمانها من بعض الوظائف والمناصب بانه يعود إلى الزخم العاطفى الذى تحمله والذى لا تستطيع ضبطه بالصوره المطلوبه!! ولكن فى العصر الحديث ظهرت لنا مفردات جديده كالذكاء العاطفى والصحه العاطفيه والجفاف العاطفى والأميه العاطفيه إلى غير ذلک مما نجده فى صفحات الكتب الحديثه، فالإنسان المعاصر بعد ان وصل إلى الفضاء وسيطر على باطن الأرض ونجح فى خلق الإنسان الآلى وجد نفسه بحاجه الى ان يعيش مشاعر الحب والفرح والحزن كى يشعر على الأقل بالراحه النفسيه والتوازن النفسى.

وبهذا الصدد يرى كثير من المهتمين بشؤون الانسان والمجتمع ان العالم الآن محتاج إلى عاطفه النساء أكثر من حاجته إلى سيوف الرجال!!.

لقد خلق الله تعالى المرأه بكيان عاطفى مميز كى يؤهلها لأداء مهامها الأساسيه فى الكون ألا وهى تربيه الأجيال وصيانه الأسر.

وهذا الفيض العاطفى الذى يشبع الحاجات الأولى للانسان سواء فى طفولته أو فى مراحله المتتابعه لا يمكن تعويضه عن طريق الريموت والحاسوب وغير ذلک. ولهذا بدأت الدراسات المعاصره تهتم بدراسه العواطف وأنواعها وأقسامها وكيفيه توجيهها وعدّت [الأميه العاطفيه (والتى هى عدم القدره على التعبير عن العواطف)]، عدّت واحداً من أمراض العصر الحديث.

ويخطىء من يقول ان الرجل خلق بلا عواطف، بل ان الله تعالى خلق للزوجين الذكر والأنثى جهازاً عاطفياً كاملاً وربما تتفاوت المرأه بعض الشيء عن الرجل فى اظهار العواطف والتعبير عنها بحكم مهامها وتربيتها وبحكم العلاقات الاجتماعيه التى سادت المجتمعات، فقد عُرف عن المرأه أنها أكثر قدره على التعاطف مع الآخرين، والتعاطف هو القدره على التواصل مع الناس فى المواقع الصعبه والخطيره(۱).

فالمرأه أكثر قدره على توظيف هذه العواطف فى الاتجاه الأكثر فائده وأثراً، وبهذا يعزى إلى الأمهات الأثر الأكبر فى توفير الحاجات النفسيه للأطفال من أجل البناء السليم لشخصياتهم. ويشدد علماء التربيه المعاصرون على ضروره تواجد الأم قرب أولادها فى مرحله بناء الشخصيه.

فالعاطفه إذاً هى إحدى مرتكزات الجهاز النفسى الذى اهتم الإسلام بتهذيبه وتوجيهه لتخليص الإنسان من الآليه فى السلوكيات واخراجه من طابع الروتين الى طابع التفاعل والشعور, فلا بد ان تهتز مشاعره وينبض قلبه ويفكر ويبكى ويتألم ويحب ويدافع عن حبه وولائه فيعيش ألم الإسلام الكبير ومحطات فرحه. وبهذا تكون الشخصيه الرساليه هى نسيجاً مترابطاً يين الفكر والسلوك والعاطفه.

وتُسهم الإراده فى توجيه العواطف كما يعمل الفكر على تربيه العواطف باتجاه القيم الدينيه والإنسانيه التى يؤمن بها الفرد.

وبعد هذه المقدمه نعود إلى نماذجنا الأولى فى نساء الطفوف فنجد نماذج رائعه للولاء العاطفى والوجدانى ونماذج إنسانيه ساميه تعيش ألم الآخرين وتعيش همَّ الحسين عليه السلام.. الوحيد الغريب فى البيداء الذى يطلب النصره وينادى بأعلى صوته

۱- وهو القدره على تفهم مشاعر أو عواطف الآخرين.

مستغيثا وما من مغيث.. نجد السيده زينب عليها السلام تذوب جوىً حينما تسمع الإمام الحسين عليه السلام ينعى نفسه ليله العاشر قال على بن الحسين: سمعت أبى فى الليله التى قتل فى صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أُفٍ لك من خليل

كم لك بالاشراق والأصيل(۱)

لكنها تصون دموعها عن الظهور أمام الأعداء والشامتين حينما ترى الإمام عليه السلام مقطع الأوصال مزروعاً بالسهام وقد فاض دمه على التراب الزاكى وتناثرت اشلاؤه على الرمضاء.. فأى عظمه عاشتها هذه المرأه العظيمه؟.

لقد عاش الرساليون فى حياتهم الكثير من محطات الضغط العاطفى وعملوا على توجيه المشاعر بالاتجاه السليم وإدارتها فالإمام زين العابدين عليه السلام عُد أحد البكائين الخمسه فقد استفاد من كل فرصه ليظهر فيها حزنه على مصاب أبيه وكانت عمليه تهييج العواطف احد اهم اسباب المواجهه مع الحكومه الامويه وقد نجح الامام فى ذلك نجاحا خالداً ما نزال نرى آثاره حتى الآن، وتلك الزهراء عليها السلام تعلن حزنها وبكاءها وسيله احتجاج على الأمه الناكثه لوعدها فيقام لها بيت الاحزان تأييدا لها فى ثورتها البكائيه.. إلى غير ذلك من الشواهد.

لكن السيده زينب حبست دموعها وعملت على توجيه النساء اللائى كن معها على ان يتبعن هذا الأسلوب الذكى من أجل ايصال رساله الإمام الحسين، لقد كان الضغط العاطفى على السيده زينب عظيماً لكنها استطاعت ان تجعل ارادتها أقوى فما سمحت لدموعها بالنزول ولا لحزنها بالظهور إلا فى المواقع التى تطلبت ذلك كما فى يوم الأربعين حيث كانت هناك الحاجه العليا لاظهار اقصى درجات الحزن والذى يمثل أقصى درجات الاحتجاج على السياسه الأمويه واحد أهم عوامل الكشف عن الظلم

۱– المقرم، ص ۲۱۷.

الأموى الذى صُب على أهل البيت عليهم السلام، وبذلك كان يوم عوده السبايا إلى كربلاء ومن ثم إلى المدينه يوم حزن عظيم هز الأمه كلها.

واهتمت السيده بتوجيه عواطف الاخريات اللائى كن فى موكب السبايا وبذلك تحول الجميع إلى صوره زينبيه واحده فى الإباء والصمود والصبر.

وبهذا كان للعواطف أثرها فى تأجيج الحزن على أهل البيت عليهم السلام كما كان لأساليب الضغط على العواطف أثرها فى ابانه عظمه هؤلاء النساء فالعواطف يمكن ان تكون سلاحاً لاحياء الأمه كما يمكن لها عبر توجيهها الوجهه السليمه ان تكون وسيله لنهضه الأمم.

الاستقلاليه

نساء الطفوف على العموم عشن الاستقلاليه الواضحه فى قراراتهن ومواقفهن ولم يشعرن ان هناك آراء مفروضه عليهن. ولو اردنا ان نسأل طوعه لماذا آوت مسلماً؟ فستكون اجابتها بانها فعلت ذلك بحريه تامه ولم يجبرها احد، فلقد كانت حره التفكير وحره الإراده أيضاً رغم ان ارادتها وتفكيرها كانا على عكس ولدها تماما فقد كان مسيّرا بأوامر ابن زياد. ولم تكن تابعه فى قراراتها لأى شخص آخر عكس ولدها الذى عاش التبعيه للحاكم والمال. ونفس الشىء يقال عن نساء ركب الحسين اللاتى هاجرن معه فقد اخترن طريق الهجره بمحض إرادتهن بل فرضن ارادتهن رغم وجود معارضه لخروجهن مع الامام. ونفس الشيء يقال عن باقى النساء.. وكلما شعرت المرأه باستقلاليه مواقفها فانها تتحرر من التبعيه ويعمق لديها الشعور بالمسؤوليه وبانها ذات تكاليف ومسؤوليات لا يؤديها عنها غيرها ومن ثم فانها توفق أكثر لاتخاذ قرارات صائبه؛ إذ تتيح لها هذه الاستقلاليه تبنى آليات صحيحه لصناعه القرار وللتخطيط للمستقبل ولمعرفه الأهم من المهم.

والواقع المعاصر يقول لنا ان نساءنا يعشن التبعيه بل اصبحت جزءاً من كيانهن ولديهن شعور بالعجز عن تبنى رأى او موقف وهذه التبعيه تسهل لهن عمليه التخلص من المسؤوليات عن طريق تبنى الاعذار! فى تصور خاطئ انه يخلصهن من الحساب والسؤال. وهناك من يستفيد من تكريس هذه التبعيه لأنها تجعل المرأه أداه طيعه فى يد الآخرين!.

ان المرأه والرجل كائنان مستقلان لكل منهما تكليفه وحسابه وكل منهما يحيا حياته ومماته ويُسأل بعد مماته ولا بد ان يقدم لحياته، ولو كان تابعاً بهذه الصوره لانتفى الحساب وجعل الحساب والتكليف على من كان تابعا له وهذا وهم كبير.

وأما القوامه فانها محدوده فى الحياه الزوجيه فقط بوصفها متعلقه بالطرفين من خلال الحقوق والواجبات، ثم ان القوامه ليست الغاء للشخص الآخر أو مصادره وجوده بل هى إداره كما هى الحال فى الإدارات الأخرى.

نساء الطفوف كن مستقلات فى كل الأمور تقريباً ومع ذلك لم يظهرن أى تردد أو تراجع أو ندم على موقف. فقد دفعت دلهم زوجها دفعاً إلى الجنه وكان هو مترددا فى البدايه فى حين ان التردد لم يظهر ابدا فى سلوكها حتى لما طلقها وافترقت عنه، وكذلك أم وهب وأم عبد الله والنوار، وغيرهن؛ لانهن هن من اخترْنَ هذه القرارات وهذه المواقف البطوليه ولهذا نلمس غياب السلبيه أو التحيّر أو النكوص فى السلوك والمواقف الأمر الذى جعل الطاقه الذاتيه لا تتبدد فى اتجاهات سلبيه وتتجه بالكامل نحو الهدف الأصلى..

لقد مارست النساء أدوارهن بكفاءه دون اكراه أو اجبار بل بحريه نابعه من صميم الذات. ورغم انهن كن مستقلات التفكير والاراده والقرار لكنهن لم يكنّ أبداً منفصلات عن أسرهن سواء بالرعايه أو الحمايه أو بالوصل والاغاثه بل تحركت حياتهن مع أسرهم وعشن معهم وإليهم.

نساء الطفوف.. صلاح وإصلاح

اشاره

كان الهدف الأساسي الذي أعلنه الإمام عليه السلام من ثورته هو ما قاله عليه السلام: إني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح في أمه جدي صلى الله عليه وآله وسلم أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيره جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد على هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين.(۱)

فقد كانت ثورته المباركه تهدف إلى تطهير الواقع الفكري والنفسي والاجتماعي والسياسي من الانحراف والفساد الذي ألمّ بالمجتمع آنذاك واصلاحه عبر القيم الجديده التي حملتها ثوره الإمام عليه السلام. والإمام عليه السلام لم يرسم خارطه الثوره كي تكون حملته الإصلاحيه آنيه لزمانها ومكانها بل انه أراد ان يكون الهدف الإصلاحي ممتداً في الأمه عابراً لمساحات الزمان والمكان بما يحمله من خلود المفاهيم وديمومه الوعي الإنساني وقد كان أحد أهم أسباب حمل النساء معه في الثوره هو حمل رؤى الإصلاح الجديد إلى الأمه بعد ان حاول الأمويون تقويض الثوره في محدوديه صحراء كربلاء التي حوصر بها الإمام وانصاره. لقد كان الهدف من ذلك هو ان تقوم النساء بأدوار التبليغ والإعلام ونشر الفكر الحسيني الرامي إلى الإصلاح وتطهير الفساد الموجود آنذاك وبذلك يكون الإصلاح مسؤوليه كل فرد رجلا كان أم امرأه.

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...))(۲).

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۱۳۹.

۲- سوره التوبه، الآيه ۷۱.

ولفهم هـذه الأـمور أكثر لابـد ان نسـلط الضوء على أمور عـده منهـا: حـاجه المجتمع آنـذاك للإصـلاح وظهور علامات الفساد الإـدارى والسياسـى والاجتمـاعى والفكرى والاقتصـادى. وتتضـح معـالم الفساد الموجود آنـذاك من خلال اسـتقراء الواقع العام فيكفى فى الواقع السياسى ان يكون الحاكم فاسداً وان يكون وكلاؤه ونوابه كذلك.

وهذا ما اشار إليه الحسين عليه السلام بقوله:

«ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمه، معلن بالفسق والفجور..».

أما على صـعيد الواقع الاجتماعى فنحن نرى الحرب مشـتعله ضـد الموالين لآل البيت عليهم السـلام فقد تعرضوا للكثير من اعمال الابـاده والتهميش ومصـادره لقمـه العيش ونرى ذلـك أيضـاً فى القيـم الـتى انتشـرت آنـذاك بين عمـوم المسـلمين فى الخنـوع والانهزاميه والرضا بالذله وشراء الضمائر إلى غير ذلك.

أما الفساد الفكرى فيكفى ما قام به الأمويون من تشويه الفكر الدينى ونشـر الأحاديث الموضوعه والكاذبه ومصادره كل رأسمال فكرى لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

من كل ذلك نرى ان الواقع كان بحاجه إلى إصـلاح عام. فهل يا ترى يمكن ان يكون هناك اصـلاح دون ان يكون للمرأه دور ومشاركه؟ وهى التى عانت – كما اشرنا – من استتباعات الوضع الفاسد بشكل مباشر أو غير مباشر.

ان الأمر الذى لا يقبل الشك أو الجدال هو ان عمليه الإصـلاح الشامل فى المجتمع تستوجب ان يكون هناك احتواء شامل لكل الشرائح الاجتماعيه، ونلاحظ ان إحدى أهم اخطاء المصلحين فى العالم هو انهم يرومون الإصلاح والتغيير فى المجتمع عبر

قناه واحده أو قنوات محدوده وابقاء باقی القنوات الأخری مسدوده. وهذا ما سبب موت هذه الحرکات الإصلاحیه وإجهاضها فلا یمکن ان تنجح أی مساعٍ للاصلاح ما لم یتم تحریک کل فئات المجتمع ونفی الغبار عنه. وهو ما اشرنا إلیه سابقاً حینما قلنا ان ثوره الإمام الحسین علیه السلام کانت ثوره مجتمع صغیر – بکل فئاته – ضد قیاده المجتمع الکبیر وبهدف اصلاح المجتمع الکبیر.

وبهذا کان للمرأه حضورها الواضح فی ساحه الاصلاح کما کان ذلک میسرا للشیخ والشاب والصبیه والفتی إلی غیر ذلک. ان حضور المرأه فی المشروع الإصلاحی الحسینی کشف عن قوه دور النساء ومتانه البناء الذاتی وبخاصه للسیده زینب علیها السلام والتی کانت ذات الحمل الأکبر فی عملیه الإصلاح من خلال نشر البرنامج الحسینی والتعریف بآلیات الإصلاح وحتمیه انتصاره. فلقد رسمت صوره المرأه الآمره بالمعروف والناهیه عن المنکر من خلال کل الوسائل التی اتیحت لها فی الثوره.

ان الاصلاح یستلزم الإیمان بوجود فساد فی المجتمع فلا بد من ان تکون هناک رؤیه فاحصه للمجتمع للتعرف علی مواقع الفساد.

وقد کشفت النساء عن الفساد الاجتماعی بحق المرأه من خلال قول السیده زینب علیها السلام:

«تخدیرک حرائرک واماءک وسوقک بنات رسول الله سبایا... ».

وهنا قد نأتی علی سؤالین مهمین هما:

– هل ان الإمام علیه السلام لما حمل النساء معه کان یروم مشارکه قویه للمرأه فی برنامجه الإصلاحی؟

– والسؤال الثانی: هو اننا لا نری تغییراً علی الخارطه الاجتماعیه والحیاتیه بعد الثوره فی ما یتعلق بمسیره المرأه فأین هو الإصلاح فی دائره الحضور النسوی؟

الإمام الحسين رائد الإصلاح

تتفاوت الرؤى حول أدوار النساء فى الحياه العامه. ويمكن تقسيم هذه الرؤى إلى ثلاث رؤى معاصره:

١ . الرؤيه التقليديه للمرأه والتى تحصر دورها فيما عليها وفيما لها، فالمطلوب هو أداؤها للتكاليف الأساسيه كالصوم والصلاه وان تكون مطيعه لزوجها وهذا كل همها فى الحياه. هؤلاء التقليديون يحاولون الابقاء على واقع النساء بما هو عليه فهم يرون ان أوضاع النساء بما عليه لا تحتاج إلى إصلاح أو تغيير أساسى فهن يقمن بأداء التكاليف الأساسيه مقابل النفقه مثلاً. وهؤلاء يرفضون كل ما هو معصرن ويجعلون حلول مشاكل النساء المعاصره بالاتكاء على رمزيات الفكر الدينى بعيداً عن الأخذ بأسلوب الحداثه أو العصرنه أو مراعاه تغيير الزمان والمكان وبهذا تكون أفكارهم محدوده لمن يتكئون على الماضى دون الأخذ بتطورات الحاضر والمستقبل. والمرأه هنا تابع وليست كائنا مستقلا كما انها بعيده عن مفاهيم الاستخلاف والأمر بالمعروف. وهى لا تعيش فى وعيها ظروف الامه ومشاكلها لضيق الدائره الحياتيه والهدفيه لها والدين هنا مجرد احكام عباديه مجزأه والقائلون بهذه الرؤيه لا يستطيعون ايجاد تفسير منطقى لحمل الامام الحسين عليه السلام نساءه الى كربلاء سوى انها حاله خاصه لزمانها وتحت رعايه المعصوم المباشره !! وبهذا لا يكون هناك حديث عن دور سياسى او تكاملى للمرأه.

٢ . الرؤيه التجديديه للمرأه والتى تميل إلى الرؤى الغربيه والتى تحاول التخلص من ضغط الدين عن طريق جعل التكاليف لزمانها الذى مضى (كالحجاب والقوامه وغير ذلك) وهم يقتدون بالنمط الغربى ويحاولون محاصره القيم والعادات والتقاليد وإقصاءها. ولأن المرأه هنا تشبه الرجل (وليست شريكه له فى مسؤوليه الخلافه) فيكون

حل مشكلات النساء عن طريق التنميه الاجتماعيه والاقتصاديه بعيداً عن الدين، فلتعمل بأى شكل وفى اى مكان كان وهى كائن غير مرتبط بالأسره (التى يرونها قيداً). هؤلاء يرون ان المرأه كائن مستقل معزول عن الأسره والمجتمع. ولهذا يخاطبون المرأه كمفرده مستقله بعيداً عن وشيجه العلاقات التى تربطها بزوجها واولادها ويحاولون وضع القوانين الجديده من خلال هذه الرؤيه. فالمرأه هنا كائن منفصل (كما هى الحال فى المنظومه الغربيه التى اباحت الاجهاض، لانه حق المرأه لكنها اصطدمت بحق الطفل فى الحياه) والدين ليس له أى تأثير على حياه المرأه واهدافها .

۳ . الرؤيه الدينيه المعاصره او الحضاريه للمرأه: وهى تتكئ على الفكر الدينى إذ لا حياه للأفراد دون وجود دين ينظم حياتهم ويضع لهم ضوابط دنيويه اخرويه ويبيّن لهم قيما أساسيه تصوغ للإنسان المعاصر أهدافه واتجاهاته واساليبه فى الحياه. لكنهم يأخذون بنظر الاعتبار آليات التطور المعاصر ويحاولون ايجاد موافقه بين الدين وبين متطلبات الوضع المعاصر. فهم يضعون القوانين التى تتكئ على الدين وتأخذ بعين الاعتبار التطور والحداثه وتنظر إلى المرأه من زاويه الانسان الخليفه لله فى أرضه فله مسؤولياته وأهدافه وواجباته وحقوقه. هذا التيار يحاول قراءه الفكر الإسلامى مجدداً ضمن آليات معاصره تحامى عن قدسيه الدين وعن فاعليته فى كل عصر وزمان وما وجدناه من مشاركه للمرأه فى العمليه السياسيه فى إيران والعراق ولبنان ومن التأكيد على دورها الاجتماعى والتغييرى يدخل ضمن هذه المنظومه.

وحتى فى إطار القدره (كما سيأتينا) هؤلاء يطرحونها من باب ايجاد النموذج الشامل المتوازن الذى يجمع بين المرأه الانسان والمرأه الانثى والذى يستوعب وجودها الفردى والاجتماعى كنموذج الزهراء بثورتها وبعبادتها وبأمومتها وبحسن تبعلها أو كنموذج ابنتها الحوراء زينب عليها السلام ومن ثم هم يرون ان للمرأه دورا اساسيا فى الحياه العامه لا يلغى ادوارها الاولى كالامومه والزوجيه ولا يتميع ضمن الصور

المشوهه للمرأه تحت مسميات الحداثه والعصرنه. ولهذا يرون ان صوره المرأه فی کربلاء قابله للتجدید والظهور فی کل عصر وزمان انطلاقاً من ادوار المرأه التعددیه ولیست المحدوده کما یراها التقلیدیون.

من هذه الرؤیه العامه یمکن القول: إنه لا یمکن للإمام ان ینطلق فی ثوره الإصلاح هذه دون ان یهتم بنصف المجتمع. صحیح انه کان قد اناط الدور الإعلامی بالنساء عموماً وللسیده زینب علیها السلام علی الأخص، ولکنه لم ینطلق لزمانه المحدد وانما اراد ان یوصل رساله الإصلاح الخالده إلی الرجال والنساء کافه وعلی مر العصور.

غیاب أم حضور؟

ان المتتبع للتاریخ لا- یری صوراً نسائیه بعد الثوره وهذه القراءه السطحیه تجعل حضور النساء فی الواقعه (والذی هو عدل التضحیه) وکأنه صوره عابره لمجری تاریخی قدیم. والمستقرئ للتاریخ بعد الواقعه یری ان الحال بقی کما هو علیه حول مشارکه المرأه فی الأدوار والمسؤولیات الاجتماعیه والسیاسیه، وبأن الانکماش والاقصاء الذی لمسناه فی أوضاع ما قبل الثوره بقی علی ما هو علیه بعد الثوره، فأین التغییر إذاً؟

وقد یکون هذا الرأی صائباً للذین یقرأون الصور الحاضره فی المساحه التاریخیه ولا- ینقبّون فی أوراق التاریخ ودفاتره عن الأحداث والوقائع التی حصلت، علی هذا لابد ان نفهم دور المرأه فی صناعه التاریخ کی نصل الی قرار صائب.

دور المرأه فی صناعه التاریخ

لقد استطاعت ثوره الإمام علیه السلام رغم انکسارها العسکری ان تعید برمجه القیم الإنسانیه والاجتماعیه والشخصیه فی المجتمع وهذا ما نجده واضحاً من توالی الثورات وانطلاق الموالین فی بیان إداناتهم المستمره للنظام الأموی ومن ثم الحکم

العباسی بعدما ازیحت ثقافه الخوف والذل التی کانت سائده إلی ثقافه العز والکرامه.

وعموما کانت النساء بعیدات عن القتال وربما عن المشارکه فی الثورات التی اتخذت طابعا رجولیا فقد عاشت النساء مسؤولیاتهنّ الاولی فی الاهتمام الأکثر بتربیه الجیل الموالی والناصر لآل البیت علیهم السلام والذی ولد فی العصر الاموی الاسود ثار فی العصر العباسی الاکثر ظلما لآل البیت. فلقد ترکت ثوره الإمام الحسین علیه السلام جرحاً لا ینـدمل فی قلوب النساء والرجال من خلال صور التضحیه والفداء ومن خلال جرح الأمهات والثکالی ونداء السبایا - فاصبحت المرأه المسلمه الموالیه تعی مسؤولیتها فی ضروره تنشئه الأولاد علی مبادئ الولاء لآل البیت علیهم السلام وعلی حبهم وکیفیه صیانه الرمز الدینی وحمایه المقدسات. وإذ لم تکن هناک صوره واضحه عن ماهیه المطلوب من المرأه المسلمه قبل الثوره ولکن الصوره اتضحت بعدها فبدأت المرأه تربی أبناءها لیس لأمومتها فحسب ولکن لنصره خط الإمامه، وهذا ما یفسر لنا استمرار التیار الموالی لأهل البیت علیهم السلام فی عدده وعدته وقوته وثباته. إذ کان الرجال یستشهدون فی المعارک والثورات التی خاضوها وکانت النساء تکمل المسیره عبر التنمیه البشریه الموالیه. ولو لم تتبنَّ المرأه هذا الخط لحصل فراغ کبیر لا یسد ابداً. فالمرأه بعد الطفوف بدأت تعی ان لها دورا وان هناک مهام ومسؤولیات لا یؤدیها غیرها ولئن کانت نساء الطفوف قد عانین ما عانین من أجل الدفاع عن المقدس وحمایه خط الولاء فان المطلوب من النساء بعد الطفوف اکثر. ان هذا یجرنا إلی التفکیر فی مهمه المرأه الأولی فی التربیه ویمکن من خلال استقراء اوضاع الدول التی تخلت فیها المرأه عن وظیفتها التربویه ان نری انعکاسات ذلک ففی بعض المجتمعات التی تقوم فیها الخادمات بمهام التربیه ظهر جیل یعانی من مشکله اللغه ومن ضعف الحس الایمانی والوطنی لأنه یأخذ قیم الخادمه المربیه واتجاهاتها ولیست اتجاهات الام الاصلیه ومن ثم حصل نوع من الاغتراب الأمر الذی جعل اصوات الاستغاثه تنطلق من کل مکان. ولتخلی الام

(عالمیاً) عن هـذه المسؤولیه نشـأ جیـل یهوی العنف ویتخـذه منهجـا فی الحیـاه لا ـنه عـاش الحرمـان العاطفی لغیاب الام وعـدم استطاعه المعلمه والخادمه تعویض النقص فی مشاعر الحب والحنان. ولقـد اطل القرن العشـرون مع مطالبات بنبذ الامومه وانتهی بصیحات تطالب بعوده المرأه الی البیت والاسره!.

ولو قرأنا التاریـخ قبل الثوره لوجـدنا الرموز النسائیه بحـد ذاتها محدوده العدد وقد ظهرت فی نموذج سـیدات نساء العالمین وفی مواهب المسـلمات فی صـدر الاسـلام. ولکن یا تری هل یعنی ذلک ان المرأه لم یکن لها دور فی صـناعه التاریـخ إلا من خلال هذه الصوره الظاهره؟

ان دور المرأه فی صیاغه التاریخ یمر بشکلین أساسیین:

الشـکل الأ ـول: وهو الأ ـعم هو الشـکل غیر المباشـر والصوره غیر الظـاهره علی شـاشه التاریـخ ولکنها صوره فاعله ومؤثره وذات امتدادات طولیه. وتأتی من خلال أدوار النساء التقلیدیه وبخاصه دور الزوجه والأم والذی اهتم بصـناعه الأجیال، وهذا الدور کان ضبابیاً حتی للمرأه الموالیه وان وجـدناه فی آحاد ومفردات، ولکن هذه الصوره اخذت لها ابعاداً أساسـیه عند المرأه الموالیه بعد الثوره ونضـجت وبشـکل واعٍ اسـتقر فی لباب المرأه من خلال اعـداد الجیل الموالی والـذی یـدیم خط الولاء لأهل البیت علیهم السـلام ومن هؤلاء النساء اللائی نجهل أسـماءهن ومن کانت سـجون الحجاج تغص بهن وکانت سـجون الرشـید تعج بهن. وفی زماننا المعاصـر کان صدام یقنص هؤلاء النساء ویغیبهن فی (التیزاب) کما جری مع الکثیر من النساء أمثال الشهیده بنت الهدی – التی سنمر علیها – وسلوی البحرانی وآلاف من النساء قتلن واعدمن وغیّبن فی غیاهب السجن.

والمسـتتبع للتاریـخ یری ان صوره الرجل الـذی یصـنع التاریـخ کانت محدوده فی الخلفاء الظالمین لآل البیت علیهم السـلام وفی أعوانهم فـأین کـان الرجـل الموالی؟ لقـد کان ثائراً فی سلسـله ثورات متتالیه أبیـد فیها الکثیر منهم کثوره التوابین التی اتت علی خمسه

آلاف رجل وكذلك بقيه الثورات ومنها الثورات المعاصره.. كان الرجال يُستشهدون ويتركون ذراريهم بين حاكم ظالم محارب لأهل البيت يروم تنشئه الأجيال على بغض على عليه السلام والنيل منه وبين أم مواليه تصر على ادامه خط الولاء وتعانى الكثير من الضغط الاقتصادى والنفسى والاجتماعى والفكرى حتى ينشأ ولدها على حب أهل البيت عليهم السلام وربما عشنا بعض مفاصل هذه الحاله وعاش ابناؤنا أيضاً بعض استتباعاتها وإلى هذا يقول الشاعر:

لا عذب الله أمى انها شربت

حب الوصى وغذتنيه فى لبن

وكان لى والد يهوى ابا حسن

فصرت من ذى وذا أهوى أبا حسن

- أما الشكل الثانى فى صناعه التاريخ فكان فى اسماء محدوده وواضحه عرفنا بعضها وجهلنا كثيراً غيرها من الرجال والنساء. وكان اسم الرجل يظهر بوضوح؛ لأن العرف نفسه يروج له فى حين تبقى صور النساء وأسماؤهن فى ضمن الدائره الحمراء! لان التاريخ نفسه لم يكن انسانيا فى كثير من مقاطعه بل كان ذكوريا.

لقد أسهم التاريخ نفسه فى ظلم الانسان رجلاً كان أو امرأه فالتاريخ كتب لنا عن مجون الحكام وبطش الطغاه وظلمهم للبشر وعما قاموا به من اعمال يعدها البعض افتخارات فى حين انها احتراقات واحتقارات!.. فهل الذى يقوم بذبح البشر واراقه دمائهم وطمس حضاراتهم هل يستحق التمجيد والخلود؟.. ولكن التاريخ هو هذه الوقائع المره اذ نادراً ما يكتب التاريخ عن الفضائل وعن السمو الانسانى وعن سبل تكامل البشر. ولأن الاغلب فى مسار التاريخ هى حاكميه الرجل ونبذه للانثى ايا كانت فقد اخفى التاريخ الكثير من الحقائق العليا فيما يخص النساء وبقى تاريخا ذكوريا فى حين ان تاريخ الاسلام كان تاريخ الرجل والمرأه على حد سواء.

ومع كل ذلك نجد صوراً خالده فى التاريخ كصوره العقيله زينب عليها السلام

والوافدات على معاويه وسـميه ونسـيبه.. ولكن من البديهى أيضاً ان تكون هناك صورٌ أخرى فى التسافل الحيوانى كصوره آكله الاكباد.

وبعـد كـل مـا استعرضـناه نصـل الى نتيجه وهى اننـا مـدينون للمرأه فى حفـظ رساله الولاء وايصالها لنا بكل امانه، فيا ترى كيف نحافظ عليها؟

ويمكن القول: إن حضور السيده زينب عليها السلام فى برنامج الإصلاح الحسينى قد كشف اموراً منها:

۱- انه لا يمكن لأى مسيره اصـلاح ان تنجـح ما لم تهتم بالمرأه وتوكل إليها مهام المشاركه فيها. وان أى عمل اصـلاحى يهمل نصف المجتمع سـيصاب بالتلكؤ والضعف وهذا الاهتمام بوجود المرأه فى البرامج الاصلاحيه يسهم فى ايجاد الحلول الاصلاحيه لمشاكـل النساء والمجتمع، فإصـلاح اوضاع النساء يحتاج إلى جهـد المرأه والرجل، وكـذلك اصـلاح اوضاع الرجال، وكـذلك اصلاح أوضاع المجتمع.

۲- نسـاء الطفوف كسـرن الصوره السـلبيه النمطيه عن المرأه ونشـرن صوره المرأه الآـمره المعروف والناهيه عن المنكر والناصـره لـدينها، صـوره إيجـابيه تعرّف المرأه بـدورها المطلوب فى كـل عصـر سواء فى عصور التضـييق والحراب أو فى عصور الانفتـاح والحريه.

۳- هذا الحضور النسائى المتميز كسـر العقل الذكورى الذى كان لا يرى دوراً للمرأه أو أيه قيمه مجتمعيه.. ها هو سـيد الشـهداء وأبو الاحرار عليه السـلام يوكل إلى اخته أصـعب المهام فى ظروف قاسيه للغايه.. مهام قد لا يقوى الرجال عليها لأنها متعدده فى ظروف عسـيره وضاغطه.. ولكن السـيده زينب عليها السلام تحقق نجاحا منقطع النظير وتكون سبباً لكل هذا الخلود الذى حظيت به الثوره الحسـينيه بشـكل لم يكن له سابقه أو لاحقه، فسـيد الشـهداء عليه السلام يدعو من خلال هذا الحضور النسائى إلى دعم حضور المرأه فى المواقع الصعبه، وإلى اسناد المهام لها وعدم الشك فى

قـدراتها وكفاءتهـا. فمن قال ان المرأه ضـعيفه او كائن هزيل أو ان ليس لها دور فى المسـيره الانسانيه فتبقى مركونه على الرف.. أبداً.. ولولا هذه الثوره لما بانت قوه المرأه.

۴- اصـلاح رؤيه المرأه إلى نفسـها.. فلمـاذا لا تعيـد المرأه قراءه أدوار هؤلاء النساء لتعرف دورها ومهامها ولا تبقى اسـيره الوهم بالعجز وعـدم القـدره على ان تقوم بقسط من المهام التى تتطلبها المراحل الراهنه من دوره الاسـلام فى الكون.. هذا الاصـلاح له اثره من حيث:

* انه يخلص المرأه من الهامشيه واللامبالاه ويجعلها تعيش واقعها ضمن المبالاه والاهتمام والفاعليه.

* انه يسهم فى توجيه النظر إلى مشكلات مجتمعها والتعريف بالمساحات التى تحتاج الى اهتمام اكثر.

* يخلصـها من العبثيه والتشـتت فنحن نرى حجم الانفـاق الـذى يصب على الإعلام لقوقعه النساء ضـمن إطار الزينه والموضه فى إطار الصوره والجسد وجعل ذلك شغلهن الشاغل لإبعادهن عن الاهتمام بشؤون المجتمع واصلاح شؤونه.

* شعورها بالمسؤوليه الثابته عليها والتى لا تتغير مع تغير الزمان والمكان أبداً.

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...))(۱).

* ويـؤدى إلى تخليصـها من الانـانيه والانكفـاء على الـذات وإلى الانطلاـق إلى المجتمع الكـبير وإلى علاـج مشـكلاته بمـا فيها مشكلات النساء.

* وكل ذلك سيمهد لتطوير الذات عبر زياده ثقه المرأه بنفسها والابتعاد عن كل علامات الهوان والضعف.

۱- سوره التوبه، الآيه ۷۱.

نساء بين النهضتين

ما بين نساء الانتظار ونساء الطفوف

انتهت واقعه الطف بأشخاصها لكنها بقيت فى الوجدان الإنسانى كصوره مشرقه لرفض الذل والظلم والثوره على الواقع الفاسد المنحرف، وبقيت نساء الطفوف العظيمات رموزاً عليا وأمثالاً ساميه لأدوار النساء التى لا تنطلق من إطار الأنوثه أو العقد النفسيه بل تنطلق من صوره الإنسان العظيم حامل رساله الاستخلاف والذى سيكون أُنموذجاً عالياً للخليفه فى الأرض وبهذا فقد بقيت أُنموذجاً خالداً لكل النساء والرجال وعلى مر العصور.

ونحن نعيش الآن زمن الانتظار والتمهيد لظهور المصلح الكبير الذى سيمحو كل ملامح الفساد ويجتث كل مواقع الظلم ويجعل الأرض تعيش تحت رايه العداله الإلهيه.. وهو الحلم الذى عاشته البشريه دوماً وخطط لأجله الانبياء عليهم السلام وكانت تضحيه الإمام الحسين عليه السلام الغاليه من أجل هذا التمهيد الأزلى لانتصار العدل وإزاله الجور. وقد أكدت الأحاديث على أهميه الانتظار.

ففى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

أفضل أعمال أمتى انتظار الفرج.

وفى أحاديث أخرى اشارات عن حضور النساء مع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهى اشارات ربما اختلف البعض فيها لكننا سنعود ثانيه إلى دور المرأه فى صناعه التاريخ فنرى الدور المباشر الذى تشير إليه الروايات كما فى الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ويجیء والله ثلاثمائه وبضعه عشر رجلاً فيهم خمسون امرأه يجتمعون بمكه من غير ميعاد».(۱)

وعن المفضل، عن أبی عبد الله عليه السلام قال:

«يكن مع القائم عليه السلام ثلاث عشره امرأه »

قلت: وما يصنع بهن؟ قال عليه السلام:

« يداوين الجرحی، ويقمن علی المرضی كما كان مع رسول الله صلی الله عليه وآله».(۲)

ولا ننسی الدور اللامباشر للمرأه فی صناعه التاريخ وهذا يعنی ان المرأه موجوده فی ادوار فعاله سواء فی زمن الانتظار او الظهور, وتعتمد المرأه الناصره للإمام عجل الله تعالی فرجه الشريف فی زمن الانتظار علی صوره نساء الطفوف الخالده فی العطاء والتضحيه وفی الدفاع عن العقيده والامام.. وتبدو مسؤوليه المرأه فی زمن الانتظار متأطره فی جانبين أساسين:

۱ . الجانب الأول هو بناء الذات وتربيه النفس واصلاحها وتهذيبها والاهتمام بالأعمال الصالحه والمخلصه. فكل عمل مخلص هو انتظار للفرج.

۲ . والجانب الثانی يتمثل فی تربيه الجيل المنتظر وإعداده وتقويه ثقافه الانتظار لدی نساء المجتمع (وعمومه) من خلال اتباع آليات مناسبه وهذه الثقافه تنمی عند الأفراد حاله الاستعداد والتأهب للظهور.

فثقافه الانتظار مشروع حضاری يعيد الجذور الإنسانيه للحضاره البشريه ويرسم معالم المجتمع التوحيدی الذی هو حلم الانبياء عليهم السلام فمن اين نبتدئ؟

۱- المجلسی، بحار الأنوار، ح۵۲، ص ۲۲۳).

۲- إثبات الهداه: ج۳ ص۵۷۵ ح ۷۲۵ (ب ۳۲ فصل ۳۸).

ص: ٢٠٥

والجواب:

ألف . فى البدء هل لدينا القناعه الكافيه بان الإسلام يحمل حلولاً لمشاكلنا وانه يمثل النجاه مما نعيشه من أزمات ومستنقعات؟.

ولعل واحدا من أهم مشكلات المرأه المسلمه المعاصره - وكذلك المسلم المعاصر - هو انها لا تعيش الوعى الكافى بان الإسلام يحمل اطروحه ناجحه ومفيده للمرأه ولكل البشر ولكل المجتمعات، هناك تشتت فى وعينا، ونعيش ارهاصات قالها الآخرون لابعادنا عن ديننا. مقولات مشوهه من أمثال: ان الإسلام ظلم المرأه وانه حرمها حقوقها وكأن المطلوب من المرأه المسلمه المعاصره ان تشن حرباً على الإسلام (الذى خنق المرأه وصادر حريتها كما أُدخل فى وعيها) وبعدها تنطلق بافق آخر يسمى أيضاً إسلاماً!!. وهذا هو السخف بعينه!. لابد أولاً ان أعى اطروحه الإسلام بشكل عام وبخاصه فيما يتعلق بقضايا المرأه وان اضع الجدار العازل بين اطروحه الإسلام ومنظومه العرف (المقدس) والتى هى فى كثير من الأحايين تعاكس الإسلام وتشوه صورته، لابد ان اعرف حاله المرأه فى العالم الآن. فهى تقدمت فى جوانب عده فى الجانب الحقوقى مثلا (بشكل عام) وفى جانب العمل والتعلم والسياسه إلى غير ذلك.

لكن كيف افسر الظواهر الطاغيه فى العالم من باب تأنيث الفقر، تأنيث الأميه، الرقيق الأبيض، البغاء، العنف ضد المرأه (بكل أشكاله) وإلى غير ذلك من الظواهر السيئه؟.

ولذا لابد أولاً من ان احرر عقلى من كل فكر مضاد للإسلام ومن كل فكره تصطدم مع الإسلام وتحاربه واجعل عقلى ساحه واعيه لمفاهيم الإسلام الصحيحه وبالذات فيما يخص المرأه فالحجاب تحرر وانعتاق وليس عبوديه واسترقاقاً والقوامه إداره وصيانه وليست تسلطاً وإذلالاً إلى غير ذلك من الأمور.

باء . ان تعرف المرأه المسلمه المنتظره فلسفه الانتظار ومن هو الإمام المهدی، ولماذا غاب؟. وهذه الرؤیه المعرفیه تُسهم فی رسم الصوره الأولیه للإمام – المقدس – الذی تدافع عنه المرأه المسلمه وتقدم له النصره بكل الوسائل.

ثم لابد من آلیات للتواصل مع الإمام عجل الله تعالی فرجه الشریف والذی تعرض علیه أعمال موالیه. وبلا شک لابد وان یكون هناک سعی فی تقدیم ما یفرح قلبه عن طریق الابتعاد عن الذنوب وهجران المعاصی والسعی إلی اكتساب الفضائل والحفاظ علی الحجاب وغیرها.

ولعل واحده من أسالیب التواصل مع المقدس فی زمن الغیبه هو تقدیم الهدایا للإمام عجل الله تعالی فرجه الشریف هدایا معنویه ومادیه كأن تكون ركعتی صلاه أو صدقه أو الدعاء المستمر له أو المعایشه لهمه وألمه والتألم لحاله (عزیز علی ان أری الخلق ولا تری ولا أسمع لک حسیساً ولا نجوی. عزیز علی ان تحیط بک دونی البلوی). والاهتمام بذكری مولده وقراءه الأدعیه التی تعمق الرابطه معه والفرج له كدعاء العهد والندبه إلی غیر ذلک.

ولا یقتصر الأمر علی المرأه وحدها بل لابد من ان تشارک أسرتها وجماعتها فی أعمال النصره واظهار الولاء ونحتاج هنا الی ان نرسم صوره أولیه للإمام فی عیون أولادنا الصغار وان نجیب علی اسئلتهم ونعرّفهم بأسباب غیبته وما هو مطلوب منهم فی زمن الغیبه وكلما كان الأم، والأب، أنموذجین سامیین للأخلاق الفاضله – بعیدین عن العنف والشتم والسخریه – كلما كان تقبل الأولاد لهذه الأفكار العلیا اسرع.

جیم . علی ان اعیش الوعی الكامل فی أهمیه الإصلاح وأهمیه الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر وان ادرک حاجه المجتمع والإنسان إلی المصلح والإصلاح وان اعرف آلیات الإصلاح المطلوب, اذ لا یمكن القیام بأی عمل إصلاحی أو تغییری أو المشاركه

فی عملیه الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ما لم یکن الفرد نفسه – رجلًا کان أو امرأه – صالحاً من جوانب عده کأن یکون ذا معرفه دینیه وذا معرفه بعوامل الزمان والمکان والتغییرات الحاصله، وذا قدره علی التحمل وعلی تبنی آلیات ناجحه فی التغییر. یقول الشیخ مطهری فی ملحمته الحسینیه:

انک لو اردت ان تأمر بالمعروف وتنهی عن المنکر بشکل غیر مباشر فان إحدی الطرق المحنکه هی ان تکون قبل کل شیء صالحاً وتقیاً وصاحب فعل قبل ان تکون صاحب قول. وعندما تکون أنت شخصیاً أنموذجاً بهذه المواصفات ستکون مثالاً مجسماً للأمر بالمعروف والنهی عن المنکر.(۱)

ومما لا شک فیه ان النهضه الحسینیه رفعت من شأن عملیه الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر،(۲) وکشفت عن دور المرأه والرجل فی هذه العملیه الحیویه کما کشفت عن قابلیات النساء والرجال وعن آلیات التعامل مع الانحراف والفساد.

واذ تبدو الحاجه إلی أنموذج المرأه الآمره بالمعروف (کلمه المعروف تشتمل علی کل الأهداف والمفاهیم الإسلامیه الإیجابیه) والناهیه عن المنکر، أی المرأه التی تهتم بالإصلاح کأمر أساسی فی تطور المجتمع ونهضته، فإذا اهمل الاصلاح اهمل دم الحسین علیه السلام واهملت عطاءات نساء الطفوف وتأخر الظهور.

وتزداد الحاله سوءاً إذا تصورت المرأه ان لا مهام لها فی عصر الانتظار سوی البقاء فی البیوت والاهتمام بالموضه ومشاهده مسلسلات رمضان الممجده للانحرافات!. وان صوره نساء الطفوف لزمانها ولیس لزماننا! وکأن الحسین علیه السلام کان لزمانه! فحسب.

۱- مطهری، الملحمه الحسینیه، ج۲، ص ۹۲.

۲- مطهری،الملحمه, ص ۲۲۸.

ان المرأه الآن بحاجه إلى قراءه واعيه للذات تجتث من خلالها كل خرافات الماضى وضبابيه الحاضر، إذ تنتظرها الكثير من المهام فى زمن الانتظار وترقب الظهور.

والمرأه التى تحمل مشعل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليها ان تسير فى خط زينب – عليها السلام– كأُنموذجٍ سامٍ للشخصيه الإسلاميه التى ترتكز على بناء فكرى واضح بعيداً عن الضبابيه.. وبناء نفسى متين يمنحها القدره على مواجهه الصعاب.. وبناء اجتماعى ناجح يمهد لانطلاقتها وحركتها فى الدائره الاجتماعيه.

دال . نساء الطفوف وبالذات السيده زينب عليها السلام كن أنموذجاً رائعاً فى قوه البناء الذاتى ومتانته الذى لم يتهاون أمام الجيش الكبير الذى خرج لقتال الحسين عليه السلام ولم ينهر أمام طاغيه زمانه يزيد أو عبيد الله وغيرهما من العتاه. وهذا البناء الذاتى الصلب فى الله الرحيم بخلقه تحتاجه كل امرأه منتظره فى زمن الانتظار. فلا بد ان تكون هناك أولويات لكى ننجح فى بناء ذواتنا بما يؤهلنا للصمود أمام التحديات المعاصره والمستقبليه.

وبناء الذات يعنى تحرير الإنسان أولاً من قيوده وأثقاله التى تشدّه إلى الدنيا ومن الصفات السلبيه التى تسلب قدراته الإيجابيه كالتكبر والشكوى الزائده وفقدان الثقه بالنفس إلى غير ذلك من معوقات الرقى والتكامل وبهذا تتحول المرأه إلى إنسان إيجابى معطاء يعيش المسؤوليه والتمهيد للظهور معتمدا على كل الآليات المتاحه انطلاقاً من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى غيره.

اما أهم مرتكزات البناء الذاتى الناجح وأهمها فهى:

۱ . ما هى رسالتك فى الحياه ؟. فالمهم ان نعرف من أين وإلى أين وكيف السبيل إلى أهدافنا. فنحن لم نخلق عبثاً وانما نسير نحو الغايه التى خلقنا لاجلها ونحو أهدافنا ولا بد ان نقف عند رسالتنا ونقرأها بوعى مرات ومرات.

۲ . لأرسم صوره مستقبليه عن نفسی کناصره – وناصر – للإمام وانا حالیاً فی طریق التمهید ولأتعرف علی احتیاجاتی المطلوبه للوصول إلی الصوره العلیا..

۳ . نساء الطفوف هن القدوه الحسنه لی فی مسار الانتظار، لأتعلم کیف انصر الامام وکیف اصون المقدس وکیف اعیش نکران الذات.

۴ . لأتعرف علی نفسی وارسم خارطه لمواقع الضعف عندی ومواقع القوه وآلیات التغییر فلا یمکن ان انجح فی الحیاه ما لم افهم نفسی وقدراتی.

۵ . لاسعی لاکتساب المهارات الحیاتیه المهمه کالثقه بالنفس وقوه الإراده وأدب الحوار والإقناع والاستماع والتقدیر والاحترام والاخوه والصداقه والتعاون وآلیات الاستثمار والتخطیط النافع، وآلیات حل المشکلات، وآلیات تنظیم الوقت إلی غیر ذلک.

۶ . البناء الروحی مهم للغایه فعلاقتی مع الله تؤثر علی حجم مواجهتی للخطوب وعلی ثباتی علی مبادئی، ولا بد من تدعیم البناء الروحی بالذکر وتلاوه القرآن الکریم واداء الفرائض والمواظبه علی صلاه اللیل وتعزیز الشعور بمعیه الله.

۷ . لأعوّد نفسی علی تحمل المشاق والتعامل الصحیح مع الضغوطات واتخلی عن ساعات راحه احبها.. لابد من ان أقوم بتجارب صعبه ربما ساواجهها مستقبلاً. – لنعود أنفسنا التکیف الذکی مع المواقف والأحداث التی تمر علینا. فالحیاه لا تسیر علی مسار واحد؛ إذ فیها تغییرات وتناقضات وأمور ساره ومحزنه إلی غیر ذلک، وهناک من یصاب بالصدمه والسکته والذهول والضیاع حینما یعترض مسیر حیاته عامل ما یؤدی إلی تلکؤ الروتین الذی اعتاده، وهناک من یوطن نفسه علی الوصول إلی أهدافه رغم التحولات.. لاتصور تغییرات فی حیاتی، مشکلات، صعود فی سلم الحیاه، کیف سأکون ثابته أمام التحدیات؟.

۸. لاعّود نفسى على الاهتمام بأمور المسلمين ..لاتابع نشرات الأخبار، لأحضر فى المناسبات المهمه مع الناس كمراسم الدعاء والزياره، ولاشملهم بالدعاء والاستغفار فى صلاه الليل.

۹. لاحرص على الاستزاده من العلم والمعرفه فنساؤنا ـ بل وحتى رجالنا ـ مع الأسف يعشن اما أميه كتابيه واما اميه معرفيه سواء فى إطار المعرفه الدينيه أو المعرفه الاجتماعيه بل اننا نجد نساء حاصلات على شهادات عليا من أرقى الجامعات ولكنهن لا يستطعن تلاوه بعض الآيات القرآنيه بشكل صحيح!!، والثقافه للرقى وليست للاسترخاء والتباهى. فزينب عليها السلام لم تكن بنت عاشوراء أو وليده الطف بل عاشت آلام الرساله وأحداثها الصعبه والمره منذ وفاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى شهاده أمها، ثم ابيها ثم أخيها.. ولما جاءت إلى كربلاء كانت مدرسه للعلم والثقافه والشجاعه.

۱۰. لاصون هويتى.. فقد كانت لنساء الطفوف هويتان:

الأولى: إنسانيه ظهرت واضحه فى أداء مسؤوليات الاستخلاف والرغبه فى ترشيد المجتمع نحو الله والرحمه والسمو على عوامل الجذب الدنيويه وإلى غير ذلك..

الثانيه: هويه نسائيه ظهرت من خلال حرصها على حجابها، وتقبلها لذاتها وعدم مطالبتها بأدوار ذكوريه.

ولا بد للمرأه المسلمه المنتظره ان تعيش كلا الهويتين وتسعى للحفاظ عليهما دون افراط أو تفريط.

۱۱. الحضور الاجتماعى.. فنساء الطفوف لم يعشن الانزواء لا قبل الفاجعه ولا بعدها فقد كانت للسيده زينب عليها السلام مجالسها مع النساء بهدف التوعيه والإرشاد قبل الثوره وإقامه مجالس العزاء للنساء بعدها. كما انها تواصلت مع شريحه الثكالى

والأمهات المفجوعات ومع الشرائح الأخرى ولم يكن الحضور صورياً أو شكلياً بل كان حضوراً واعياً وذكياً.

إذن يكون حرصنا الاكبر في ان يكون لنا حضور في الساحه الاجتماعيه ولنبتعد عن الانزواء فانه تبديد للطاقات وتجميد للحركه.

هذه المشاركه والحضور الاجتماعي تسهم في:

ألف . التعرف على المشكلات الاجتماعيه وبخاصه فيما يرتبط بوضع النساء.

باء . ينمي الشعور بالمسؤوليه تجاه الأُخريات وينمي المهارات الاجتماعيه.

جيم . الحضور الاجتماعي يخفف من الانانيه والانغلاق على الذات.

دال . يُسهم في إيصال ثقافه الانتظار إلى الاخريات. وفي دعم ثقافه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمهد للأعمال الصالحه.

وواحده من أهم أبواب الحضور الاجتماعي هي المشاركه في الشعائر الحسينيه وبكل أشكالها سواء في زياره الرسول والأئمه عليهم السلام أو في حضور مسيرات عاشوراء أو الاربعين والمجالس الحسينيه والتي لم تصل بعد الى مستوى الطموح لكنها مازالت مؤثره على شرائح كثيره من النساء. وتعد هذه كلها محطات تجميع الأمه وتحشيد الطاقات وتمثل روافد فكريه تعمل على زياده الارتباط مع التاريخ ومع نساء الطفوف ومع عقيده الانتظار.

١٢- اغتنام الفرص: فلقد كانت فرصه طيبه في ان يسلم وهب النصراني على يد الامام وان يحظى بشرف الشهاده. وكانت أيضاً فرصه لزهير ودلهم وطوعه في ان يسجلوا موقفا خالداً ولم يفكروا يوما في ذلك، ولكنها فرصه جاءت اليهم لتكسبهم شرفاً وخلوداً, وإضاعه الفرصه غصه والفرص تمر مر السحاب فلابد ان نعرف كيف نصونها ولهذا من الانسب ان لا نتعود رد الفرص أو قول (لا) لكل مهمه تعرض علينا.

نساء الطفوف.. القدوه الخالده

السيده زينب عليها السلام .. المثل الأعلى للمرأه المسلمه

واحـده من أهم سـبل العروج نحو الرقى والتكامـل هو وجود المثـل الأعلى والقـدوه الحسـنه للفرد والـتى تخرج الفرد من قواعد التنظير والأفكـار الجامـده وتحولهـا إلى إطار الواقع التطبيقى والصوره الحيه للمفهوم وللفكره. وبهـذا يكون دور القـدوه الصالحه دوراً تربوياً عالياً فى التعريف بالنموذج الذى تسـعى اليه النظريه الفكريه. كما انه أسـلوب سهل يزيح العوائق التى يتصورها الفرد أمـام رقيه وتكـامله، من حيث ان هـذه الصوره التطبيقيه تعطى للإنسان الأمل فى امكانيه تحقيق النموذج السامى وتعرّفه بالوسائل والآليـات الواجب اتباعهـا فى هـذا المضـمار وبهـذا توجّه إراده الإنسـان نحو مسـيره الكمال المنشود. ولولا وجود النموذج الحى والصوره التطبيقيه للنظريه الفكريه لبقى الإنسـان فى موضـعه حـائراً لا يـدرى ما هى صوره النموذج والمثل الأعلى وما هو السبيل إليه بل ربما لا يكلف نفسه عناء الرقى والتكامل.

ولهـذا اهتم القرآن الكريم بأمر القدوه الصالحه وعرض النماذج العليا فى القدوات المعصومه والتى تمثلت بالأنبياء عليهم السـلام وبخاصه النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)).(١)

((أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)).(٢)

أو فى نماذج عليا للنساء كما هى الصور التى عرضها القرآن الكريم فى نماذج

١- سوره الاحزاب، الآيه ٢١.

٢- سوره الأنعام، الآيه ٩٠.

الصالحين والصالحات كامرأه فرعون ومريم واللتين ضربهما القرآن مثلًا كنماذج للقدوه الحسنه لكل الذين آمنوا – من الرجال والنساء – وعلى مر العصور.

قال تعالى:

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَهَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّهِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۱۱) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)).(۱)

وهذه القدوات المعصومه المطلقه الخاليه من الزلل هى نماذج ثابته، خالده، ليس فيها اختلال أو تضارب بل هى قمه النماذج الإنسانيه، وتصلح جميع جوانب حياتها وسلوكياتها لتكون نماذج حيه وثابته لكل عصر وزمان.

وهناك قدوات غير معصومه وغير مطلقه ولكنها أيضاً نماذج عليا، وصور عظيمه اقتدى بها الناس ومازالوا مثل سميه ونسيبه ودلهم.

ولعلنا الآن نلمس استتباعات الحرب الفكريه وصراع العولمه الذى يبغى تثبيت نماذج مهزوزه للقدوات فى الفنانين والراقصات ونجوم السينما وغيرهم ومحاوله تشويه نماذج القدوات التى رسخت فى الوجدان الشعبى تحت مسميات وصور هزيله.. وهذا ما يبرر لنا سعى اعداء الإسلام على مر التاريخ لطمس صوره الإمام الحسين عليه السلام وصوره انصاره وتشويه معالم البطولات وتحريفها بما هو مشوه وضبابى.

ومن البديهى ان طرح نموذج القدوات الضعيفه أو السيئه، – بعض العلماء لا يسمى القدوات السيئه بهذا الاسم بل يعرضها تحت عناوين المحاكاه والتقليد –، يقطع

۱– سوره التحريم، الآيات ۱۰ – ۱۲.

العلاقه مع البناء التاریخی المتین وینهی أواصر الترابط مع النماذج الخالده كما انه یمهد إلی تحدید صور ضبابیه للرقی الإنسانی فی نماذج واهنه تدور ضمن إطار الأهداف المادیه والدنیویه وضمن دائره الجسد والشهوه والهوی وهذه كلها قواطع وموانع تحول دون الوصول للمثل الأعلی المطلوب وهذه هی إحدی الكوارث التربویه التی نعیشها والتی جند لها الإعلام اللا دینی كل اجندته وآلیاته للنجاح فیها.

نساء الطفوف ... القدوه الحسنه

تشكل منظومه نساء الطفوف منظومه كامله لكل نماذج القدوات الحسنه، ومنظومه سامیه فی تقدیم المثل الأعلی الصالح لكل زمان ومكان. وهؤلاء النساء العظیمات وعلی رأسهن السیده الحوراء زینب علیها السلام عقیله الطالبیین هن النموذج الحی للرساله فی كل زمان وبخاصه فی زماننا حیث التحدیات الصعبه والمجابهات الفكریه فی أعلی المدارج هؤلاء النساء لسن شخوصاً عشن ومتن.. لسن نساء عبرن أیاماً وسنوات إلی نهایه الأمد بل یمثلن رؤیه الإسلام والإمام علیه السلام للمرأه ویمثلن منطلقات للمرأه المسلمه المعاصره فیما یجب ان تكون علیه.

هؤلاء النساء عشن الحریه بكاملها لم یذعنَّ للحاكم ولم یخضعن للسلطان ولم تُزِدْهُنَّ حراب الأسر والأذی إلا تصمیماً علی إدامه المسیر حتی یأتی الله بأمره.. وقد نعیش الاغتراب عنهن حینما نذعن للنفاثات فی العقد، وللمضللین من شیاطین الإنس والجن، وحینما نساوم علی العقائد من أجل دنیا فانیه ومتعه وقتیه زائله.

لقد عاشت هؤلاء النساء الاهتمام الفكری بالأمه المسلمه، وكیف السبیل إلی بیان الحقائق لها وكشف الوجه المشوه للحاكم الأموی وأعوانه وعشن أیضاً الاهتمام الحركی بالأمه المسلمه المغلوب علی أمرها آنذاك فی كیفیه انقاذها وإحیائها وبیان محطات العز لها وكیف تحیا بكرامه دونما ذل أو عبودیه..

فمن ناحیه تعرض نساء الطفوف نماذج لقدوات متعدده الأدوار. حیث نجد الأمهات الفدائیات من أمثال أم وهب وأم عبد الله الکلبی ورمله.. واللائی دفعن أولادهن للتضحیه فداءً للإمام الحسین علیه السلام ونجد أمهات لا یسألن عن أولادهن الشهداء بین الضحایا کالسیده زینب علیها السلام؛ لأنهن کان الشغل الشاغل لهن فقط فی صیانه الإمامه. وهناک نماذج سامیه للزوجات الصالحات فدلهم زوجه زهیر بن القین وزوجه حبیب بن مسلم کن زوجات حبیبات ومحبات یدفعن أزواجهن للموت لنصره الإمام علیه السلام رغم ما فی الفراق عن الحبیب من لوعه. ونجد الرباب زوج الحسین علیه السلام نموذجاً متألقاً. هذه المرأه التی یقول فیها الإمام:

لعمرک إننی لأحب داراً

تحل بها سکینه والرباب

تراها تعیش کل صور الأذی وفی اجواء الحرب الظالمه تعیش لوعه أبناء یستغیثون من الظمأ وتری ولدها الرضیع مذبوحاً وابنتها تتلوی من العطش وزوجها الحبیب یجود بنفسه ولا من معین، وهی فیما بعد تقاد أسیره ویبحث عنها العدو اللئیم ضمن قافله السبایا متشمتاً بقول الحسین فیها.. هذه الزوجه الصابره لا نسمع لها شکوی أو عتاباً مع الزوج أبداً بل کلها مشاعر جیاشه نحو الاحبه الذین صرعوا علی أرض المقدسات. نجد الرباب نموذجاً سامیاً فی الزوجه الحانیه التی تقف إلی جوار الزوج حتی بعد استشهاده وتجتر آلام الفاجعه دون ان یکون لها شکوی فهی المؤمنه بأهداف الحسین الصابره علی جهاده وعلی أمره بالمعروف ونهیه عن المنکر.. وقد تکون صوره الرباب الزوجه المواسیه حاضره لدی الکثیرات من النساء اللائی یرون أزواجهن منصرفین لهموم الرساله ولا یجدون الوقت الکافی لأن یکونوا مع أسرهم.. ولکن ان تری الزوج والولد بهذه الصوره وان تحضر مجلس الأعداء فذاک أمر آخر.

وفی نساء الطفوف نجد النماذج العلیا للشابات فی فاطمه بنت الحسین علیه السلام

والتی القت خطبتها فی الکوفه أمام الناس الذین تلکأوا عن نصره الإمام وبکل قوه وثبات وهی الاسیره المرهقه وهی الوحیده التی تکلمت من بنات الإمام بعد استشهاده، هذه الیتیمه القت من جوفها حمماً علی المتخاذلین فتحولت تلک الحمم إلی وقود یشعل بیارق الثوره.. وتجد کلماتها لا تقل فصاحه أو قوه عن باقی الخطب فهی نموذج سامٍ فی الوعی والمعرفه وفی نصره الرساله والعقیده ضمن شعار الکلمه وضمن شعار القیم التی حملتها فتراها تلجأ الی عمتها زینب علیها السلام ما ان بان لها طیف من هوی الشامی الذی ارادها جاریه. فما کانت والعیاذ بالله من أولئک الذین ارتأهم الشامی بل کانت أجل واسمی لکن کم هو مؤلم ما سمعت من کلام وهی قمه فی الطهر والعفاف وهی الحره الأبیه، وما احوج شاباتنا اللواتی تستغرقهن غوایه الموضه والسفور والتشرنق حول دائره المکیاج والملابس إلی ان یعشن صوره الشابه التی هی مثلهن فی العمر وربما فی الرغبات لکنها عاشت أهدافها العلیا المقدسه وصانت قیمها رغم قله الناصر وأدت ما انیط بها من دور إعلامی جلیل بکل قوه وجداره فی زمن نحس مکفهر.

أما الشابه الأخری وهی سکینه بنت الإمام فلم تکن أقل شجاعه عن اختها وهی أیضاً نموذج للشابه المؤمنه المحافظه علی حجابها وایمانها حتی فی مواقع الخطر.. ونموذج للشابه التی لا تعیش التذمر رغم کل المصائب التی مرت علیها، ما نسمع لها عتاباً وذماً وهروباً من واقع ثقیل المأساه أبداً بل هی البطله الثابته المبادئ الراسخه الإیمان.

أقول فی نفسی: ما احوج شاباتنا الیوم للتأسی بهؤلاء الشابات العظیمات اللائی – رغم صغر سنهن – عشن أدواراً صعبه وأهدافاً علیا وکن نموذجاً للمرأه التی تسمو علی الشهوات والاهواء.

وهناک نسوه لم یکن بقوه أسره المعصوم أو کفاءتها لکنهن قدمن العظیم والکثیر

فهذه طوعه الشجاعه الابيه تنصر مسلماً وتؤيده في وقت خذله صناديد الكوفه. وعجباً للتاريخ الذى سجل لحظات النصره هذه لتكون وساماً خالداً لهذه المرأه القويه في دينها الثابته على ولائها والتى لم تصبح ضحيه الأهواء كما كان ابنها وغيره من الرجال.

وكان التاريخ – ومازال – ينسب الغوايه للنساء ويصفهن بقله الإيمان وتزحزح العقائد والذوبان في الهوى وهى تهمه غادره اراد الرجال من خلالها ان يبرروا فيها ضعفهم وانزلاقهم في الشهوات. وطوعه قالت عكس ما قالوا وثبتت في التاريخ قوه الشخصيه لدى المرأه المسلمه.

هؤلاء القدوات الصالحه يعلمننا ان نتحرك دون شكوى أو تذمر أو استياء وان ننتهز الفرص من أجل التغيير والإصلاح في أمه المصطفى. واذا كنا نفكر كم نتبوأ من مساحات في الحيز الاجتماعى فهذا ما لم تفكر فيه هؤلاء النساء إذ كانت حركتهن خالصه لله ومع الله وإلى الله ولابد ان نتعلم وان تكون لنا اذن واعيه.

الشهيده بنت الهدى ..نموذج معاصر

لم تجرِ العاده ان يكتب الرجل في كتبه ومؤلفاته باسم غير اسمه أو التعويض باشاره عنه؛ لأن العرف يدعمه ويسانده في تعريف نفسه. أما المرأه فغالباً ما يكون نجاحها محاصراً معسراً ولهذا كتبت بنت الهدى باسم مستعار يكنّى عن هويتها النسائيه لا أكثر. ورغم ذلك فقد حورب هذا الاسم النسائى ضمن اطروحات العلماء المتصلبه؛ إذ كيف يمكن لهذه الانثى ان تقتحم قلاع العلماء الكبار فتأخذ منهم سطوراً وصفحات كانت مقصوره عليهم!. وهذا الامر عاشته المرأه الغربيه قبلها فقد كتبت جان ساند باسم الرجال رغم انها كانت إياها لا إياه!. فالذكوريه كانت حاكمه ومسيطره على العقل المجتمعى.

ولكن بنت الهدى رحمها الله كانت اقوى من التحديات المعاصره فكتبت ونشرت

كتبها النسائيه فى زمن الهجمه الشيوعيه المحاربه للإسلام وفى وقت تفرغ فيه علماؤنا الاعلام للرد على الفكر الشيوعى وحمايه الفكر الدينى بشكل عام، تبنّت الشهيده احياء وتوعيه عقل المرأه المسلمه ووقايته من التلوث الزاحف وتقديم القناعات القويه لها حول دينها وإسلامها. وكانت ضمن حركه دؤوب بين أطياف المجتمع العراقى فنشرت فكرها فى الحيز الجامعى واستقطبت طالباته وقدمت لهن الرؤيه المعاصره للإسلام والذى يريد للمرأه ان تكون واعيه متسلحه بالمعرفه والعلم (طلب العلم فريضه على كل مسلم ومسلمه) لكن ضمن القيم الإسلاميه. اعدت الشهيده جيلاً من النساء المؤمنات الصالحات اللائى حملن مشعل التغيير والإصلاح وانطلقن يكملن برنامجها الإسلامى الكبير حتى ظهر الخط الإسلامى الواضح من خلال انتشار ظاهره الحجاب فى الوسط الجامعى وفى أوساط الأثرياء والفقراء على حد سواء. وكانت ظاهره مميزه وجهت رساله واضحه للحكام والشياطين بابطال اجندتهم الفكريه التى رصدوها لحرب الإسلام وتشويه أفكاره وقيّمه الحضاريه.

ولهذا سارع نظام صدام المقبور إلى انهاء حياتها كى ينهى صوره معاصره للمرأه المتسلحه بالعقيده وهى تدافع عن العقيده. صوره لامرأه آمره بالمعروف ناهيه عن المنكر فى زمن الضباب والتضييق.. قتلها صدام لكى لا تسير على خُطى زينب فتنطلق فى دور إعلامى واسع ينشر لواء الإسلام عالياً فى سماء أرض الطفوف بعدما ألبت الناس على النظام من خلال انتفاضه رجب(١) فلابد ان يقطع هذا الدور.

ان الكفر الحاقد لم يبق لها جسداً ولا أثراً سوى تلك الصفحات المكتوبه فى

١- فى انتفاضه رجب عام ١٩٧٩ اعتقل المرجع السيد محمد باقر الصدر فما كان من السيده آمنه الصدر اخته إلا أن تحضر الحرم الحيدرى وتعلن نبأ اعتقال السيد وتدعو الناس للجهاد ولنصره المرجع الصدر، فخرجت المظاهرات فى أنحاء العراق ضاغطه على الحكومه فى الافراج عن السيد وهذا ما حصل.

أوراقها القديمه.. لكن طالباتها مازلن ينشرن لواء الإسلام فی ارجاء المعموره مستفيدات من كل الآليات المتاحه.

ان بنت الهدی صوره معاصره ومشرقه للمرأه المسلمه ولادوارها الزينبيه فی زمن التحديات الصعبه. ولعل هناك صوراً أخری لا تقل عن هذه الصوره لكنها غائبه أو مغيبه (كما غاب الألوف من الرجال فی سجن الحجاج).. انها ثمره العطاء الزينبی الخالد لعاشوراء عام ۶۱ ه.. إذ لم تكن ثوره الحسين وكلمات زينب لوقتها وزمانها وأرضها المحدوده إنما كانت لكل الأمه علی مر الأزمان والتواريخ.

كيف تبقی صورهم فی الذاكره؟

نحتاج إلی ان نحافظ علی هذه النماذج الساميه فی القدوات الصالحه وان نبقی وهج أنوارهم فی نفوسنا.. ولا بد أولاً ان نفهم هؤلاء النساء ونعرفهم ونعرف أدوارهم وكيف ضحين وجاهدن فی الله حق جهاده.

ولا بد لنا – كمربين – ان نستعين بكل ما من شأنه ان يحفظ هذه الصوره النبيله عبر استخدام التقنيات المعاصره والاصرار علی حمايه المنبر الحسينی بتقديم هذه النماذج بشكل دوری ودائم كی لا يضعن فی غيابت النسيان.

لابد من التعريف بشخوصهن وأدوارهن وزرع القوه فی نفوس بناتنا ونسائنا بأنهن قادرات علی إعاده الأدوار الكريمه وعليهن التعرف علی آليات النجاح التی اتبعنها.. لابد أولاً ـ ان نعرفهن علی قوه المرأه المسلمه وقوه شخصيتها ولكننا – مع الأسف – ظلمناهن.

فهذه هی مشكلتنا الإساسيه، فلقد حرصنا علی الدوام علی تصوير هؤلاء النساء اللائی كن جبالاً فی الشجاعه والصمود والثبات. حرصنا علی تصويرهن علی انهن نساء عاجزات ضعيفات لم يكففن عن الشكوی والعتاب مع الاخ والزوج والابن

وشـتان بين الصورتين.. وهذا لعمرى ظلم كبير!..ولقد حرصنا دوماً على تقديم صور النساء فى الفاجعه لاستثاره العواطف واشعال المشاعر وهـذا ما جعلنا نقفز على كل ما هو صـحيح وواقعى من أجل دموع قلائل. كسـرنا هؤلاء القدوات حينما جعلناهن نماذج سلبيه جامده واقتربنا منهن فقط ضمن دائره المأساه والمواساه لا أكثر.

ظلمنـا هؤلاـء العظيمات حينما فكرنا ان نقترب من الإمام ونسائه لا من موقع الثوره والتغيير والانتصار الحتمى الخالـد بل من موقع الانكسار والبكاء والندب الجاحد الذى يميت هؤلاء العظيمات فى دوائر الانهيار.

ظلمنـا هؤلاء النساء حينما جعلنا الحواجز بيننا وبينهن واسـعه وبعيـده فهن غائبات عن حياتنا إلا فى دائره البكاء.. لقـد وسـعنا قبور هؤلاء العظيمات فهن فى وعينا كائنات ميته ماتت بعد بكاء طويل وشكوى مستمره!.

ظلمنا هؤلاء النساء اللائى عشن الحرص على الإسـلام والإمام والأمه كلها.. ظلمناهن لما عشـنا همَّ أنفسـنا وذواتنا بعيداً عن هموم الأمه الكبيره وهموم الإسـلام الـذى يذبح من منحره كل يوم ربما مئات من الحسـينيين والزينبيات... ورغم ان نساءنا اليوم يعشـن الكثير من المشـكلات والتصدعات فى جدران الهويه والهدف والطموح لكنهن لم يتعلمن آليات التعامل مع هذه التصدعات من خلاـل صور نسـاء الطفوف أنفسـهن!.. أو ليس هـذا ظلمـاً كبيراً لهؤلاـء النسـاء الخالـدات؟.. والأـدهى والأـمّر اننـا نسـتجدى من الاخريات ممن هن أقل شأناً وحظاً وديناً ما نتصوره ناصراً لنا على مشكلاتنا. وهذا ظلم أكبر من سابقه.

ربما نبكى زينب عليها السـلام ونذرف عليها دموعاً متتابعات لكننا نقتل فى كل يوم وليله الف زينب من خلال اسـتهانتنا بمبادئ ديننا، بمواقيت صـلاتنا، بحجابنا، بقيمنا، باهتمامنا بمعرفتنا.. نقتل زينب حينما نعيش اسـتغراق الصوره والمظهر لا اسـتغراق الـدين والعلاقه مع الله.

نحن نقهر أنفسنا على الذوبان ضمن الصوره الجسد وننسى ان زينب عليها السلام كانت عظيمه حره أبيه طفرت على كل ابعاد العبوديه التى تطوق نساءنا المعاصرات. لم تكن واحده من نساء الطفوف تعيش القهر والجبر على الحضور إلى كربلاء أو على القيام بأدوارها الرساليه العظيمه وعشنا نحن قهر الموضه وقهر العادات والأعراف فبقينا نرزح تحت قيود العبوديه دهراً طويلاً.

وإذ اننا نعيش كل هذا الظلم الكبير لهؤلاء النساء، فكيف نستطيع ان نضعهن فى سلم الاقتداء الصاعد عبر الفكر والمنهج وليس فى سلم الاقتداء الجامد عبر العواطف الميته؟.. وإذا ما حررنا هؤلاء النساء فى وعينا وذاكرتنا وأخرجناهنّ من سجن ظُلمنا إياهن فحينئذ نستطيع تحفيز القدوه فى سلوكنا وسلوك الآخرين.

لنتعلم أولاً ان نبكى على الحسين وأنصاره ونسائه لا من أجل الثواب والأجر – وان كان هذا مطلوباً بحد ذاته وتشجع عليه الرساله – لكن من باب ابراز الحاجه والعوز إلى محطات الانطلاق كى ننطلق كما انطلقوا.

الفصل الرابع: سیده الطف الأولی

اشاره

السیده زینب بنت علی بن أبی طالب علیهم السلام

اشاره

فی العـام الخـامس للهجره، تطایرت نسائم الفرح فی أرجاء البیت الفاطمی وقـد غمره السـرور وفاضت به البهجه بمیلاد الحفیـده الأولی للرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم وها هی الزهراء علیها السلام قد تهللت أساریرها واشرق وجهها وهی تحتضن المولوده الصـغیره متأمله البراءه العذبه المرسومه علی محیاها الصـغیر.. وانتشـر خبر ولاده الحفیده الأولی فی أرجاء المدینه کما ینتشر عطر المسک الزکی وتسـلق جدران مسـجد النبی صـلی الله علیه وآله وسلم لینتشر بین جنباته وأرکانه وها هو علی بن أبی طالب علیه السـلام وصـی رسول الله وأخوه وابن عمه یتلقی البشـری فتهفو نفسه لرؤیه المولوده المبارکه فیترک المسجد ویحث الخطی إلی البیت یتبعه ولـداه الحسـنان علیهمـا السـلام سـبطا هـذه الأـمه وریحانتـا رسول الله وسـیدا شـباب أهل الجنه لیریا اختهما الصـغیره وقدکان الحسین علیه السلام یکبرها بسنتین.

حمل علی علیه السلام الطفله بین یدیه.. تأمل وجهها الباسم وطبع علی جبینها قبله وقرأ الأذان والإقامه فی اذنیها. وتسابقت النساء تزف له التهـانی بالزهره المتفتحه فی البیت المحمـدی سـلیله الزهراء وخـدیجه الکبری علیهما السـلام.. وتساءل الجمیع عن اسـم هذه المولوده؟ فسـکت علی والتفتت إلیه الزهراء علیها السلام وقالت سمّ هذه المولوده فقال: ما کنت لأسبق رسول الله وکان فی سفر له. ولما جاء النبی صلی الله علیه وآله وسلم سأل عن اسمها فقال صلی الله علیه وآله وسلم ما کنت لاسبق ربی تعالی، فهبط

جبرئیل یقرأ علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم السلام من الله الجلیل وقال له سمّ هذه المولوده زینب فقد اختار الله لها هذا الاسم. وزینب تعنی زین أبیها وکانت حقاً زین ابیها وأمها وزین رسالتها ودینها.

مناقبها الفاضله

وفی هذا البیت الذی استضاء بأنوار الرساله المحمدیه وثبتت أرکانه علی دعائم التوحید شبّت زینب وترعرعت لتکون تربیتها علی ید سیده نساء العالمین فاطمه بنت سیده نساء العالمین خدیجه علیها السلام وعلی ید سید الأوصیاء وقائد الغر المحجلین والسابق إلی الإسلام علی بن أبی طالب علیه السلام، وهکذا رضعت زینب من ثدی الإیمان وتغذت من مائده الرساله؛ لترتقی السلم الإیمانی لتکون حقاً عقیله بن هاشم - والعقیله هی المرأه الکریمه فی قومها - فالاستعداد الفطری للکمال موجود عند الجمیع ویمکن الوصول إلیه عن طریق التربیه الصالحه والتوجیه والجهد والاکتساب، وإذا کان عدد قلیل من النساء قد وصلن إلی مرتبه التکامل الإنسانی علی مر التاریخ فلیس هذا بسبب القضاء أو القدر أو الضعف البدنی بل بسبب الإهمال لعناصر القوه والوعی فی تربیه الشخصیه (فالمرأه بحاجه إلی تنمیه شخصیتها وبنائها علی أساس تقویه الطاقه العقلیه لدیها بالتجربه الحیه والمعرفه الواسعه ولا بد من وجود النمو العقلی والعملی والحرکی لها).

ولقد توفرت لزینب علیها السلام کل أسباب التربیه الناجحه، ولهذا فنحن لا نجد فضیله إلا وزینب علیها السلام فی قمتها فمن زهدها انها کانت - علی ما رواه الإمام السجاد علیه السلام - انها ما ادخرت شیئاً من یومها لغدها أبداً.

وکانت علیها السلام تقضی عامه لیالیها بالتهجد وتلاوه القرآن وما ترکت صلاه اللیل حتی فی لیله الحادی عشر من محرم رغم شدتها.

وعن عماد المحدثین: ان زینب علیها السلام کانت تروی عن امها وأبیها

وأخويها وقد روى عنها ابن عباس وعلى بن الحسين وعبد الله بن جعفر.

وكانت عليها السلام من أكثر نساء أهل البيت جرأه وبلاغه وفصاحه وهذا واضح من خطبها فى الكوفه والشام.

وعن الصدوق محمد بن بابويه (طاب ثراه):

كانت زينب عليها السلام لها نيابه خاصه عن الحسين عليه السلام والناس يرجعون إليها فى الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين من مرضه.

وفوق كل هذا فقد كانت على قدر كبير من العلم والمعرفه وكانت لها مجالس لتعليم النساء القرآن الكريم فى الكوفه ما بين عامى ۳۵ - ۴۰ ه، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ان لها دوراً كبيراً فى عمليه التوعيه النسائيه، وهذه العمليه المهمه والخطيره تحتاج إلى المرأه المثقفه الواعيه العالمه بشؤون دينها والأمه نفسها تحتاج إلى هذه العمليه لتحريك العنصر النسوى والقضاء على الجهل بين صفوفهن.. وخلاصه ما قلناه ان زينب الحوراء عليها السلام كانت صنوان أمها فى طيب الخلق وحسن السجايا وكانت تشبه اباها فى قوه القلب فى الشدائد والثبات عند النائبات والصبر على الخطوب القاسيات.

زواجها المبارک

ولعظم مناقبها وكرم أخلاقها العاليه فقد خطبها الكثيرون فردّهم الإمام عليه السلام بحثاً عن الكفوء الذى يليق بهذه المرأه العظيمه، ولم يكن هناك اجدر من ابن اخيه عبد الله بن جعفر بن ابى طالب الذى كان أول مولود يولد فى الإسلام فى أرض الحبشه التى هاجر إليها أبوه جعفر وامه اسماء بنت عميس مع جمع من المسلمين. وكان جعفر من احب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عاد من الحبشه إبان فتح خيبر فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقبله وهو يقول ما ادرى بأيهم انا اشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر.

زینب... المرأه الصابره

ابتداء من عصر عاشوراء تنتقل المهام الاساسیه للسیده زینب علیها السلام .. فقد اصبحت هی مدیره القافله ذلک ان الرجل الوحید الذی بقی من أهل بیت الحسین علیه السلام فی کربلاء کان الإمام زین العابدین، إذ کان فی حاله صحیه متردیه.(۱)

ان المقام الشامخ لزینب علیها السلام انما تبلور فی الواقع من عملها التبلیغی.

ولقد استطاعت زینب علیها السلام التغلب علی عواطفها فی اللحظات الحرجه وکان من الممکن ان تنهار لعظم الفاجعه ولکنها صمدت وسیطرت علی مشاعرها واحاسیسها لتعطی صوره المرأه الصابره الثابته التی تفوق صلابتها الجبال الراسیات.

زینب علیها السلام خطبت فی الناس وکانت فی منتهی الحیاء والعفه والعظمه وبذلک تکون قد عجنت فی شخصیتها حیاء المرأه وشجاعه علی.(۲) یقول الراوی ولم ارَ والله خَفِره قط أنطلق منها.(۳)

أظهرت السیده زینب علیها السلام درجه عالیه من التسامی من خلال التحول إلی الأهداف العلیا التی انطلق من أجلها الإمام علیه السلام فی نهضته ویبدو ذلک من مواقف عده فقد مر بنا فی أدوار نساء الطفوف فی دور المتابعه والحمایه والذی یکاد یکون خاصاً بالسیده علیها السلام نری سؤالها ومتابعتها لشؤون الإمام والاخوه ولکن لا ینقل المؤرخون أی شیء عن سؤالها عن أولادها الذین استشهدوا فی الواقعه.. لقد کان الإمام کل همها وکل حیاتها ولکن لیس بمعنی الأخ فحسب بل کان بمعنی الولی الشرعی والإمام المعصوم والقائد الأول.

۱- مطهری، الملحمه الحسینیه، ص ۲۵۳.

۲- مطهری، الملحمه الحسینیه، ص ۲۵۶.

۳- المقرم، مقتل الحسین.

وهـذه مرتبه عاليه تشـير إلى عِظم نكران الـذات وتبلور المهم نحو الاهم والـذوبان فى الهم الأكبر ولعل نكرانها لذاتها واهتمامها بشؤون الرساله والإسـلام يبدو واضـحاً منذ البدايه حيث اصرت على ان تكون معه، وهى تعلم مشقه السفر وغياب الراحه والأمان فيه. لكنها انطلقت من موقع حاجه الرساله إلى وجودها واهميه دورها فى كربلاء.

كما ابدت السـيده مهاره عاليه فى قياده إداره شؤون القافله الحسـينيه وتولّيها بعد استشـهاد الإمام الحسـين عليه السلام حيث كان الإمـام زين العابـدين عليه السـلام مريضـاً آنـذاك فمـا هو معروف ان الأزمـات والخطوب تُعَـدَّ المرآه العـاكسه لشخصـيه الفرد، فالشخصـيه لا تبدو ملامحها وخصوصـياتها وقدراتها إلا فى الظروف الصعبه وفى المحكات الحرجه وهذا ما يقوله الشيخ مطهرى رحمه الله: لم تكن زينب عليها السلام شخصاً فى التاريخ ولكنها انطلقت لدعم الحق الذى عرفت أهله لتكون كلمه الله هى العليا.

فالتاريـخ انما يـدون حركه الـذين يتركون بصـماتهم عليه وواحـده من البصـمات الموجوده هو دور القاده والمـدراء فى الحركه العامه. ونحن إذا تتبعنا التاريخ نفسه فماذا يحدثنا عن خلافه مروان الحمار غير الحماقه والذل، وماذا يزيد على خلافه سـليمان بن عبـد الملك غير الشـره والظلم اللا محـدود. ويمكن ان نتابع الشأن الادارى والقيادى للسـيده زينب عليها السـلام من خلال عـده أمور:

ففى الأوقـات الحرجه واللحظـات العصـيبه، عـاده مـا يبحث الناس عمن يلتفون حوله ومن يعينهم فى ذلك الظرف العسـير، وبعد واقعه الطف لم يبق من الرجال أحد إلا الإمام السـجاد عليه السلام والذى كان هو الآخر مريضاً وبحاجه إلى رعايه وعنايه.. كانت هناك مجموعه من الطيور الجريحه والمنكسـره فى الركب الحسـينى وهؤلاء كلهم التفوا حول السـيده زينب عليها السـلام لأمور منها وصيه الإمام الحسين عليه السلام للسيده وتكليفها بهذا الأمر.

لقـد كـانت لزينب عليهـا السـلام مسؤوليتـان: الأـولى ان تعطى النموذج الأـعلى للمرأه المسـلمه فى ان تكون اكـبر من المصـيبه. والأخرى ان تعطى القوه والصلابه لمن حولها.

وقد كانوا كلهم قبل استشـهاد الإمام وبعده متمسكين بالسيده، فهذه رباب تسلم رضيعها الظامى إلى السيده زينب لتوصله بدورها إلى الإمام الحسـين عليه السـلام، وهذه فاطمه بنت الحسـين عليه السـلام تلوذ بعمتها فى مجلس يزيد، وتلك رقيه ترافقها السـيده حتى وفاتهـا ودفنهـا فى الشـام. وقـد سـمعنا ولاحظنـا مراراً ان كثيراً من الـذين يـدّعون وجود قـدرات قياديه وإداريه عليا لـديهم يتعـثرون أمـام المشـكلات والأزمـات الـتى تعـترض طريقهم وكثيراً مـا ينهـارون أو يبحثون عن ملجـأ يفرون اليه. وبعضـهم يلجأ للانتحـار لأـنه غير قـادر على التكيف مع المشـكلات أو المصاعب التى تعترض سبيلهم، فى حين ان الظروف التى مرت على آل البيت عرّفت بقـدرات السـيده وابانتها إلى العالم الإنسانى كله، ففى الظروف الصـعبه يلتف الأفراد حول نموذج يتعلقون به وهـذا يتطلب الإيمان بقـدره هـذا الشـخص فلا بد وان يكونوا قد عرفوا له مواهب وملكات واخلاقيات عليا. ولابد ان يعرفوا انه يمتلك مقـداراً من القوه التى يعبر فيها عن رأيه بصـراحه دون خوف أو وجل. وان يتخـذ مواقف حاسـمه فى المنعطفات الساخنه (فاطمه بنت الحسـين مع الشامى) (وموقفها من الصـدقات)، وان لا يبـدى ضـعفا اوانهياراً أمام المجموعه كى لا ينهار أعضاؤها الباقون، وهذا هو أحد الأسـباب التى تحدثنا عن مواقع القوه لدى السـيده فى شخصها وشخصيتها وفى قدرتها على اتخاذ الموقف الحازم فى الظرف الصـعب. وهنا سـنمر على صـفه أخرى لـدى السـيده ومواهبها الإداريه والقياديه.. فالإدارى الناجـح والقائد الناجح هو الذى يتمتع بمعنويات عاليه ويقف على أرضـيه صلبه من القوه النفسيه الصامده. وهو - أى القائد والإدارى - لابد وان يطلع على نفسيه موظفيه فيعرف بحساباته وأرقامه كم هى معنويات من هم تحت يديه ليهب لهؤلاء

الضعاف فی المعنویات وذوی الدرجه الدنیا من القوه الذاتیه الباطنیه فیهبهم ما یشد ازرهم ویقوی شکیمتهم ویثبتهم فی موقع الانهیار، ولهذا لم نسمع عن أی موقف ضعیف أو مهزوز أو لا یناسب الساحه المقدسه لآل البیت علیهم السلام.

لقد مرت السیده علی مصرع الحسین علیه السلام ووضعت یدها تحت منحره لتقول نحن آل البیت قدمنا قرباناً لنصره دین الله. ولم تهن ولم تضعف أمام الجند بل اظهرت شجاعتها وصلابتها واخفت دموعها مع نفسها حتی لا یراها عدو أو شامت وبهذا عرفت نساء القافله ما هو المطلوب منهن. فهنا فی قضیه الحسین لیس هناک وقت لاظهار العجز وافراغ الحزن الاجوف، وبهذا قادت السیده زینب علیها السلام القضیه الحسینیه - تحت رعایه المعصوم - فی مساراتها الحاده والصعبه لکنها عبرتها بقوتها وقوه إیمانها بالله تعالی وکانت تهتم بتقویه المعنویات لدی ابناء القافله، ولأن النساء عشن اجواءً قیمیه سابقه فی بیوتهن الأولی فقد کان للعامل النفسی والمعنوی أثرٌ فی صیاغه القیم التی حملها الحسین علیه السلام فی ثورته سواء القیم الأساسیه فی العز والکرامه والتضحیه والصبر والجهاد والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر أو القیم الأساسیه الأخری کقیم صیانه المرأه وحفظ ماء الوجه برد الصدقات وإلی غیر ذلک.(۱)

بل ان معنویاتها العالیه وروحیتها السامیه لتحکی عن عظیم صبرها.. لله درک یا سیدتی.. هی التی مرت علی أجسام الضحایا وهی التی قدمت القربان وهی التی کانت تأنس بصوت الإمام الحسین خارج الخیمه یقاتل حتی إذا انقطع الصوت وجاءته لتراه کومه من سهام!!.. هی تواسی الإمام السجاد علیه السلام لما رأی مصرع أبیه. ولا

۱- زینب ادخلت السکینه فی قلوب الأطفال وهدأت روعهم خاصه بعد هجوم الخیول علی المخیم المحترق وفزع النساء وحیرتهن فی أی اتجاه یتحرکن تأتی زینب المکلوم قلبها لتهدئ هذا الجمع الغفیر ولا یمکن ان ینجح أحد فی هذا الدور ما لم یکن هو مظلّلاً بالسکینه. (مؤسسه البلاغ, نساء هن المثل الاعلی).

أقول ان الإمام – والعياذ بالله – أقل صبر وكيف ذلك وهو شيخ الصابرين ولكنى أقول بقدره هذه المرأه على ضبط عواطفها – فدموعها داخليه – والسماح بالقدر المناسب فى الوقت المناسب لمشاعرها ان تظهر على السطح. فهى تواسى الإمام الجديد الذى آمنت بطاعتها له وتصّبره على مرأى الخطب العسير وتذكره بالعهد القديم .. كانت السيده تواسى الإمام وتواسى الآخرين لكن من الذى واساها وصبرّها وقدم لها العزاء؟!

وتشاطرت هى والحسين بدعوه

حتم القضاء عليهما ان يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه

فى حيث معترك المكاره فى السّبا(۱)

وبهذا فالمرأه القويه الشخصيه القويه الروح والمبدأ القويه فى ضبط العواطف والمشاعر لهى نعم العون للرجل فى ساعه الخطر وفى مساحات الشده، فهذا رسول الله يجد فى خديجه نعم المواسى ونعم العون، وإذ قدمت السيده خديجه للمسلمين مالها فهى قدمت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم تصبرها وتصبيرها، قدمت المشاركه النفسيه فى مواجهه الضغوط وهو احوج ما يحتاج إليه كل مصلح وكل نبى وكل قائد.. وهو ما يعبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالقول:

آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذّبنى الناس وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء».(۲)

وكذلك كانت السيده الزهراء لأمير المؤمنين عليهما السلام.. لقد آمن كلاهما بالقضيه الحاسمه آنذاك قضيه الولايه وقضيه الرساله وقضيه فدك.. كانت الزهراء عليها السلام هى التى تدافع عن حق زوجها – وهو حق الرساله نفسه – وهى التى تعلن استنكارها للظلم والحيف والجور لم يكن مع على رجال كثيرون فى صراعه الأول لكن

۱– المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۰۷.

۲– الصقلانى \الاصابه فى تمييز الصحابه.

الزهراء كانت إلى جواره حتى إذا ما رحلت وقف عند القبر باكياً.

وقد حاصرنا مفهوم القوه فى الكتف العريض واليد الغليظه وفى صوله السيوف. ولكن القوه الذاتيه لدى الإنسان كقوه زينب ناءت عن مضاهاتها آلاف السيوف..

ويرى البعض ان هناك تخوّفاً لدى الرجال من ان تكون المرأه قويه فى شخصيتها ويتصورون القوه فى الجرأه أو الوقاحه وكلاهما مرفوض إنما القوه تبدو فى صيانه المواقف وفى التحكم بالمشاعر وفى دعم الأساسيات العامه التى تريدها الأمه.. وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ الخوف من قوه شخصيه المرأه؟ وقد رأينا بعضهم يسعى لابقاء المرأه بين ظلام الجهل واساطير الخرافه ويتصور انه بهذه الوسيله سيبقى على المرأه فى قبضه يده - يا للعجب - كأننا نعيش فى غابه لابد من قوى يأكل الضعيف ولا بد للضعيف ان يعيش أخرسَ أبلهَ أعمى كى يبقى فى الغابه!.

ان المرأه اذا تكاملت اقتربت فى سماتها من الرجل المتكامل وهذا ما بان واضحاً عند السيده زينب عليها السلام والتى كانت شبيهه لاخيها الإمام الحسين عليه السلام فى رفضه للضيم والذل وعدم رضوخه ليزيد، فزينب قالت له (مثلى لا يبايع مثلك) ولكن بلغه أخرى، وهى إذ لم تعطهم اعطاء الذليل، فهى أيضاً بقيت الحافظه للقيم التى نادى بها الإمام الحسين ونشرها.

وزينب مثلت المعارضه للحكم الأموى وهى مع نساء الطفوف كنَّ نموذجاً لنساء محجبات مؤمنات عابدات معارضات للحكم الأموى.

والسيده زينب عليها السلام التى تصدّت لكل هذه الاحمال والأثقال فى وقت الشده وتحملت المسؤوليات الجسام، بل تعددت مسؤولياتها ما بين الحفاظ على العيال والحفاظ على القيم والحفاظ على القضيه والحفاظ على المواقف العامه وما بين التسامى والانعتاق من أسر الضغوطات والطيران فى أجواء السماء الإلهيه.. لم تنس ولم تترك صلاه

الليل حتى ليله الحادى عشر وهى بهذا القلب الكسير والهم الثقيل وعيون الأعداء ترصد زينب وترصد صلاتها، فالصلاه معراج كل مؤمن لكنها صلاه الاستنكار والإدانه لما قام به الأمويون.. ومهما زاد بطشهم فعلاقه السيده مع الله مازالت فى القمه.

وقد رأيت بعض النساء أمام أدنى مشكله فى البيت مع الزوج اوالأولاد تهمل صلاتها وتقلص حجم ما تستطيع تقليصه وتقدم لنفسها عذراً فى ذلك بانها مثقله الهم، وليست المرأه وحدها فى هذا الجانب بل الرجل أيضاً وبخاصه الرجل المعاصر الذى تحيطه المغريات وتحاول ان تنتزعه (المعاصَره) من دينه وقيمه..

وبسبب مجالس العزاء التى اقامتها فى المدينه والتعريف بفكر الثوره الحسينيه أمر يزيد باخراجها من المدينه كى يصبح قبرها فيما بعد مزاراً وموئلاً..

لقد كانت ثوره الإمام الحسين عليه السلام برجالها ونسائها ومسيرها حركه جليه نحو الله لم تكن هناك دنيا أو اهواء او استرقاق دنيوى، بل كانت هناك رغبه وتسابق نحو تحصيل رضا الله وجنات الخلد، ولئن استشهد الإمام عليه السلام وصحبه بتلك الطريقه المؤلمه فان مواقفها كانت سجل انتصارات وبطولات وملاحم تحكى عن عظمه امرأه خلقت من الماء والطين ليس اكثر لكنه الايمان الذى جعلها اقرب الى الله.. ومن مظاهر الإيمان هو الصلاه والعلاقه مع الله (ما رأيت إلا جميلاً.. اللهم تقبل هذا القربان) وهذا لا يكون إلا من نفس راضيه بقضاء الله وقدره مطمئنه إلى وعده.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

ان عمتى زينب كانت تؤدى صلاتها من قيام الفرائض والنوافل وعند سير القوم بنا من الكوفه إلى الشام وفى بعض المنازل كانت تصلى فى جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت أصلى من جلوسى لشده الجوع لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال.(۱)

۱- جعفر النقدى، زينب الكبرى.

وقالت فاطمه بنت الحسين عليه السلام:

واما عمتی زينب فانها لم تزل قائمه فی تلک الليله (أی العاشر من محرم) فی محرابها تستغيث إلی ربها فما سكنت لنا عين ولا هدأت لنا رنه(۱).

وقالت أيضاً:

ان عمتی مع تلک المصائب والمحن النازله بها فی طريقنا إلی الشام ما تركت نوافلها الليليه.

السيده زينب عليها السلام لم تكن امرأه قائده ومديره ومواسيه ومواليه بل كانت أيضاً نموذجاً سامياً للمرأه الربّانيه ..ولقد ضرب الله مريم عليها السلام مثلاً فی تهجدها وعبادتها لله تعالی وكانت عليها السلام تصلی فی أوقات الرخاء واليسر، فكيف بالسيده زينب قد واظبت علی عبادتها فی أوقات الشده والأعداء يحاصرونها ويحرمونها من الماء وهم يشتمون آل البيت ويستهينون بكل المقدسات والقيم.

وقد بانت علاقتها القويه مع الله من خلال عبادتها وخطبها وكلماتها مع الجميع، بانت وكأنها رساله إلهيه تتحرک بين أبناء البشر ومع كل الظروف الصعبه يأتی الإيمان والعلاقه الطيبه مع الله ليكون المعين علی الثبات علی العقيده وعلی تحمل القول الثقيل والقدره فی التحكم فی المشاعر والأهواء والاستمرار فی طريق ذات الشوكه دون ارتخاء أو تنازل.. ولو سألنا أنفسنا ما هی أزمه الإنسان المعاصر - الرجل والمرأه - لوجدنا ان أزماته كلها الروحيه والاجتماعيه والنفسيه تعود إلی أزمته الأصليه فی غياب العلاقه مع الله وعدم وجود الذخيره الروحيه الناتجه عن ذلک والقادره علی فتح أبواب الأزمات والشبهات أمامه والتی ترسم له هدفيته الواضحه فی الحياه.

والسيده زينب عليها السلام رفضت الاستغلال السيّئ للفاجعه فرفضت ان

۱- الشريف الجواهری، مثير الأحزان، ص ۵۶۰.

تـدخل عليهن اى امرأه كـانت واشترطت ان لاـ يسـمح بالـدخول عليهن الاّـ لامرأه مسبيه أو أم ولـد لكن هـذا لم ينفِ الحضور الاجتماعى المتين الذى رسم آثاره فى كل موقع نزلت فيه.

ومما ينقله أصـحاب المقاتل ان السـيده زينب لم تسـتقبل أياً من أصـحاب الواجهات فصاحت (زينب) بالناس: لا تدخل علينا إلا مملوكه أو أم ولد فانهن سبين كما سبينا.(۱)

ومن المعروف ان الطـامعين والطـامحين إلى تحصـيل المنـاصب والمقامـات العليا يحاولون تقويه وجودهم من خلال اسـتغلالهم لهـذه المواقف، ولهـذا كثيراً ما نرى الإعلام يعرض لنا الرؤساء (الجلادين) كيف انهم يساعـدون الفقراء أو يزورون المرضـى أو يزورون الشخصـيه العلمائيه أو يقدمون لها دعماً أياً كان.. السـيده زينب عليها السلام قطعت السبيل امام هذا النمط من الاستغلال فرفضت دخول أى امرأه ما لم تكن امرأه عاشت مأساتهم ومصائبهم.

ورغم كل المصائب والمصاعب كانت السـيده عليها السلام شخصيه متوازنه لم يطح بها الاضطراب النفسى الذى يئن منه الرجال والنساء؛ لأن الإنسان المؤمن يفرغ همومه من خلال إيمانه بانتصار العداله الإلهيه، ومن خلال يقينه بعدم ضـياع جهوده أو أعماله فى الحياه الدنيا.

كانت السـيده من أولياء الله الذين يعيشون همّ الآخرين وكيفيه انقاذهم من الشقاء، ولأجل ذلك هاجرت مع أخيها وتحملت كل شىء.. وعاشت أهدافاً واضـحه فى الثوره ولم تعش الضـبابيه التى تعيشها نساؤنا ورجالنا فى معرفه ما هو المطلوب وما هو الهدف وكيف الطريق إلى الهدف.

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۲۶.

لقد كانت المحن التى مرت بها من شهاده أمها وهى صغيره واختفاء قبرها ومتابعه شؤون والدها المقصى عن الساحه كلها لا عن الخلافه وحدها ورؤيه مصائب أبيها واخيها الحسن ومن بعدُ الإمام الحسين عليه السلام. كل ذلك اكسبها القدره على التحمل وبهذا تحول العسر الذى عاشته إلى طريق نحو تكاملها. ورغم ان التاريخ لا يتحدث كثيراً عن السيده وعن عموم آل البيت منذ وفاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى تولى أمير المؤمنين عليه السلام خلافه الدوله الإسلاميه الكبرى عام ٣٥ه. فلقد كان للسيده زينب عليها السلام مجالسها الثقافيه فى الكوفه إبّان خلافه أبيها عليه السلام فى المده ما بين ٣٥ - ٤٠ ه وبذلك أسهمت كثيراً فى نشر الوعى الثقافى بين النساء خاصه إذ إنّ الكوفه كانت بعيده عن مركز الوحى ومنطلق الإسلام الأول، وقد كان لهذه المجالس أثر كبير فى وعى النساء الكوفيات وفى جعل الكوفه بالذات بلداً متميزاً بولائه لأهل البيت عليهم السلام ومتميزاً بنسائه فى الطفوف وقبلها - راجع سير الوافدات على معاويه -(۱).

بهذا تبدو السيده زينب عليها السلام نموذجاً ثقافياً عالياً اشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: فأنت عالمه غير معلَّمه فهمه غير مفهَّمه.(۲)

وهذا ما اثبتته هى فى مجالسها وخطبها وكلامها وسلوكها وهى أيضاً نموذج لصوره متكامله لما تحتاج إليه المرأه المسلمه من ثقافه.. وبخاصهٍ فى عصرنا عصر العولمه وعصر القريه الكونيه وعصر تحدى الثقافات وعصر مسخ الثقافات.

فلهذا زينب عليها السلام عالمه، عظيمه الصبر قويه فى الله قمه ساميه فى إيمانها وشجاعه نادره أمام أعدائها أين كل هذا من الصوره السلبيه التى نحملها نحن فى وعينا

۱- محمد الصدر، أخلاق أهل البيت.

۲- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص۳۱۳.

عن السيده زينب بانها – والعياذ بالله – المنهاره، الشاكيه، القليله الصبر.

تقول عنهـا بنت الشاطيء: وكانت «زينب» هى التى جعلت من مصـرع «الحسـين» مأساه خالـده، لا نعرف ما هو أبعـد منها أثراً فى تطور العقيده عن الشيعه.

وكانت هى التى صيرت من ليله العاشر من المحرم، مأتماً سنوياً للأحزان والآلام، يحج فيه أحفاد «التوابين» إلى المشهد المقدس فى «كربلاء»، حيث يعيدون تمثيل المأساه، وكانت هى التى سلطت عليها – من أنفسهم – نكالاً أليماً لا ينتهى بالموت، وإنما هى نار «الندم» الجامحه، يصلاها منهم الجيل بعد الجيل.(١)

بهذا يمكن القول: ان لنساء الطفوف أنواعاً متنوعه من الذكاءات وقد نحصـر جلها فى السـيده زينب عليها السـلام بوصـفها سيده الطف الأولى، فقد كان لها ذكاء لغوى ولفظى من خلال الإفاده من أكثر الكلمات تأثيراً وآثاراً على المستمع كما هو ملاحظ فى خطبتهـا. كمـا ان هـذا النوع من الـذكاء قـد اشار إلى موقعيه الكلمات فى التأثير المختلف بين الموالين المتخاذلين وبين الأعـداء الحاقدين فلكلّ كلماته التى تؤثر عليه.

كما كشـفت السـيده عن نمط عالٍ من الـذكاء العاطفى والـذى يمثل ٨٥٪ من الاـداء المرتفع للأفراد القياديى، والـذى يتمثل فى قدرتها على التحكم فى عواطفها وفى توجيه عواطف الاخريات والآخرين (كما فى كلامها مع الإمام زين العابدين عليه السـلام). وفى توجيه العواطف لتكون سـلاحاً قوياً بارزاً وخالداً أمام الأعداء. وهذا الذكاء هو الذى صان هؤلاء من الوقوع اسرى العواطف السـلبيه كاليأس والغضب والخوف وتحرك المنظومه كلها باتجاه التفاؤل (كـد كيـدك...) وباتجاه تحقيق الأهـداف العليا للثوره الحسـينيه (انما خرجت لطلب الإصـلاح فى أمه جـدى أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر). وأيضاً كشـفت عن درجه عليا فى مقاييس الذكاء الاجتماعى والذى

١– بنت الشاطى، دكتوره عائشه عبد الرحمن، السيده زينب، ص ١٦٧.

عرفه (ثوراندیک) بـانه القـدره علی فهم الرجـال والنسـاء والبنین والبنات وقیادتهم لیعملوا بحکمه فی العلاقات الإنسانیه. وعرفه آخرون بانه القـدره علی التعامل مع الناس، والقدره علی اصدار الأحکام فی المواقف الاجتماعیه والقدره علی التعرف علی حاله المتکلم النفسـیه إلی غیر ذلک.. ولـم نشاهـد فی سـلوکیات نساء الطفوف أی خلل فی سـیاق التعامل الاجتماعی سواء معهم فیما بینهم کمنظـومه آل الـبیت علیهم السـلام أو مع الآـخرین من المناصـرین والموازرین الـذین نصـروا الإمـام الحسـین علیه السـلام بأصنافهم، لا نجد هناک سلوکاً خاطئاً وموقفاً یتم الاعتذار منه هیهات لقد کانت السلوکیات کلها فی المضامن العلیا.

لقد کان حسن التصرف – بالتعبیر الحدیث – أحد أهم مظاهر السلوک لدی هؤلاء النساء الخالدات.

مضافاً إلی الذکاء الذاتی الفردی والذی یمیز صاحبه بقوه اراده وبقدرته علی تحفیز ذاته بذاته دون وجود أشخاص آخرین (فهو سنـد لغیره) ویعیش أهـدافه العلیا ویسـعی من أجلها کما انه یمتلک حلوله لمشـکلاته – ومشـکلات الآخرین – بعیـداً عن الحیل النفسیه وحالات الانکفاء علی الذات والطفوله.

وهناک الذکاء الحرکی الذی یهتم باختیار المکان ونمط الحرکه فالسـیده زینب علیها السلام تقف علی التل الزینبی وقفه شموخ سائله عن مصـیر الإمام، والتاریخ یسجل هذه اللحظات الصعبه بل ویبقی صوره التل الزینبی انموذجاً للتواصل بین السیده وأخیها، وأیضاَ نتقصی حرکتها فی الشام فی تتبع الإمام زین العابدین علیه السلام لما خرج من الخربه.

وقـد بقی لزینب علیها السـلام رمزها فی ارض الطفوف فالتل الزینبی کان یشـرف علی مصارع القتلی فی حادثه الطف. إذ کانت السیده زینب الکبری (سلام الله علیها)

تتفقد حال اخيها الحسين (عليه السلام). هذا التل يشير إلى رحلتها المقدسه إلى كربلاء ويعرّف بدورها وبطولاتها ويجعلنا بحاجه إلى اعاده النظر فى أنفسنا لنرى ما هى المسافه بيننا وبينهن واين هو موقفنا أمام المشكلات والخطوب العاصفه بالاسلام.

ولقد صدق مطهرى حينما قال: من بدايه الخليقه الى الآن لم تأت اِمرأه من نساء الاولياء والانبياء بصبر وحلم زينب.

تأملات فى خطاب السيده زينب (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد

اشاره

تأملات فى خطاب السيده زينب (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد (۱)

إنّ خطاب السيده زينب عليها السلام كان يومئذٍ يتدفق كالشلال الهادر الذى ينحدر من قمه الجبل، يجرف معه ما يواجهه من الصخور، والأحجار، التى يقتلعها عن مستقرّها لا يصدّه شىء، ويرغمك أن تفتح له سمعك وقلبك.. كذلك كان تأثير هذا الكلام يومئذٍ على ذلك الجمهور الغفير الذى جاء متفرجاً على مأساه أهل البيت عليهم السلام، وليس متعاطفاً، كما يتفرج الناس على أى مشهد يثير فضولهم... فأرغمهم الخطاب على ان يعدلوا عن هذا الموقف إلى التعاطف والتفاعل، وأبكاهم فاجهشوا بالبكاء، وارتفع نحيبهم وصراخهم، وهزّهم من الأعماق. لقد أحبطت السيده زينب عليها السلام بكلماتها كل الجهد الذى بذله الطاغيه فى إداره هذا المشهد الإعلامى وإعداده. إنّها كانت حمماً، وليست كلمات، قذفتها ابنه على والزهراء على كل ما شيّده طاغيه بنى أميه فى الشام وعاملهم فى الكوفه فهدمت كلما صنعوا من مجد كاذب وغرور وكبرياء وسلطان.

ولست أدرى ماذا أودع الله تعالى فى خطابها واشاراتها، من التأثير والنفوذ والقوه يومئذٍ، عندما أشارت إلى ذلك الجمهور المتفرّج اللاغط: أن اسكتوا، فسكنت الأنفاس والأجراس، كما تقول الروايه.

۱- نص منقول بتصرف من كتاب الخطاب الحسينى للشيخ الآصفى.

وليس لنـا أن نتوقـف بالتأمّـل فى كلمـات ابنه الزهراء ووارثه علم على وشـجاعته وبلاـغته، ومن الخير أن نمضـى مع هـذا السـيل الجارف المتدفق من الخطاب الزينبى الهادر، ولا نشوّش على القارئ هذه الفرصه، حتى يرتوى من الخطاب كما يحب ويشتهى.

ولكن أجـد من النافع أن أِشـرح بعض مقاطع هـذا الخطاب ليعرف القارئ خلفياته فى القرآن والحـديث والتاريخ. وإليك طائفه من هذه النقاط، معتذراً إلى سيده نساء كربلاء وابنه سيده نساء العالمين.

۱ – الشجب والتأنيب والتقريع

كان أهل البيت عليهم السـلام عنـد دخولهم إلى الكوفه بعد مأساه كربلاء بتلك الحاله المزريه، يتحدثون مع أهل الكوفه بمراره وألم، لا نعرف فى تاريـخ أهل البيت عليهم السـلام مثله قط بل إنهم اتبعوا فى ذلك المنهـج ما أسـست له بضـعه النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فاطمه عليها السـلام فهى أول من شجب وأنب وقرع المتخاذلين فضلاً عن التخصيص فى الخطاب لذوى النخب ومن عليهم المتّكـأ: يكشـفها ابتـداءً قولهـا عليهـا السـلام: إيه بنى قبله. وكانوا يؤنّبون أهل الكوفه، ويشـجبون تخاذلهم عن نصـره الحسـين عليه السـلام وغـدرهم، وقعودهم عنه، بـل خروجهم لقتـال الحسـين ومشـاركتهم فى محـاربته.. أشـدّ ما يكون الشـجب والتقريع بعدما دعوه وكاتبوه، ووعدوه أن ينصروه ويقفوا معه، وتواترت إليه عليه السلام كتبهم، فتقول بحرقه وبألم ما بعده ألم:

«يا أهل الكوفه يا أهل الختل والخذل (الغدر)».

وعندما رأتهم يتصارخون بالبكاء قالت لهم:

«أتبكون فلا رقأت الدمعه».

وتقرّعهم بما جنت أيديهم من الجريمه التى تخر الجبال لها هداً، فتقول: «أتدرون، ويلكم أى كبد لرسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم فريتم، وأى دم له سفكتم، وأى

حرمه له انتهكتم، لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً».

ويتكرر هـذا التـأنيب والتقريع والشـجب بكـل مـا تحمـل الكلمه من حرقه وألم وأذى فى كلمات الإمام على بن الحسـين عليهما السلام وفاطمه الصغرى والسيده أم كلثوم فى أوّل لقاء التقوا فيه أهل الكوفه وجهاً لوجه.

وعندما ارتفع نحيبهم وأجهشوا بالبكاء ندماً وحسره قالت لهم:

«أتبكون وتنتحبون، أى والله، فأبكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً».

ولسوف يطول بكـاؤكم ويقـل فرحكم وسـروركم ولن تغسـلوا عـار تلـك الجريمه، وأنى تغسل الـدموع عار تلك الجريمه التى شاركوا ودخلوا فيها وتخاذلوا فيها عن الحسين عليه السلام ونصرته، واصطفّوا مع أعدائه، رَهَباً أو رَغباً.

سبحان الله! ما هذه بكلمات، ولكنها أفلاذ من كبد الحوراء، بنت فاطمه، تتقطّع حسره وألماً فى هذه المأساه التى سجلها الله تعالى فى ذاكره التاريـخ ليعرف الأجيال التى تأتى فيما بعد، بأىّ ثمن حفظت هذه الثله من أهل البيت عليهم السـلام الإسـلام فى تلك الحقبه الصعبه من التاريخ.

۲ – عاقبه الخذلان

ولن يطول الأمر بالذين تركوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فى مقابله عدوان بنى أميه وبطشهم، وانتهاكهم لحرمات الله، فلم يغضـبوا لله، ولم يضـربوا معه بسـيف، وخذلوه وخانوه، وصفوا مع الطاغيه، وتعاونوا معه على قتله، وهو يدعوهم إلى الله، والطاغيه يدعوهم إلى النار...

فلن يطول بهم الامر حتى يذلهم الله على يد طغاه بنى أميه الذين آثروا نصرهم

والوقوف معهم على الانتصار للحسين عليه السلام، وهذه سنن الله عزّ وجل تلقيها الحوراء زينب عليها السلام فی ذلك المشهد العجيب، بعد عودتها من مأساه كربلاء... فلن يطول بهم الزمان حتى يحكمهم الحجّاج بالسيف والقهر والذل والبطش، ويذلهم ببطشه، ويسفك دماءهم.

وكأنما ترى الحوراء فی ذلك اليوم بطش الحجّاج بهم وإذلاله لهم، بعد أن تخاذلوا عن نصره أخيها بكربلاء وهو يدعوهم إلى الله ورسوله:

«فتعساً ونكساً، وبعداً لكم، وسحقاً، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليهم الذله والمسكنه».

إنّ السيوف التی غُمدت عن نصره الحسين عليه السلام سُلّت بعد ذلك لقتال الحسين جنباً إلى جنب مع الطاغيه يوم عاشوراء، ثم لم تطل بهم العافيه التی طلبوها فی الدنيا بجانب بنی أميه، حتى استبدّ بهم طغاه بنی أميه وحكمهم الحجّاج فأكثر فيهم القتل وانتهك حرماتهم، وأراهم الرعب والخوف والذل والبطش.

وتتنبأ الحوراء زينب عليها السلام بهذه العاقبه لأولئك الناس يومئذٍ، حينما تقول: «وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذله والمسكنه».

۳ – التعميم فی الخطاب

يلفت النظر فی هذا الخطاب التقريعی ان السيّده زينب عليها السلام تعمّم التقريع والتأنيب بقتلهم للحسين عليه السلام على الحاضرين الذی استقبلوهم بظهر الكوفه، وعلى المشاركين فی قتال أخيها على نحو سواء فتقول:

«أتدرون أی كبد لرسول الله فريتم، وأی كريمه له أبرزتم، وأی دم له سفكتم، وأی حرمه له انتهكتم. فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً».

ولم یکن فی ذلک الجمهور نفر کثیر ممن شارک فی قتل الحسین علیه السلام، فإن الجلاوزه جاءوا بأهل البیت علیهم السلام والرؤوس الشریفه قبل عوده الجیش إلی الکوفه، علی أننا نستبعد أن یکون هؤلاء الذین استقبلوا أهل البیت علیهم السلام بالبکاء والنحیب ممن تلطّخت أیدیهم بدماء شهداء الطف.

فمن هذا الخطاب، کما هو ظاهر لا یخص الذین تولّوا قتل الحسین وأصحابه علیهم السلام، وإنّما یشمل جمهوراً کبیراً من أهل الکوفه، الذین تخاذلوا عن نصره الحسین علیه السلام، ورضوا بمقتله ولم یغضبوا لقتل الحسین علیه السلام، هؤلاء یشملهم هذا الخطاب، وملاک التعمیم هو الرضا والسخط.

فإنّ الرضا والسخط یجمعان الناس الذین یجمعهم الرضا والسخط، وان تباعدت أزمانهم وبلادهم ویقرّبان الناس الذین یفرّقهم الرضا والسخط، وإن تقارب مکانهم وزمانهم.

یقول أمیر المؤمنین علیه السلام:

«أیّها الناس إنّما یجمع الناس الرضا والسخط، وإنّما عقر ناقه ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، قال سبحانه:

((فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِینَ))(۱).

فما کان إلا أن خارت أرضهم بالخسفه خوار السکه المحماه من الأرض الخواره».(۲)

وهؤلاء الناس رضوا بقتل الحسین علیه السلام، حتی الذین لم یشارکوا منهم فی قتال الحسین علیه السلام، وأصحابه یوم عاشوراء، وآیه هذا الرضا انّهم لم یسخطوا ولم

۱- سوره الشعراء، الآیه ۱۵۷.

۲- نهج البلاغه، ۲/۲۰۷.

یغضبوا، ولم یثوروا بوجه الطاغیه، ولم یتلاوموا فیما بینهم علی تخاذلهم عن دعوه ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، ولا نستثنی منهم إلا (التوّابین) الذین عادوا إلی رشدهم فیما بعد، وتلاوموا وتعاهدوا علی الثأر لدم الحسین علیه السلام، إذ فاتهم الانتصار للحسین علیه السلام.

روی محمد بن الأرقط عن أبی عبد الله الصادق علیه السلام، قال:

«تنزل الکوفه؟

قلت: نعم. قال:

فترون قتله الحسین بین أظهرکم،

قلت: جعلت فداک ما رأیت أحداً منهم. قال:

فإذن أنت لا تری القاتل إلا من قتل أو وُلی القتل، ألم تسمع إلی قول الله عزّ وجل:

((قَدْ جَاءکُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِی بِالْبَیِّنَاتِ وَبِالَّذِی قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن کُنتُمْ صَادِقِینَ))(۱).

فأی رسول قتل الذی کان محمد صلی الله علیه وآله وسلم بین أظهرهم ولم یکن بینه وبین عیسی علیه السلام رسول، وإنّما رضوا قتل أولئک فسمّوا قاتلین».(۲)

ویشیر الإمام علیه السلام فی هذه الروایه إلی الآیات (۱۸۱ - ۱۸۳) من سوره آل عمران:

((لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِینَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِیرٌ وَنَحْنُ أَغْنِیَاء سَنَکْتُبُ مَا قَالُواْ

۱- سوره آل عمران، الآیه ۱۸۳.

۲- تفسیر البرهان: ۱/۳۲۸ .

وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (۱۸۱) ذَلِکَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (۱۸۲) الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)).

فإنّ هؤلاء الـذين ينسب الله تعالى إليهم القول بأن الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الأنبياء بغير حق... قـد قالوا هـذه الكلمه، كما يثبتها المفسـرون فی شأن نزول هذه الآيه، ولکن لم يقتلوا نبيّاً قط... وقد جاءت هذه النسبه إليهم بوضوح فی موضعين من هذه الآيات، فأی نبی قتل هؤلاء، وبينهم وبين أنبياء بنی إسـرائيل عدّه قرون من الزمان... وإنّما الذی قتل الأنبياء من بين إسرائيل وأنكر نبوتهم وجحدهم سلفهم من اليهود.

والجواب: إنّ اليهود فی عصر الرسول صلی الله عليه وآله وسلم كانوا راضين بجرائم آبائهم، ولم يتبرّأوا منهم، ولم ينكروا عليهم، ولم يعلنوا رفضهم وبراءتهم عنهم، فنسب الله تعالی إليهم جرائم آبائهم فی قتل الأنبياء.

وتشير السيده زينب بطله مأساه كربلاء إلى هذه الحقيقه.

فإنّ هؤلاء شاهـدوا أبشع جريمه فی عمل بنی أميه، وأنصع دعوه فی تاريخ الإسـلام فی دعوه الحسـين عليه السـلام، فلم يقفوا مع الحسين عليه السلام وينكروا على طغاه بنی أميه جريمتهم بحق الحسين عليه السلام وأصحابه.

ولـم يتـبرأوا من فعلتهم، ولم يعلنـوا سـخطهم وانكـارهم وبراءتهم منهم، وآثروا العـافيه فی كـل ذلـک على مرضـاه الله، فسـكتوا ورضخوا وخذلوا إمام المسلمين عليه

السلام... ولا نستثنى منهم إلا الذين عادوا إلى رشدهم وتابوا وأعلنوا غضبهم وخروجهم على بنى أميه بعد ذلك.

فتخاطبهم الحوراء بهذا الخطاب المؤلم الشامل، وبهذا التقريع الشديد العام:

«فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوه، ومعدن الرساله. . وسيد شباب أهل الجنه ألا ساء ما تزرون».

«ويلكم يا أهل الكوفه، أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم؟ وأى كريمه له أبرزتم؟ وأى دم له سفكتم؟ واى حرمه له انتهكتم؟».

ثم تعمّهم بالدعاء بعد أن عمّتهم الجريمه:

«فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعى، وتبت الأيدى، وخسرت الصفقه، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذله والمسكنه».

۴ – الإمهال فى العذاب

وتنذرهم ابنه على عليه السلام فى هذا الخطاب بعذاب الدنيا وأليم عذاب الآخره:

أفعجبتم إن مطرت السماء دماً.

((وَلَعَذَابُ الْآخِرَهِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)).

وأى عذاب هذا العذاب؟ أن تمطر السماء دماً، ثم تنذرهم بأنّ عذاب الآخره أشد وآلم.

ثم تنذرهم مره أخرى أن لا يغرّنهم، ولا يستخفّنهم تأجيل العذاب عنهم إلى حين، فإنّ الله تعالى يمهل ولا يهمل، تقول عليها السلام:

«فلا يستخفنكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربّكم لبالمرصاد».

ومن أشد ما يعاقب الله تعالى عباده أن يمهلهم ويستدرجهم إلى العصيان والإثم، ويملى لهم، ثم ينقضّ عليهم العذاب، فيأخذهم فجأه، ضحىً وهم يلعبون.

يقول تعالى:

((وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ))(۱). ((فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ))(۲).

فتنذرهم السيده أن لا يستخفنهم الإمهال فى العذاب، فإنّ الله تعالى لا يحفزه البدار، ولا يستعجل بعذاب عباده، وفى ذلك نقمه وعقاب لمن يستحق النقمه والعقاب فلا يتوب ولا يؤوب إلى رشده فيزداد إثماً، ويستدرجه الإمهال إلى الامعان فى العصيان والإثم.

عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام:

«إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً، فأذنب ذنباً تبعه بنقمه يُذكِّره الاستغفار، وإذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب تبعه بنعمه لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عزّ وجل:

((سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ))(۳).»(۴)

۱- سوره آل عمران، الآيه ۱۷۸.

۲- سوره الأنعام، الآيه ۴۴.

۳- سوره الاعراف، الآيه ۱۸۲.

۴- بحار الأنوار: ۷۳/ ۳۸۷.

وما من عقوبه للأمم التی استحقت العقوبه بالعصیان والإثم أشد من الاملاء والإمهال.

یقول أمیر المؤمنین علیه السلام، والکلام فی نهج البلاغه:

«أیها الناس لیراکم الله من النعمه وجلین، کما یراکم من النقمه فرقین، إنّه مَن وسّع علیه فی ذات یده، فلم یر ذلک استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضیّق علیه فی ذات یده فلم یر ذلک اختباراً فقد ضیّع مأمولاً».(۱)

ویقول علیه السلام:

«کم من مستدرج بالاحسان إلیه، ومغرور بالستر علیه، ومفتون بحسن القول فیه، وما ابتلی الله أحداً بمثل الإملاء له».(۲)

ولم یطل الإملاء والإمهال الإلهی بهؤلاء القوم الذین أنذرتهم ابنه الزهراء علیها السلام بعذاب الله فی ذلک الیوم الرهیب، طویلاً فما مرَ علیهم سنوات خمس حتی سلّط الله تعالی علیهم المختار رحمه الله فاستتبعهم ولاحقهم والتقطهم وعاقبهم تحت شعار: «الثأر من قتله الحسین»، ولم یسلم منهم إلا القلیل وأذاقهم الذل والخوف والرعب وحر الحدید، ولعذاب الآخره آلم وأشد وأقسی.

ثم لم یمضِ بعد ذلک سنوات حتی سلط الله علیهم الحجاج بن یوسف لعنه الله، فأذاقهم الذل والهوان والقتل وسلب منهم الأمان والعافیه التی کانوا یطلبونها لدنیاهم فخذلوا الحسین علیه السلام، فعاقبهم الله بالحجّاج.

ثم توالت علیهم المحن والنکبات محنه بعد محنه ونکبه بعد نکبه، وتتابع علیهم طغاه بنی أمیه طاغیه بعد طاغیه.

۱- نهج البلاغه، حکمه رقم ۳۵۸.

۲- نهج البلاغه، حکمه رقم ۱۱۶.

۵ – الإحباط

وتذكّرهم زينب عليها السلام بقوله تعالى:

((وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ ...)).(۱)و(۲)

فقد نقض القوم كل ما شيّدوه وعملوه من قبل، وقد كان فيهم من وقف مع على عليه السلام فى الجمل وصفين والنهروان، ولكنهم نقضوا كل ذلك فى عاشوراء عام (۶۱ه) بخذلانهم للحسين عليه السلام ووقوفهم إلى جنب الطاغيه وقتالهم الحسين، ورضاهم بقتالهم. إن المحافظه على الأعمال الصالحه قد تكون أشق من أصل العمل، وليس بقليل الذين أحسنوا، وعملوا الأعمال الصالحه، ثمّ أفسدوا أعمالهم وأبطلوها.

يقول تعالى:

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (۳۲) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)).(۳)

ويقول تعالى:

((وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا)).(۴)

۱– سوره النحل، الآيه ۹۲.

۲– النقض يقابل الإبرام، وهو بمعنى افساد ما أحكم من حبل أو غزل. والنكث بمعنى النقض، وكل شىء نقض بعد الفتل فهو أنكاث حبلًا كان أو غزلًا، والآيه الكريمه تنهاهم عن أن يكونوا كالمرأه التى تغزل ثم تعود فتنقض ما غزلت وتهدم ما بنت.

۳– سوره محمد، الآيه ۳۲ – ۳۳.

۴– سوره الفرقان، الآيه ۲۳.

وکما أن السیئات تحبط الحسنات، کذلک الحسنات تکفّر السیئات وتغطیها.

والقرآن یشیر إلی کل من هذین: الاحباط والتکفیر، یقول تعالی:

((یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ یَجْعَل لَّکُمْ فُرْقَاناً وَیُکَفِّرْ عَنکُمْ سَیِّئَاتِکُمْ وَیَغْفِرْ لَکُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ)).(۱)

ویقول تعالی:

((وَأَقِمِ الصَّلاَهَ طَرَفَیِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّیْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئَاتِ...)).(۲)

فالأعمال، کالأشیاء المادیه، فیها بناء وهدم، وفیها إعاده بناء ما هدمه الإنسان، وهدم ما بناه.

إنّ السلوک الاجتماعی والسیاسی والمالی فی وسط المجتمع من أشق الأمور، فقد یهدم الإنسان فی موقف سیاسی أو اجتماعی ما بناه وعمله فی حیاته.

وتنصحهم السیده زینب ألا یکونوا ممّن أحبطوا أعمالهم.

((وَلاَ تَکُونُواْ کَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّهٍ أَنکَاثًا)).

وألا یتخذوا أیمانهم ومواثیقهم التی أعطوها للحسین علیه السلام من قبل حین سألوه القدوم إلیهم، دخلاً وأداه للغدر والخیانه.

وطالما یجدون فرصه للعوده والتوبه إلی الله فعلیهم أن یعودوا ویتوبوا إلی الله عن الخذلان والتقصیر، الذی حصل منهم تجاه دعوه سید شباب أهل الجنه.

۱- سوره الأنفال، الآیه ۲۹.

۲- سوره هود، الآیه ۱۱۴.

ولئن كان في كلمات السيده زينب عليها السلام تقريع موجع يعبّر عن آلام بطله مأساه كربلاء... فإنّها (عليها السلام) تفتح لهم طريق العوده إلى الله مره أخرى، وان يؤوبوا إلى أنفسهم، ويستغفروا الله، ولئن فاتهم أن ينصروا الحسين عليه السلام فلا يفوتهم أن يثأروا له وللكوكبه الصالحه التي خرجت معه، وأن ينتقموا من الظالمين الذين أكثروا الفساد في الأرض.

۶ – علاقه الكوارث الكونيه بسيّئات الناس

اشاره

نجد في كلام السيده زينب عليها السلام إشارتين جديرتين بالتوقف والتأمّل في علاقه الكوارث الكونيه والعذاب الإلهي النازل على الأرض بسيّئات الناس وذنوبهم.

فهي تخاطبهم منذره إيّاهم من عذاب الله: أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمه له ابرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ واي حرمه له انتهكتم؟

((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (۸۹) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)).(۱)

ثم تقول بعد ذلك، وفي نفس السياق: «ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض، وملء السماء، أفعجبتم ان مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخره أخزى».

۱- سوره مريم، الآيه ۸۹. الآيه الكريمه من سوره مريم: ۸۹، وهي بصدد تهويل الشرك بالله، وأن بالشرك بالله تكاد السماوات أن تتفطر وتكاد الأرض أن تنشق وتكاد الجبال أن تسقط (تخر) هدّاً (أي هدماً) يعني تكاد أن تنهدم الجبال وتتساقط. و(الإد) الذنب الفظيع، وواضح أن الآيه الكريمه بصدد التهويل، وتحسيس المشركين بهذه المظاهر الكونيه المحسوسه على عظم الجريمه، ولكنها واضحه في علاقه العذابات الكونيه كالزلازل والكوارث الكونيه بسيّئات أعمال الناس وجرائمهم.

الكوارث الكونيه عند مصرع الحسين عليه السلام

وقد استفاضت الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر أم المؤمنين أم سلمه رحمها الله بمصرع الحسين عليه السلام وأودع عندها قاروره، وعرّفها أنها إذا فاضت دماً فهو علامه مصرع ولده الحسين عليه السلام... فلمّا خرج الحسين عليه السلام من المدينه إلى مكه ومنها إلى العراق كانت أم سلمه تنظر إلى القاروره كل يوم، وتقول: إنّ يوماً تتحولين إلى دم ليوم عظيم.

فرأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم العاشر من المحرم في المنام أشعث، مغبرّاً، وعلى رأسه التراب، فقالت له: مالي أراك يا رسول الله مغبراً؟!

فقال لها: قتل ولدي الحسين عليه السلام، ومازلت أحفر القبور له ولأصحابه، فانتبهت من منامها مذعوره، فبادرت إلى القاروره التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علامه لها فإذا بها تفور دماً.

فنادت أم سلمه: قتل الحسين، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، فأقبلوا النساء عليها، وقلنَ لها: (من أين علمت ذلك فأخبرتهنّ برؤياها، وتصارخت النسوه، حتى ضجت المدينه، وهذه الروايه معروفه وقد ذكرها جمله من المؤرخين».(۱)

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقه: (ومما ظهر يوم قتله عليه السلام من الآيات أيضاً أن السماء اسودّت اسوداداً عظيماً، حتى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط).(۲)

۱- منهم ابن عساكر في تاريخ دمشق: ۱۳/۸۵ و۴/۳۴۰، واليافعي في مرآه الجنان: ۱/۱۳۴، وأحمد في (المسند): ۱/۲۴۲، وابن الأثير في الكامل: ۴/۳۸، والخوارزمي في المقتل: ۲/۹۵، والمحب الطبري في ذخائر العقبى: ۱۴۸، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ۱۳۹، وابن حجر في تهذيب التهذيب: ۲/۳۵۵. والشيخ الطوسي في الأمالي: ۳/۵۶، والطريحي في (المنتخب): ۲۳۵، والسيوطي في (الخصائص): ۲/۱۲۶، ومصادر أخرى أخذناها من مقتل الحسين للعلامه الفقيد السيد عبد الرزاق المقرّم (ره): ۳۴۳.

۲- الآصفي: الخطاب الحسيني، نقلاً عن مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ۳۴۵.

يقول السيد عبد الرزاق المقرّم فى المقتل:

(أظلمت الـدنيا ثلاـثه أيـام واسودّت سواداً عظيماً حـتى ظن النـاس ان القيـامه قـامت وبـدت الكواكب نصف النهـار ولم ير نور الشمس.

والروايات التاريخيه فى ذلك متضافره، تناقلها أئمه التاريخ والسيره، وحفّاظ الحديث النبوى، ولا نريد أن نسهب فى هذا الأمر أكثر من هذا الحد.

الكوارث الكونيه وعلاقتها بسيئات الناس فى القرآن

والقرآن صريح وواضح بعلاقه الكوارث الكونيه بسيئات أعمال الناس. وإليك هذه الآيات من كتاب الله:

يقول تعالى:

((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَهٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)).(۱)

ويقول تعالى:

((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)).(۲)

ويقول تعالى:

((أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَهُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَآثَارًا فِى الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ)).(۳)

۱- سوره الشورى، الآيه ۳۰.

۲- سوره الروم، الآيه ۴۱.

۳- سوره المؤمن، الآيه ۲۱.

ويقول تعالى:

((وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)).(۱)

ويقول تعالى:

((كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (۱۱) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (۱۲) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (۱۳) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (۱۴) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا)).(۲)

وقال تعالى:

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (۶) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (۷) الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ (۸) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (۹) وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ (۱۰) الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ (۱۱) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (۱۲) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (۱۳) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)).(۳)

ويقول تعالى فى قوم:

((مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا)).(۴)

۱- سوره الإسراء، الآيه ۱۶.

۲- سوره الشمس، الآيات ۱۱ - ۱۴.

۳- سوره الفجر، الآيه ۶ - ۱۴.

۴- سوره نوح، الآيه ۲۵.

النعمه وعلاقتها بالتقوی

والعکس أیضاً صحیح، فکما تنزل الکوارث والنقم بسیئات أعمال الإنسان، کذلک تنزل النعم والخیرات والبرکات علی الأرض بحسنات أفعال الناس.

وکما تکون الآثام والمعاصی سبباً فی نزول الکوارث من زلزله وصاعقه وفقر وبأس وابتلاء وأمراض وحروب کذلک تکون التقوی سبباً لنزول الرحمه، من لدن الله إلی الأرض، ویفتح الله تعالی علی الناس بالتقوی برکات الأرض والسماء.

یقول تعالی:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَی آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَیْهِم بَرَکَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَکِن کَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا کَانُواْ یَکْسِبُونَ)).(۱)

والسنّه الإلهیه العامه فی هذا وذاک انّ الله تعالی لا یغیر ما بالناس من نعمه ورحمه أو ابتلاء وشدّه إلا بسیئات أعمالهم وحسناتها، فإذا حسنت أعمالهم أحسن الله إلیهم، وإذا ساءت أعمالهم عاقبهم الله تعالی فساءت أحوالهم.

یقول تعالی:

((إِنَّ اللّهَ لاَ یُغَیِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ)).(۲)

ویقول تعالی:

((ذَلِکَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ یَکُ مُغَیِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَی قَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ)).(۳)

۱- سوره الأعراف، الآیه ۹۶.

۲- سوره الرعد، الآیه ۱۱.

۳- سوره الأنفال، الآیه ۵۳.

وهاتان الآيتان واضحتان فى الدلاله على العلاقه بين أحوال الناس وأوضاعهم السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه وبين أعمالهم، فإذا ساءت أعمالهم ساءت أحوالهم وأوضاعهم، وإذا حسنت أعمالهم طابت وحسنت أوضاعهم وأحوالهم.

العلاقه بين العمل والجزاء

ولا- نريد أن نترك هذا الحديث قبل أن نتطرق إلى القانون العام الشامل لكل ما ذكرناه، وهو علاقه العمل بالجزاء فى المعايير الإلهيه.

إنّ الجزاء الوارد فى النصوص الإسلاميه من كتاب وسنّه من قبيل نتائج الأعمال وآثارها التكوينيه، وليست من قبيل العلاقه بين العمل والجزاء فى الدنيا. فإنّ العلاقه بين العمل والجزاء فى الدنيا علاقه قانونيه تدخل فى دائره التقنين والتشريع، ويختلف الجزاء من أمه إلى أخرى، حسب اختلاف القوانين والتشريعات، فقد تكون القوانين متسامحه فى تقدير العقوبه، فتكون العقوبه هيّنه، وقد تكون القوانين متشدّده فتكون العقوبه شديده وقاسيه.

ولكن الجزاء فى الآخره، عقوبه ومثوبه، من قبيل النتائج والآثار التكوينيه للأعمال، ولا تدخل فى حقل القرارات التشريعيه... ومثل ذلك فى الدنيا أن من لا- يتحفظ على صحته ولا يحتِم يمرض. والمرض هنا نتيجه عدم الاحتماء، والتاجر الذى يهمل الحركه فى السوق يصيبه الفقر والخسران. والفقر والخساره نتيجه لانعدام السعى والحركه فى السوق. والطالب الذى يكسل عن الدراسه ولا يجتهد فى الدرس يفشل فى الامتحان، والذى يسعى ويجتهد ينجح ويتقدم.

كذلك العلاقه بين العمل والجزاء فى الآخره من هذا القبيل، وكذلك فى الدنيا، فى غير العقوبات التشريعيه التى تدخل فى دائره التقنين والتشريع.

۷ – ما یقدمه الإنسان بین یدیه إلی الله

تقول الحوراء زینب علیها السلام فی خطابها لأهل الکوفه:

«ألا بئس ما قدمت لکم أنفسکم أن سخط الله علیکم وفی العذاب أنتم خالدون».

وهذه الفقره من کلام السیده مقتبسه من قوله تعالی:

((تَرَی کَثِیرًا مِّنْهُمْ یَتَوَلَّوْنَ الَّذِینَ کَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَیْهِمْ وَفِی الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)).(۱)

وهذه النقطه من کلام السیده علیها السلام ذات علاقه بالنقطه السابقه، فی علاقه العمل بالجزاء. إنّ جزاء عمل الإنسان فی الآخره هو نتیجه عمله فی الدنیا، وهذه النتیجه هی باطن عمل الإنسان تتراءی له فی الدنیا بغیر هذه الصوره، وتتجلی له فی الآخره بصورته الحقیقیه. حیث یکشف عن بصر الإنسان، فیری واقع عمله وباطنه الذی کان یخفی علیه فی الدنیا. یقول تعالی:

((لَقَدْ کُنتَ فِی غَفْلَهٍ مِّنْ هَذَا فَکَشَفْنَا عَنکَ غِطَاءکَ فَبَصَرُکَ الْیَوْمَ حَدِیدٌ)).(۲)

وکأنّ الإنسان کان فی غفله من حقیقه السیئه وواقعها وجوهرها فارتکبها، فلمّا کُشِفَ عن عینه الغطاء بالموت وجد ما غفل عنه.

إنّ مال الیتیم الذی یأکله الناس حراماً، ظاهره ذهب وفضه ومتاع وضیاع، وباطنه نار یغفل عنها الإنسان، فإذا حل به الموت وکشف عن عینیه الغطاء، عرف ما غفل عنه فی الدنیا.

۱– سوره المائده، الآیه ۸۰.

۲– سوره ق، الآیه ۲۲.

یقول تعالی:

((إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمْوَالَ الْیَتَامَی ظُلْمًا إِنَّمَا یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَیَصْلَوْنَ سَعِیرًا)).(۱)

إنّ النـاس لا یرون من هـذه النقود والضـیاع فی الـدنیا إلا ظاهرها، فإذا ماتوا عرفوا ما غفلوا عنه وعرفوا أنّ الـذی أکلوه من أموال الیتامی کان ناراً فی بطونهم.

وان الثمن البخس الـذی یبیع به علمـاء أهـل الکتاب ما عرفوا من التوراه والانجیل فأخفوه عن الناس وتکتّموا به... إنّ لهـذا الثمن البخس الذی تلقوه إزاء هذا الکتمان ناراً فی بطونهم غفلوا عنه فی الدنیا، فإذا ماتوا عرفوا به:

((إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ مَـا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْکِتَـابِ وَیَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِیلاًـ أُولَئِکَ مَا یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ یُکَلِّمُهُمُ اللّهُ یَوْمَ الْقِیَامَهِ وَلاَ یُزَکِّیهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ)).(۲)

ویقول تعالی:

((... وَالَّذِینَ یَکْنِزُونَ الـذَّهَبَ وَالْفِضَّهَ وَلاَ یُنفِقُونَهَا فِی سَبِیلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَـذَابٍ أَلِیم (۳۴) یَوْمَ یُحْمَی عَلَیْهَا فِی نَارِ جَهَنَّمَ فَتُکْوَی بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا کَنَزْتُمْ لأَنفُسِکُمْ فَذُوقُواْ مَا کُنتُمْ تَکْنِزُونَ)).(۳)

إنّ تعبیرات القرآن فی هذه النقطه واضحه وصریحه مثل:

۱- سوره النساء، الآیه ۱۰.

۲- سوره البقره، الآیه ۱۷۴.

۳- سوره التوبه، الآیتان ۳۴ – ۳۵.

((هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ)) ((إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا)) ((مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ)).

وأمثال ذلک، وهی تأبی الحمل علی المجاز. وهـذا هو باطن عمل الإنسان وجوهره الـذی کان یخفی علیه فی الـدنیا. وما یصـدر عن الإنسـان من عمل من خیر وشـر، یبقی ولا ینعـدم، فإذا مات الإنسان أحضـره الله تعالی عنـده، فوجـد ما عمله من خیر أو شـر حاضراً.

((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ...)).(۱)

ها هنا یجد الإنسان عمله حاضراً أمامه بعینه، فإذا کان عمله سوءاً تمنی أن یکون بینه وبین عمله أمد بعید، وان یتخلص من عمله، ولکن هیهات

((... تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ))(۲).

وجزاء الإنسان فی الآخره بنفس عمله، وعمله جزاؤه.

یقول تعالی:

((... لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)).(۳)

ویقول تعالی:

((... ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ...)).(۴)

۱- سوره آل عمران، الآیه ۳۰.

۲- سوره آل عمران، الآیه ۳۰.

۳- سوره التحریم، ۷.

۴- سوره البقره، الآیه ۲۸۱.

وفی سوره الإسراء نلتقی آیه عجیبه فی کتاب الله:

((وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیَامَهِ كِتَابًا یَلْقَاهُ مَنشُورًا (۱۳) اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْیَوْمَ عَلَیْكَ حَسِیبًا)).(۱)

و(الطائر) هو (العمل). ویوم القیامه یجعل الله أعمال الناس فی أعناقهم، وهو کتابهم الذی یعکس أعمالهم، إنّ أعمالهم هو کتابهم الذی یلقون به الله تعالى، والإنسان هو الذی یقرأ کتابه یومئذٍ، لا غیره ((اقْرَأْ كَتَابَكَ)) وهو الذی یحاسب نفسه ویحکم على نفسه:

((كَفَى بِنَفْسِكَ الْیَوْمَ عَلَیْكَ حَسِیبًا)).

إذن جزاء الإنسان هو عمل الإنسان، باطن عمل الإنسان، وهذا الباطن کان قائماً فی الدنیا غیر أن الإنسان کان غافلاً عنه.

فإذا مات الإنسان انکشف باطن عمله، وأُحضر عمله إلیه، ویرى الإنسان عندئذٍ عمله الذی قدمه لنفسه، یقول تعالى:

((یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّیُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (۶) فَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ خَیْرًا یَرَهُ (۷) وَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ)).(۲)

إنّ الإنسان یومئذٍ یرى عمله من خیر أو شر، فإذا عمل خیراً رآه أمامه، ولو کان مثقال ذره من الخیر.

ومن عمل شرّاً یره أمامه، ولو کان مثقال ذرّه من الشّر، فإنّ المیزان والحساب دقیق، غیر أن الله رؤوف بعباده رحیم.

۱- سوره الإسراء، الآیتان ۱۳ – ۱۴.

۲- سوره الزلزله، الآیات ۶ – ۸

فما یعمله الإنسان من عمل فی الدنیا من خیر أو شر، إنّما یقدمه الإنسان لنفسه فی الآخره فإذا مات وجده أمامه.

یقول تعالی:

((...وَنَکْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَکُلَّ شَیْءٍ أحْصَیْنَاهُ فِی إِمَامٍ مُبِینٍ)).(۱)

وهنا (الإمام المبین) لا یغفل عن شیء قدمه الإنسان أبداً فهو یحصی کل صغیره وکبیره مما قدمه الإنسان لنفسه إحصاءً دقیقاً.

((وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِکُم مِّنْ خَیْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ)).(۲)

وتأمّلوا فی هذه الآیه من کتاب الله:

((یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِیرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)).(۳)

حیث یأتی الأمر بأن ینظر الإنسان فیما یقدمه لآخرته، بعد الأمر بالتقوی وقبله، وهو یستوقف الإنسان طویلًا، فإذا کان ما یعمله الإنسان من عمل هو ما یقدّمه لغد، فما أحراه بأن یتقی الله تعالی فی عمل یعمله من صغیر وکبیر.(۴)

السلام علی من أصبح حرمها موئل آمال الآملین وملتقی وفود الزائرین ویتمسک بضریحها جمیع المحبین والمحتاجین ویأتمّ بقبرها الخلائق فی کل حین.

۱- سوره یس، الآیه ۱۲.

۲- سوره البقره، الآیه ۱۱۰ والآیه ۲۲۳.

۳- سوره الحشر: الآیه ۱۸.

۴- الآصفی، آیه الله الشیخ محمد مهدی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه، ص۷۴.

المصادر

۱. ابن طاووس، اللهوف فی قتلی الطفوف.

۲. آیه الله الشیخ محمد مهدی الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه.

۳. بنت الشاطیء, بطله کربلاء.

۴. د. أحمد علی کنعان، أدب الأطفال والقیم التربویه.

۵. السید حسین معن، الإعداد الروحی.

۶. السید محمد باقر الحکیم، دور المرأه فی النهضه الحسینیه.

۷. عبد الحسین أحمد الأمینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّه والادب.

۸. عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسین علیه السلام.

۹. عبد الوهاب الکاشی، مأساه الحسین بین السائل والمجیب.

۱۰. العلامه السید مرتضی العسکری، معالم المدرستین.

۱۱. کفاح الحداد النجاح فی عالم المرأه.

۱۲. کفاح الحداد، المرأه والعمل السیاسی.

۱۳. مؤسسه البلاغ، الإمام الحسین علیه السلام یوم عاشوراء.

۱۴. مؤسسه البلاغ، زینب وفاجعه کربلاء.

۱۵. مؤسسه البلاغ، نساء المثل الأعلی.

۱۶. مجموعه باحثین، مجله المنعطف، العدد ۱۵/ ۱۶.

۱۷. مجموعه مؤلفین، المرأه فی الفکر الإسلامی المعاصر، کتاب المنهاج.

۱۸. محمد جواد مغنیه، الحسین وبطله کربلاء.

۱۹. محمد مهدی الآصفی، فی رحاب الإمام الحسین علیه السلام.

۲۰. محمد مهدی شمس الدین، ثوره الحسین.

۲۱. مرتضی مطهری، الملحمه الحسینیه.

۲۲. المسعودی، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید.

المحتويات

ص: ۲۶۶

ص: ۲۶۸

اصدارات قسم الشؤون الفكريه والثقافيه

فی العتبه الحسینیه المقدسه

تألیف

اسم الکتاب

ت

السید محمد مهدی الخرسان

السجود علی التربه الحسینیه

۱

زیاره الإمام الحسین علیه السلام باللغه الانکلیزیه

۲

زیاره الإمام الحسین علیه السلام باللغه الأردو

۳

الشیخ علی الفتلاوی

النوران الزهراء والحوراء علیهما السلام الطبعه الأولی

۴

الشیخ علی الفتلاوی

هذه عقیدتی الطبعه الأولی

۵

الشیخ علی الفتلاوی

ص: ۲۷۰

السید یاسین الموسوی

الحیره فی عصر الغیبه الصغری

۱۹

السید یاسین الموسوی

الحیره فی عصر الغیبه الکبری

۲۰

الشیخ باقر شریف القرشی

حیاه الإمام الحسین بن علی (علیهما السلام) ج۱

۲۱

الشیخ باقر شریف القرشی

حیاه الإمام الحسین بن علی (علیهما السلام) ج۲

۲۲

الشیخ باقر شریف القرشی

حیاه الإمام الحسین بن علی (علیهما السلام) ج۳

۲۳

الشیخ وسام البلداوی

القول الحسن فی عدد زوجات الإمام الحسن علیه السلام

۲۴

السید محمد علی الحلو

السید نبیل الحسنی

الشیعه والسیره النبویه بین التدوین والاضطهاد (دراسه)

۳۲

الدکتور عبدالکاظم الیاسری

الخطاب الحسینی فی معرکه الطف دراسه لغویه وتحلیل

۳۳

الشیخ وسام البلداوی

رسالتان فی الإمام المهدی

۳۴

الشیخ وسام البلداوی

السفاره فی الغیبه الکبری

۳۵

السید نبیل الحسنی

حرکه التاریخ وسننه عند علی وفاطمه علیهما السلام (دراسه)

۳۶

السید نبیل الحسنی

دعاء الإمام الحسین علیه السلام فی یوم عاشوراء بین النظریه العلمیه والأثر الغیبی (دراسه) من جزءین

۳۷

الشیخ علی الفتلاوی

النوران الزهراء والحوراء علیهما السلام الطبعه الثانیه

۳۸

شعبه التحقيق

زهير بن القين

۳۹

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

۴۰

الأستاذ عباس الشيبانى

منهل الظمآن فى أحكام تلاوه القرآن

۴۱

السيد عبد الرضا الشهرستانى

السجود على التربه الحسينيه

۴۲

السيد على القصير

حياه حبيب بن مظاهر الأسدى

۴۳

ص: ۲۷۱

الشیخ علی الکورانی العاملی

الإمام الکاظم سید بغداد وحامیها وشفیعها

۴۴

جمع وتحقیق: باسم الساعدی

السقیفه وفدک، تصنیف: أبی بکر الجوهری

۴۵

نظم وشرح: حسین النصار

موسوعه الألوف فی نظم تاریخ الطفوف ثلاثه أجزاء

۴۶

السید محمدعلی الحلو

الظاهره الحسینیه

۴۷

السید عبدالکریم القزوینی

الوثائق الرسمیه لثوره الإمام الحسین علیه السلام

۴۸

السید محمدعلی الحلو

الأصول التمهیدیه فی المعارف المهدویه

۴۹

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتناب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مرکز القائمیه اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹